المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الرابع عشر محرم ١٤٣١ هـ

- (أرمت) في حديث فضل يوم الجمعة

  د. سيف بن عبدالرحمن العريفي

- الغريب في النحو

  د. محمد بن ناصر الشهري

- سورة القيامة :دراسة بلاغية تحليلية

  د.إبراهيم بن منصور التركي

- من أساليب التشويق في قصص القرآن الكريم

  د . علي بن محمد الحمود

- شعر شهاب الدين ابن دِمِرْداش الدمشقي (٦٣٨-٧٢٣هـ)

  د. محمد بن إبراهيم الدوخي

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

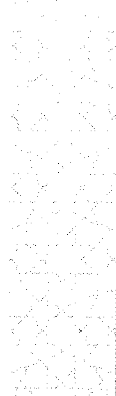
العددالرابع عشر
محرم ١٤٣١هـ

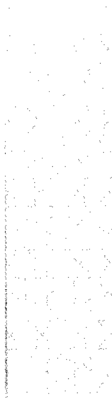
www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa



رقم الإيداع: ٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩/٠٦/ ١٤٢٩هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ١٦٥٨-٤١٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم





أعضاء هيئة التحرير

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١. أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢. أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣. أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤. أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥. ألا يكون قد سبق نشره .

٦. ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أوكتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

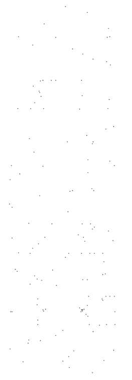
١. أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢. ألا تزيد صفحات البحث عن (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .

٣. أن يكون بنط المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش بنط (١٣) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤. يقدم الباحث ثلاث نسخ مطبوعة من البحث، مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .





ثالثاً: التوثيق :

١. توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢. تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣. توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤. ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً : يُعطى الباحث خمس نسخ من المجلة، وعشر مستلات من بحثه .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم عميد البحث العلمي

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٢٣٠ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: journal@imamu.edu.sa

المحتويات

(أرمت) في حديث فضل يوم الجمعة ١٣

د. سيف بن عبدالرحمن العريفي

الغريب في النحو ٦٩

د. محمد بن ناصر الشهري

سورة القيامة : دراسة بلاغية تحليلية ١٢٩

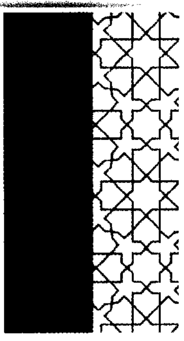
د.إبراهيم بن منصور التركي

من أساليب التشويق في قصص القرآن الكريم ١٥٥

د . علي بن محمد الحمود

شعر شهاب الدين ابن دِمِرْداش الدمشقي (٦٣٨-٧٢٣هـ) ٢٠٣

د. محمد بن إبراهيم الدوخي



(أرمت) في حديث فَضْل يوم الجمعة

دراسة للشكل والبنية والتركيب

د. سيف بن عبدالرحمن العريفي

قسم النحو والصر ف وفقه اللغة ـ كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(أرمت) في حديث فَضْل يوم الجمعة
دراسة للشكل والبنية والتركيب

د. سيف بن عبدالرحمن العريفي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة ـ كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

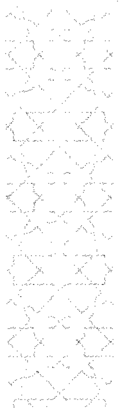
ملخص الدراسة :

من موارد البحث اللغوي و النحوي في الحديث النبويّ المتشابه في الرسم وقراءاته وما يعتريه من التصحيف و التحريف ، إذ له أحاديث تفضي إلى حديث المعجم ورصيده الاستبدالي ، و المعنى المنطقي ، و السياق ، و القيم الخلافية ، ونظام اللغة الصوتي و الصرفي و النحوي .

ومن مسائله مسألة (أرمت) في حديث فضل يوم الجمعة ، إذ قرئ ذا اللفظ قراءات تعددت بهن الصيغ وجهات الاشتقاق و الدلالة و التركيب النحوي .

و البحث دراسة لما يقدمه متن الحديث وألفاظ رواياته لأن سياق النص في بابة تعدد القراءات محكم . ويليه كلام على أسباب تعدد قراءات هذا اللفظ ، ثم كلام على آثار تعدد القراءات وهن آثار في الاشتقاق و الدلالة ، و البنية ، و الصيغة ، ونوع التاء ، و التركيب و الظواهر اللهجية ثم كلام على قرائن الترجيح و التوجيه ، ثم كلام على رأي الإمام الحربي .

ثم دراسة القرءات : ثمان صورتهن (أرمت) ، وثنتان صورتاها قريبتان من صوره الثماني هما: أرممت ورممت .



الحمدُ للهِ الذي اصطفى العربيّةَ لساناً للقرآن العظيم، المهيمن على ما بين يدَيه من الكتاب، واصطفى محمّد بنَ عبدالله العربيَّ الأميَّ ـ عليه الصّلاةُ والسّلامُ، بأبي هو وأمّي ـ نبياً للإسلامِ الدين الخاتَمِ، وأجرى على لسانه زبدةَ البيان، وبعدُ:

في الحديث النبوي مواردُ للدّرسِ اللُّغويّ، أعدادُها ميّهةٌ، وَبحْرُها لا يُنْكَفُ: ـ فللغريب [1] موردٌ عينُه كعين الغَنَويّ «هُزْهزٌ، قريبةُ مُرْتَكَضِ المَجَمّ»، حتّى قال أبو عبيدةَ (ت ٢١٠هـ): «أعيانا أن نعرفَ أو نُحصيَ غريبَ حديث رسول الله ﷺ» [2]، وحسبُك مَكْثُ أبي عبيدٍ القاسمِ بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ) في تصنيف كتابه (غريب الحديث) أربعينَ سنةً [3]، ثم قولُ ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): «وقد كنتُ زماناً أرى أنّ كتابَ أبي عبيدٍ قد جمع تفسير غريب الحديث، وأنّ النّاظرَ فيه مُسْتغنٍ به، ثُمّ تعقّبتُ ذلك بالنّظر والتفتيشِ والمذاكرةِ؛ فوجدتُ ما تركَه نحواً ممّا ذكر أو أكْثَرَ منه» [4]، ثم قولُ الخطّابيّ (ت٣٨٨هـ): «مضى عليّ زمانٌ وأنا أحسبُ أنّه لم يبق في هذا الباب لأحدٍ متكلّمٌ.... ثمّ إنّه لمّا كثُرَ نظري في الحديث، وطالتْ مجالستي أهلَه، ووجدتُ فيما يمُرّ بي ويردُ عليّ منه ألفاظاً غريبةً لا أصْلَ لها في الكتابَين= علمتُ أنّ خلافَ ما كنتُ أذهبُ إليه من ذلك مذهباً، وأنّ وراءه مَطْلباً، فصرفتُ إلى جمعها عنايتي... حتّى اجتمع منها ما أحبَّ اللهُ أن يُوفّقَ له، واتّسقَ الكتابُ، فصار كنحوٍ من كتاب أبي عبيدٍ أو كتابِ صاحبه» [5].

وأنت خبيرٌ بأنّ الإمامين ابنَ قتيبة والخطابيّ ـ وهُما هُما ـ آخذانِ بمنهاج التّعاقُب.

ـ وللهجات موردٌ لا يؤبى، مادّتُه إما من كلام النّبي ﷺ النّاسَ بلسانهم [6]، وإما من كلامه عليه الصلاة والسلام في بعض النوازل «وبحضرته أخلاطٌ من النّاس، وقبائلُهم شتّى، ولغاتُهم مختلفةٌ، ومراتبُهم في الحفظ والإتقان غيرُ متساويةٍ، وليس كلُّهم يتيّسرُ لضبط اللّفْظِ وحَصْرِه، أو يتعمّدُ لحفظِه ووعْيِه، وإنّما يَستدركُ المرادَ بالفحوى، ويتعلّق منه بالمعنى، ثُمّ يؤدّيه بِلُغَتِه، ويُعَبّرُ عنه بلسان قبيلته» [7].

وسترى شيئاً من هذا المورد في البحث إن شاء الله تعالى.

---

(١) الغريب غريبان: غريب اللفظ، وغريبُ المعنى، والكلامُ عليهما في: غريب الحديث للخطابي ٧١/١، مجموع الغرائب ٢١/١.

(٢) غريب الحديث للخطابي ٦٩/١.

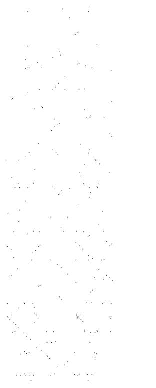
(٣) غريب الحديث للخطابي٧٠/١.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة ١٥٠/١.

(٥) غريب الحديث للخطابي ٤٨/١.

(٦) الإلماع ١٥٩، فتح المغيث ١٥٨/٣، ١٥٩، منهج السياق ١٣٨، ١٤٠.

(٧) غريب الحديث للخطابي ٦٨/١-٦٩.



–ولأبنية الأسماء وأبنية الأفعال وجهات الإعراب مواردُ سمّاهُنَّ الخطابيُّ الأصول، وقال: «فإنَّ مَن لم يُحكم هذه الأصولَ لم يكمُل لأن يكون واعياً لعلم، أو راوياً له»[1].

.وللمتشابه في الرَّسْم وقراءاتِه وما يعتريه من التَّصحيف والتّحريف مواردُ تُفضي إلى حديث المعجم ورصيده الاستبداليّ، والمعنى المنطقي، والسّياق، والقيم الخلافيّة، ونظام اللغة.

ومواردُ أُخَرُ...

تلك المواردُ رادهنَّ النّمطُ الأوّلُ «والنّاسُ إذ ذاك متوافرونَ، والرّوضُ أُنُفٌ، والحوضُ ملآن»فصدروا بما بعضُه ما رأيتَ من مدوّنات غريب الحديث والتصحيف.

... ثُمَّ كان من نمطنا ما كان، والنّاسُ كما ترى، والرّوضُ قد استحالَ عُرًى، وما في الحوض إلا رِجْرجةٌ، ولكنَّ أولئك الموارد ـ كما كُنَّ ـ عِذابٌ لهنَّ ثائبٌ،وماؤهنَّ ليس فِراطاً، والسُّبل إليهنَّ مُديَّثةٌ يحثُّ فيها العَوْدُ، وُيَرغِّبُ فيها قولُ أبي الفتح (ت٣٩٠هـ): «وكلامُ العرب لِمَنْ عَرفَه وتدرَّبَ بطريقها فيه جارٍ مَجْرى السِّحر لَطَفا، وإنْ جسا عنه أكثرُ من ترى وجفا»[2].

ذلك، ومن مسائل المتشابه في الرَّسْم مسألةُ (أرمت) في حديث فَضْلِ يومِ الجمعة، إذ قُرئ ذا اللّفظُ قراءاتٍ تعدّدتْ بهنَّ الصّيغُ وجهاتُ الاشتقاق والدّلالةُ والتّركيبُ النحويُّ، وقفني على إحداهنَّ أستاذي منصور مهران ـ شفاه الله ـ ثم انفتحتْ للقولِ أبوابٌ، فولجتُ مستعيناً بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو حسبي.

ورأيت أن يَقْدُمَ القولَ متنُ الحديث والقراءاتُ مجملةً، ثم يتلوهما ذِكْرُ أسباب تعدُّد القراءات، وآثارِه، وقرائنَ مُرَجِّحاتِ قراءاتٍ ومبعِّداتِ قراءاتٍ، ثم كلامٌ على رأي الإمام إبراهيم الحربي (ت٢٨٥هـ)، وسترى ثَمَّ: لِمَ تَفرَّدَ رأيُه بكلامٍ، ثم دراسةُ القراءاتِ قراءةً قراءةً، ومن الله التّوفيقُ.

أولاً: مَتْنُ الحديث:

متنُ الحديث هو السّياقُ النَّصِّيُّ الذي وردتْ فيه (أرمت)، وسياق النَّصّ في باب تعدُّد القراءات كما سيأتي، إن شاء الله تعالى ـ مُحَكَّمٌ.

من أجل ذلك لازماً كانَ ذِكْرُه وذِكْرُ ألفاظِ رواياته على النَّحو الآتي:

... عن أَوْسِ بن أَوْسٍ[3] ـ رضي الله عنه ـ قال: «قال رسول الله ﷺ: مِنْ أَفْضَلِ أيّامِكُمْ يومُ

(١) غريب الحديث ٥٣/١.

(٢) الخصائص ٢٠٥/١.

(٣) كذا الاسمُ فيما وقفتُ عليه من دواوين السُّنَّة إلا أكثر نسخ (مسند أحمد)، ففيها: أوس بن أبي أوس، فأثبته محقّقا الجزء السادس والعشرين، ونبَّها على الخلاف فيه، راجع: المسند ٧٧/٢٦ ح١. وقال السّخاويُّ: «قد وقع هذا الحديث عند ابن ماجه في (الصلاة) من (سننه) فسمّى الصحابيَّ شدّادَ بن أوس، وذلك وهَمٌ نبَّه عليه المِزّيُّ وغيرُه، وقد وقع عنده في (الجنائز) على الصّواب كما أخرجناه» القول البديع ٢٣٣.

الجُمُعة؛ فيه خُلِق آدَمُ، وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفخةُ، وفيه الصَّعقةُ؛ فأكثِروا عليَّ مِنَ الصَّلاةِ فيه، فإنَّ صلاتَكُم معروضةٌ عليَّ، فقالوا: يا رسول اللهِ، وكيف تُعْرَضُ عليك صلاتُنا وقد أرمت؟ يعني: وَقَدْ بليت - قال: إنَّ الله - عز وجلَّ - حرَّمَ على الأرْضِ أنْ تَأْكُلَ أجسادَ الأنبياء»[1] صلواتُ الله عليهم.

هذا لفظُه في (المسند) للإمام أحمدَ (ت٢٤١هـ)[2]، وله ألفاظٌ أُخَرُ مِنْ طُرُقٍ، وطُرُقُه كُلُّها عَنْ حُسين بن عليٍّ الجُعْفيِّ عن عبدالرحمن بن يزيد بنِ جابر[3] عن أبي الأشْعَثِ الصَّنعانيِّ عن أَوْس:

ففي (المصنَّف) لابن أبي شيبةَ (ت٢٣٥هـ): «... فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، كيفَ تُعْرَضُ صلاتُنا عليك وقد أرمت؟ - يعني: بليت - فقال: إنَّ اللهَ حرَّمَ على الأرض أنْ تأْكُلَ...»[4].

وكذلك لفظه في (السُّنن) لابن ماجه (ت٢٧٥هـ)، وهو من طريق ابن أبي شيبةَ[5].

وفي (السُّنَن) للدّارميِّ (ت٢٥٥هـ) مثْلُه من طريقٍ آخر[6].

وفي (السُّنن) لأبي داود (ت٢٧٥هـ): «قال: قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعْرضُ صلاتُنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقولونَ: بليت. قال: إنَّ اللهَ عزّ وجلَّ حرَّم على الأرْضِ أجسادَ الأنبياء»[7].

وفي (مشكاة المصابيح) لمحمد بن عبدالله الخطيب التِّبريزي (من علماء القرن الثّامن) = مثْلُه[8].

وفي (السُّنن الكبرى) و(السُّنن الصُّغرى: المجتبَى) للنَّسائيِّ (ت٣٠٣هـ): «قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرَضُ صلاتُنا عليك وقد أرمت؟ - أيْ: يقولون: قد بليت - قال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد حرَّم على الأرْضِ أنْ تأكُلَ أجْسادَ..»[9].

وفي (صحيح) ابن خُزيمة (ت٣١١هـ) من طريق: «قالوا: وكيف تُعَرضُ صلاتُنا عليك وقد أرمت؟ فقال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ حرَّم على الأرْضِ أن تأكُلَ...».

وفيه من طريق آخَرَ: «مثله، وقال: يعنون: قد بليت»[10].

---

(١) صحَّحه جمهورُ أهل العلم. راجع: مسند الإمام أحمد ٨٤/٢٦ح ٢(رقم الحديث ١٦١٦٢)، سنن أبي داود (تعليق الشيخ الألباني) ١٨٢ (رقم الحديث ١٠٤٧)، الأذكار ١٨٦، تهذيب السنن ٤٥٠/١، القول البديع ٢٣٢.

(٢) مسند الإمام أحمد ٨٤/٢٦ (رقم الحديث ١٦١٦٢).

(٣) أعلَّ بعضُ أهل العلم الحديثَ بأنَّ الجُعْفيَّ أخطأ في اسم جدِّ شيخه، فسمّاه (جابراً)، وهو (تميمٌ)، وابنُ تميم منكر الحديث. راجع: تهذيب السُّنن٤٥١/١-٤٥٣، القول البديع ٢٣٢.

(٤) المصنَّف ٤٠/٦ (رقم الحديث ٨٧٨٩).

(٥) سنن ابن ماجه ٩٠٨/٢ (كتاب الصلاة: باب في فضل الجمعة، رقم الحديث ١٠٨٥)، ٢٩٠/٢ (كتاب الجنائز: باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، رقم الحديث ١٦٣٦).

(٦) سنن الدرامي ٣٩٣/١ (كتاب الصلاة: باب في فضل يوم الجمعة، رقم الحديث ١٥٣٥).

(٧) سنن أبي داود ١٨٢، ٢٦٣ (كتاب الصلاة: باب فضل يوم الجمعة، وباب في الاستغفار، رقم الحديث ١٠٤٧، ١٥٣١).

(٨) مشكاة المصابيح ٤٢٩/١-٤٣٠ (كتاب الصلاة: باب الجمعة، رقم الحديث ١٣٦١).

(٩) سنن النسائي الكبرى ٢٦٢/٢، المجتبى ٧٥/٣ (كتاب الجمعة: إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة).

(١٠) صحيح ابن خزيمة ٨٢٨، ٨٣٩ (كتاب الجمعة: باب فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم الحديث ١٧٣٣، ١٧٣٤).

وفي (المستدرك على الصّحيحين) للحاكم النّيسابوريّ (ت٤٠٥هـ): «قالوا: وكيف صلاتُنا تُعْرَضُ عليك وقد أرمت؟ فقال: إنّ الله عز وجلّ قد حرّم على الأرضِ أن تأكُلَ ...»[1] ليس فيه تفسيرُ (أرمت) كما ترى.

وفي (مصابيح السُّنة) للبغويّ (ت ٥١٦هـ): «قالوا: يا رسولَ الله، وكيف تُعْرَضُ عليك صلاتُنا وقد أرمت؟ يقولُ: بليت، فقال: إنّ الله تعالى حرّمَ على الأرض أجساد الأنبياء»[2].

وفي (الأذكار) للنّوويّ (ت٦٧٦هـ): «فقالوا: يارسول الله، وكيف تُعْرَض صلاتُنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول: بليت، قال: إنّ الله حرّمَ على الأرْضِ أجْسادَ الأنبياء»[3].

ذاك متنُ الحديث، وهؤلاء ألفاظُه في دواوين السُّنّة، وهُنّ - فيما أرى - سياقٌ لغويٌّ، له قيمتُه في التّوجيه والتّرجيح.

وفيهنّ بحثٌ من أربعةِ أوجُه:

الأوّلُ: في بعضهنّ: «قالوا: يا رسولَ الله»، وفي بعضهنّ: «قال رجلٌ»، ولا تدافُعَ بينَهما؛ لأنّ الواحدَ في الجماعة يقولُ القولَ، فيُعَبِّرُ عمّا في أنْفسهم، ويُسْنَدُ القولُ إليهم.

وبهذا يُفَسَّرُ ما في (المسند) من اختلاف الإسناد في (فقالوا) و(يعني)، وما في (المصابيح) و(الأذكار) من اختلاف الإسناد في (قالوا) و(يقول).

والثاني: ترى فيهنّ (أرمت) على رسمٍ واحدٍ، وليس في واحدةٍ منهنّ (أرْمَمْتَ) ولا (رَمَمْتَ)، وسترى قيمة هذا بعدُ إن شاء الله تعالى.

ورسْمُ (أرمت) - وحديثُه الحديثُ - يحتملُ في النّظرِ الأوّلِ قراءاتٍ، وقفتُ على ثمانٍ منهنّ، إجمالُهنّ على النحْوِ الآتي:

الأولى: (أَرَمْتَ)؛ بفتح الهمزة والرّاء، وسكون المم، وفتحِ التّاءِ.

والثانيةُ: (أَرَمَّتَ)؛ بفتح الهمزة والرّاء، وتشديد الميم وفتحِها، وفتح التّاء.

والثّالثةُ: (أَرَمَّتْ)؛ بفتح الهمزة والرّاء، وتشديد الميم وفتْحِها، وسكونِ التّاءِ.

والرّابعةُ: (أَرْمَتَّ)؛ بفتحِ الهمزة، وسكونِ الرّاءِ، وفتحِ الميم، وتشديدِ التّاءِ وفتْحها.

والخامسةُ: (أَرْمَتْ)؛ بفتح الهمزة، وسكون الرّاءِ، وفتح الميم، وسكونِ التّاءِ.

والسّادسةُ: (أَرِمْتَ)؛ بفتحِ الهمزة، وكسرِ الرّاءِ، وسكونِ الميم، وفتح التّاءِ.

والسّابعةُ: (أُرِمْتَ)؛ بضمِّ الهمزة، وكسرِ الرّاءِ، وسكونِ الميم، وفتحِ التّاءِ.

---

(١) المستدرك ٢٧٨/١ (كتاب الجمعة).
(٢) مصابيح السنة ١٦٨/١ (كتاب الصلاة: باب الجمعة، رقم الحديث ٩٢٠).
(٣) الأذكار ١٨٦ (باب الصلاة على رسول الله ﷺ، رقم الحديث ٢٩٤).

والثامنةُ: (أُرِمَتْ)، بضمِّ الهمزة، وكسرِ الرّاءِ، وفتح الميم، وسكونِ التّاءِ.

وفيه وجهانِ صورتاهما قريبتانِ من صورة (أرمت)، ذكرهما بعضُ شُرّاح الحديث، وهما:

- (أَرْمَمْتَ).
- و(رَمَمْتَ).

وذِكْرُ القراءاتِ مُجْملاتٍ هنا غايتُه ستراها - إن شاء الله تعالى - حيثُ الكلامُ على أسباب تعدُّد القراءات وأثره، وهو قريبٌ، فأمّا تفصيلُها فله حديثٌ آتٍ.

والثّالثُ: في أكثر الروايات لفظُ (تأكُل) في جواب المصطفى ﷺ، وهو بإزاء (أرمت) في سؤال الصّحابة رضوانُ الله عليهم، وسترى قيمتَه في الكلام على قرائن التّرجيح والتّوجيه.

والرّابع: إدراجُ الرّاوي (بليت) تفسيراً لـ(أرمت)، والتّفسيرُ له أثرٌ في دراسة القراءات والموازنةِ بينَهنّ.

ولا أعلمُ أحداً ذهب إلى أنّه من كلام الرّسول ﷺ إلاّ الطّيبيَّ (ت٧٤٣هـ)، إذ قال: «أقولُ: على ما ورد في (المصابيح)، وهو قولُه: (أرمت. يقولُ: بليت)= مُبْهَمٌ، وأمّا في (المشكاة) فلفظُ الحديث هكذا: (قال: يقولونَ: بليت)= فهو ظاهرٌ؛ لأنّ القائلَ رسولُ الله ﷺ؛ قالَه استبعاداً له»[1].

قلتُ: (يقولُ) في (مصابيح السُّنّة) لفظُ تفسيرٍ، و(يقولون) في (مشكاة المصابيح) كذلك[2].

ولو كان المشكلُ ما في (المصابيح) وحدَه؛ لكان لقول الطّيبيِّ بابٌ من التأويل، ولكنّ للإشكالِ وجوهاً، ذكر منها ملاّ علي القاري (ت ١٠١٤هـ) ما يأتي:

١- الغيبة في (يقولون)، ولو كان من كلام الرّسول ﷺ لكان (تقولون) بتاء الخطاب؛ لأنّه موجّهٌ إلى الصّحابة المخاطَبين.

٢- تكرارُ (قال) في :«قال: يقولون: بليت. قال: إنّ الله حرّمَ...»، فلو كان كلُّه من كلام الرّسول ﷺ لَما كان لـ(قال) الثانية غرضٌ، فدلّ التّكرارُ على أنّ (قال) الأولى للرّاوي فاصلةٌ بين كلامه ومتن الحديث، و(قال) الثّانيةَ للمصطفى ﷺ .

ذكر ملا علي القاري الوجهين، ثم قال: «فمعنى ما في (المشكاة): **قال الرّاوي**: يقولون: أي: يعنون بـ(أرمت): بليت، أيْ معناه، وهذا ظاهرٌ لا غُبار عليه كما لا يخفى، وهذه الجملةُ معترضةٌ لبيانِ مُشكل الحديث بين السُّؤال والجواب»[3].

ويضافُ إلى ما قاله أنّ قبلَ (بليت) في (المسند) و(المصنَّف) و(سنن الدّارمي) – (يعني)، وقبله

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٣/ ٢٠٥.
(٢) مرقاة المفاتيح ٢/ ٢٠٩.
(٣) مرقاة المفاتيح ٢/ ٢٠٩. وانظر: الغريبين ١/ ٦٧، المجموع المغيث ١/ ٥٧.

في (سنن النّسائي)= (أيْ)، وهما لفظتا تفسيرٍ قاطعتانِ بأنّ الكلامَ للرّاوي، أدرجه في الوسط تفسيراً[1]، والله أعلمُ.

ثانياً: أسباب تعدُّد قراءات (أرمت) وتعدُّد وجوهها:

قبلَ حديث الأسباب حديثُ المصطلح، وهو موجَزٌ على النّحو الآتي:

(تعدُّدُ القراءات) يلابِسُه مصطلحٌ، ويُقارِبُه مصطلحٌ، وليساه:

فأمّا الذي يلابسُه فمصطلح (التّصحيف والتحريف)، وملابستُه إيّاه من ملابسة الخاصِّ للعامِّ؛ فكلاهما نتاجُ قراءةٍ، ولكنّ المصحِّف والمحِّرفَ نتاجُ قراءةٍ غير صحيحةٍ[2]، لا يكون غيرَ ذلك، وقراءاتُ (أرمت) - كما سيأتي - منها ما هو صحيحٌ محتملٌ، ومنها ما هو صادقٌ عليه تصحيفُ اللّفظ، ومنها ما هو صادقٌ عليه تحريفُ المعنى؛ فبان أنّ كلَّ تصحيفٍ وتحريفٍ قراءةٌ، وأنّ كلَّ قراءةٍ ليست تصحيفاً أو تحريفاً، وبان - أيضاً - أنّ تداخُلَ المصطلحَيْنِ سبيلُه العمومُ والخصوصُ المطلقُ.

وأمّا الذي يُقاربُه فمصطلحُ (الرّوايات)[3]، فيلتقيان في تعدُّد اللّفظ، ويختلفان في جهة التعدُّد؛ إذ جهةُ (تعدُّد القراءات) عقليّةٌ معوَّلٌ فيها على اجتهاد القَرَأة وفَهْمهم، وجهةُ (تعدُّد الرّوايات) نقليّةٌ معوَّلٌ فيها على إحدى طُرق أخْذِ الحديث وتحمُّله، وهي ثماني طُرقٍ منها ما أداتُه قراءةُ الرّاوي كالوِجادةِ والإجازةِ والمناولةِ والمكاتبة، ولكنّها مقيَّدةٌ بألفاظٍ فصَّلَها أهلُ الحديث[4]، ولم أرَها صريحةً في كلامهم على (أرمت).

من أجل ذلك آثرتُ مصطلح (تعدُّد القراءات) في معالجة مسألة (أرمت)، ورجّحتُ أنّ الرّوايةَ كانت واحدةً؛ ألم ترَ إلى قولِ الإمام الحربيِّ بعد نقْله لفظَ الحديث: «كذا يقولُه المحدِّثون، ولا أعرفُ وجْهَه»[5]، والإمامُ الحربيُّ - فيما أرى - هو فاتحُ بابِ القول في المسألة».

---

(١) الكلامُ على إدراج تفسير الغريب في: فتح المغيث ٢/٨١، تدريب الراوي ١/٢٧٠.

(٢) راجع: التنبيه على حدوث التصحيف ٢٦، تصحيفات المحدثين ١/٢٤.
وعُني علماءُ الحديث - وقد كانوا أمّةً - بظاهرة التَّصحيف والتّحريف، وعالجها جماعةٌ منهم في مصنَّفات مفردات، وعدَّها علماء منهم نوعاً من علوم الحديث، انظر: الجامع ١/٢٨٥ - ٣٠٠، مقدّمة ابن الصلاح ١٤٠-١٤٣، النكتَ الوفيّة ٢/٢٢٤-٢٢٨، فتح المغيث ٣/٤٥٦-٤٦٩، تدريب الراوي ٢/١٩٣-١٩٥، فتح الباقي ٤٢٠-٤٢١.
وعُني بها علماءُ العربية، وأفْرد لها بعضُهم مصنَّفاتٍ، وعدَّها السيوطيُّ في (المزهر ٢/٣٥٣ - ٣٥٤) نوعاً من علوم اللغة متأثِّراً أهلَ الحديث، وهو من خَلَفهم.
وكلامُ المحدَثين عليها في: التّصحيف والتراث الشّعري القديم، التّصحيف والتحريف: دراسة في التَّغيُّر الدلالي (وكلاهما مفردٌ لها)، تحقيق النصوص ونشرها ٦٤-٦٧، مناهج تحقيق التراث ١٢٤-١٤٨، مدخل إلى تاريخ نشر التراث ٢٨٥-٣١٦، وهو كتابٌ فَرْدٌ، ثم سلخ كثيراً منه صاحب (تحقيق التراث العربي: منهجه وتطوره).

(٣) تكلّم الأمير الصَّنعاني على تعدّد الروايات في: رسالة في اختلاف ألفاظ الحديث ٢٦-٤٢.

(٤) الكفاية ٢/١٥٩-٣٦٦، الإلماع ١١٦-١٢٤، فهرسة ابن خير ١٢-٢٢، مقدمة ابن الصلاح ٦٢-٨٧، الاقتراح ٣٠٥-٣١٠، فتح المغيث ٢/٣٢٥-٥٣٠، الغاية ١٤٦-١٦٤، تدريب الراوي ٢/٨-٦٣.

(٥) غريب الحديث ١/٧١-٧٢.

ذاك حديثُ المصطلح، فأمّا حديثُ أسباب تعدُّد قراءات (أرمت) فهو على النّحو الآتي:

تبدّى لي من كلام العلماء على (أرمت) وقراءاتهم له أنّ الأسبابَ أضْرُبٌ:

- ضربٌ راجعٌ إلى الرّسم والشّكل.
- وضَرْبٌ راجعٌ إلى سياق الحديث.
- وضَرْبٌ راجعٌ إلى القارئ: فَهْمِه النّصَّ، وعِلْمِه بلهجات العرب وسَنَنهم في كلامهم.

وتفصيلُها على النّحو الآتي:

السّببُ الأوّلُ (نَقْدُ الحربيّ ما رواه المحدّثون):

ذكر الإمامُ أبو إسحاق الحربيُّ ما رواه المحدّثون، ولم يعرفْ ـ وهوهو ـ وجْهَه، ورأى الصّوابَ أحدَ وَجْهَين ذكرهما[1]، فكان ما قاله سبباً له مسبّبان:

أحدُهما: فَتْحُ بابِ الاجتهاد في الكلام على لفظ (أرمت) وقراءته، وحُقَّ له أن يكونَ فاتحاً؛ فإذا لم يعرفْ ـ وهو الإمام محدّثاً ولغويّاً ـ وجْهَ ما رواه المحدّثون؛ انبغى لمَنْ بعده أن يقفَ ويتأمّلَ.

والآخر: اختلافُ العلماء فيما عزاه إلى المحدّثين ولم يعرفْ وجْهَه، وما صوّبه، فقُرِئ الأوّل قراءاتٍ، وقُرِئ الثّاني قراءاتٍ.

مِنْ أجلِ ذينك رأيتُ قولَه أوّلَ الأسباب وفاتحةَ القراءات، ثُمّ أفردتُ لتحقيقه حديثاً سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ وسترى ثَمَّ رُجحانَ أنّ كثيراً ممّن نقلَ قولَه نَقَلَه من طريقٍ غيرِ كتابه.

السّببُ الثّاني (اتّفاقُ الرّسم وتَرْكُ الشّكْل):

وُضِع نظامُ الكتابة العربية ومن مقاصد واضعه الاختصارُ[2]، فكان تشابهُ بعض الرُّموز (رسم الحروف)، وكان تشابُهُها باباً للتصحيف والتحريف حتى قال الفراءُ (ت ٢٠٧هـ): «إنَّ الذي رَسَمَ حروفَ التّهجي لم يُحْسِنْ»[3]، وقال حمزةُ الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ): «وأمّا سببُ وقوعِ التصحيف في كتابة العرب فهو أنّ الذي أبدعَ صورَ حروفها لم يَضَعْها على حكمةٍ، ولا احتاط لِمَنْ يجيء بعدَه، وذلك أنّه وضعَ لخمسة أحرفٍ صورةً واحدة، وهي: الباءُ والتّاءُ والثاء والياءُ والنّونُ، وكان وجْهُ الحكمة فيه أن يضَعَ لكلّ حرفٍ صورةً مُباينةً للأخرى حتّى يُؤمَنَ عليه التّبديلُ»[4].

---

(١) غريب الحديث ٧٢،٧١/١.
(٢) صبح الأعشى ٣/ ٢٥،٢٤.
(٣) صناعة الكتّاب ٧٢.
(٤) التنبيه ٢٧، وانظر: التصحيف والتراث الشعري ٨٢، مدخل إلى تاريخ نشر التراث ٢٢٩.

قُلتُ: مَن قرأ ثناءَ وليم جونز على الكتابة العربية ونقدَه الألفبائية الإنجليزية[1]، ثم قرأ نقدَ دي سوسير للنِّظام الكتابيِّ في اللُّغات اللاتينية والجرمانية[2]، ثم قرأ نقد فندريس للكتابة الفرنسية والإنجليزية[3]، ثم قرأ نَقْدَ أولمان للكتابة الإنجليزية[4]= هان عنده التَّشابُهُ، ولم ير الواضعَ مسيئاً، ثم عَجِبَ من الرَّائين الأخْذَ بالحرف اللاتينيِّ في كَتْب العربية[5].

ومَن قرأ قولَ حمزةَ الأصفهانيِّ: «فإذا أُغفِلَ الاستقصاءُ على الكلمة، فلم تُوَفَّ الحقوقَ كُلَّها من النَّقط والإعجام، اعتراها التَّصحيفُ، فالتمسوا حيلةً ثالثةً، فلمّا لم يقدروا عليها قالوا: فقد بان لِمَنْ عَقَلَ وأنصف من نفسه أنَّ اعتراضَ التَّصحيف في هذه الكتابة مع ماجُلب إليها من الزِّيادة في البيان بالنَّقط والإعجام= ليس إلا من ضَعْف الأساس»[6]= من قرأه قال: الإنصافُ أنَّ كلَّ نظامٍ لا يوفَّى حقَّه مظنَّة الخلل، فكيف إذا كان النِّظامُ رمزيّاً ومأتيّاً مِنْ قِبَلِ غير الموفِّيه رموزَه!

ولئلا يُظَنَّ أنَّ البابَ بابُ تَلْبٍ أقولُ:

استوى النظامُ على سوقه بإبداع الإعجام واختراع الشَّكل، فلو أنَّ النّاسَ لَزِموهما لكانت «غايةُ الغايات في الاختصار والبيان»[7]، ولكنَّ النّاسَ فَرَّطوا في الصّورة التُّمّى، ثم النِّظامَ ينتقدون.

ذلك، وللعلماءِ فيما يُشكَلُ مذاهبُ، أعدلُها - فيما أرى - قولُ ابن مجاهدٍ (ت٤٢٣هـ): «الشَّكْلُ سِمةٌ للكتاب كما أنَّ الإعرابَ سمةٌ لكلام اللِّسان، ولولا الشَّكْلُ لم تُعْرَفْ معاني الكتاب كما لولا الإعرابُ لم تُعرفْ معاني الكلام، والشَّكْلُ لِما أُشْكِلَ، وليس على كلِّ حرفٍ يقعُ الشَّكْلُ، إنَّما يقعُ على ما إذا لم يُشْكَل التبسَ»[8].

وأَوَّلُ المشْكِل ما اتَّفقَتْ حروفُه[9]، فكان الفيصلُ الشَّكْلَ (ضبط القلم) أو الضَّبطَ بالنَّظير أو بالعبارة، ومثالُه القريب (أرمت)، فبترك ضبْطه يُقرأ على وجوهٍ بعضُها ما رأيتَ آنفاً، وسترى

(١) موجز تاريخ علم اللغة ٣٢٢.
(٢) دروس في الألسنية العامة ٥٥،٥٩. وانظر: الكتابة والقراءة ٢٩.
(٣) اللغة ٤٠٩،٤١٤.
(٤) دور الكلمة في اللغة ٤٧-٥٠.
(٥) ترى بعضَهم في: الحروف اللاتينية لكتابة العربية ١٥٠، اللغة العربية العلمية ٧٠. ولدي سوسير كلامٌ جيِّدٌ على مفاسد استعارة أمّة نظامَها الهجائي من أمّة أخرى. دروس في الألسنية العامة ٥٤.
(٦) التنبيه ٢٨. وانظر: شرح ما يقع فيه التصحيف ١/١٤، تصحيح التّصحيف ١٤.
(٧) حياة اللغة العربية ١٠٦. وانظر: الكتابة والقراءة ٢١.
(٨) المحكم للداني ٢٣. وراجع: أدب الكتّاب ٨١، الإلماع ١٣٥،١٣٦، الدر النضيد ٢٦٢، المعيد ٢٥٩، الكتابة العربية ٢٠٥، التصحيف والتراث الشّعري ٢٢٨.
(٩) وضع بعضُ أهل الأدب قواعدَ لِما يُشْكَلُ: راجع: حياة اللغة العربية ٩٩،١٠٣، الكتاب والقراءة ٨٩.

المصدِّقَ في الكلامِ على رأي الحربيّ واختلافِ العلماءِ فيما لم يَعْرِفْ وجْهَه وما صوَّبَ، ثم ستراه - إن شاء الله تعالى - في (دراسة القراءات) حيثُ ذِكْرُ شَكْلِ محقِّقي دواوين السُّنّة وشروحها.

السَّببُ الثّالثُ (اتِّفاقُ الرَّسْمِ والشَّكْلِ):

كانَ ذلك في (أَرَمْتَ) بسبب من تغييرٍ صوتيٍّ في بنية (أَرْمَمْتَ)، حُذفتْ به إحدى الميمين كما حُذفت إحدى السِّينَينِ في (أَحَسْتُ)؛ فطابق الرَّسْمُ والشَّكْلُ رسْمَ (أَرَمْتَ) من (الأَرْمِ) وشَكْلَها، فكان أن قرأها بعضُ شُرّاح الحديث على الوجهين[1]، وسيأتي حديثُهما - إن شاء الله تعالى - مفصَّلاً في (دراسة القراءات).

السَّببُ الرّابعُ (تقارُبُ الرَّسْمِ):

تقدَّمَ أنَّ من الوجوه الواردة في المسألة (أَرْمَمْتَ) و(رَمَمْتَ)، وقيل هنالك: الذّاكروهما بعضُ شُراح الحديث، وفي دواوين السُّنّة (أرمت) فحسبُ.

وصورُ الثّلاثِ مُتقارباتٌ، ليس بينهنَّ إلا زيادةُ حرفٍ، ونقْصُ حرفٍ؛ فغيرُ بعيدٍ أن يُحرِّفَ البَصَرُ إحداهنَّ إلى إلْفِه[2]، وإنْ حَسُنَ الكتْبُ، أو يُقَصِّرَ الكاتبُ فيغلوَ في مشْقِ الحروفِ أو تعليقِها، ويطغى القلمُ فيصلَ منفصلاً ويفصلَ متّصلاً، فتلتبسَ الصُّوَرُ الثّلاثُ.

السَّببُ الخامسُ (تشابُهُ علامة الإهمال وبعض علامات الشَّكل):

قصد العلماءُ إلى الزّيادة في الضّبط والتحرُّز، فوضعوا للحروف المهملات علاماتٍ تكونُ تحتَ الحرفِ أو فوقَه، ولهم فيهنَّ مذاهبُ[3]، ومنهنَّ ما قد يُشْبِهُ بعضَ علاماتِ الشَّكْلِ، وربّما كان ذلك الشَّبَهُ طريقاً إلى التَّصحيف، يقولُ الحافظُ العراقيُّ (ت٨٠٦هـ): «سمعتُ بعضَ أهلِ الحديث يفتحُ الرّاء من (رِضْوان)، فقلتُ له في ذلك، فقال: ليس له رِضْوانٌ؛ بالكسر، فقلتُ: إنّما سُمِّيَ بالمصدرِ، وهو بالكسر، فقال: وجدتُه بخطِّ فلانٍ بالفتح، وسَمّى مَن لا يحضُرني ذِكْرُه الآنَ، ثمَّ إنّي وجدتُ بعدَ ذلك في بعضِ الكتب القديمة هذا الاسمَ وفوقَه فتحةٌ، فتأمّلتُ الكتاب، فإذا هو يخُطُّ فوق الحرفِ المهملِ خطّاً صغيراً، فعرفتُ أنّه علامةُ الإهمال لا الفتحِ، وأنَّ الذي قالَه بالفتح من هاهنا أُتِيَ»[4].

وحديثُ تلك العلامات في (أرمت) على النّحو الآتي:

الحرفُ الذي يُعْلَمُ منها بعلامة الإهمال الرّاءُ؛ لكيلا يلتبسَ بالزّاي، ورأيتُ ناسخَ المجلدة

---

(١) شرح سنن النَّسائي ٩٥/١٦.

(٢) تكلّم المحقق الدكتور محمود الطناحي على الإلف في: مدخل إلى تاريخ نشر التُّراث ٣١٢.

(٣) تفصيلها في: الإلماع ١٤١، مقدمة ابن الصلاح ٩٠، فتح المغيث ٣٣/٣-٣٦، تدريب الراوي ٧١/٢، فتح الباقي ٣٧٥-٣٧٧، الدر النضيد ٢٦٤-٢٦٥.

(٤) الدر النضيد ٢٦٥، توجيه النظر ٧٨١.

الخامسة من (غريب الحديث) للحربيّ - وهي قديمةٌ محفوظةٌ في (الظّاهرية)- يجعلُ العلامة فوقَ الرّاء مرّةً كالنّبرة (الهمزة) ومرّةً كقُلامة ظُفرٍ مُلقاةٍ على قفاها، ولم يكُنْ في رسْمها على سبيلٍ واحدةٍ، ولم يتحرَّ [راجع الملحق في آخر البحث]؛ فالأولى ربّما أشبهت السُّكونَ، والثّانيةُ ربّما أشبهت الفتحة والسُّكونَ.

ثم رأيتُ أثرَ ذينك الشَّبَهَين في قراءة الخالفينَ:

- رأيتُه في قراءة محقِّق المجلدة الخامسة الدكتور سليمان العايد؛ إذ ضَبَطَ اللَّفظَ الذي لم يعرف الحربيُّ وجْهَه هكذا (أَرَمْتَ)؛ بفتح الرّاءِ، وكان قد ضبطَه قبلُ هكذا (أَرِمْتَ) بكسر الرّاءِ[1]، ولا تفسيرَ لاختلاف ضَبْطَيه عندي إلاّ أنّه قرأ علامةَ الإهمال التي كالقُلامة فتحةً [راجع الملحق آخر البحث]، وسيأتي تفصيلٌ في الكلام على رأي الحربيِّ إنْ شاء الله تعالى.

- ورأيتُه في (شرح سنن أبي داود) لبدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)؛ إذ ضُبِطَ بالعبارة أحدُ الوجهين اللّذين صَوَّبَهما الحربيُّ هكذا (أَرَمْتُ)[2]، وهو ضبطٌ غريبٌ كما سيأتي في (دراسة القراءات)، وأُرى صاحبَه حسبَ علامةَ الإهمال التي على الرّاءِ سكوناً، ثم بنى سائرَ ضَبْطه على ما حَسِبَه.

وليس العينيُّ أوّلَ ذاكري هذه القراءة، إذ وردتْ في إحدى نُسخ (المجموع المغيث) للمدينيّ (ت٥٨١هـ)[3]. والتّفصيلُ آتٍ - إن شاء الله تعالى - في الكلام على رأيِ الحربيِّ.

السّببُ السّادسُ (اتّفاقُ المنطوق وبناءُ الرّسْم على لفْظ المُمْلي):

ذلك في قراءة (أَرَمْتّ)، وهي قراءةٌ نقَلَها بعضُ شُرّاح الحديث عمّن لم يُسَمّوه، وحملوها على أنّ الأصْلَ (أَرْمَمْتَ)، فأُدغمت الميمُ في التاء، وخَطّؤوها[4].

وإنْ ثبتَ كَتْبُها كذلك وحُملت على ما قالوه؛ فقد بنى الكاتبُ على منطوق المملي والمستملي، ولو بنى على الأصْل الذي تقتضيه قواعدُ الكتابة لَرَسَمَها هكذا (أَرْمَمتّ)[5].

قلتُ: ظهرتْ لي فيها قراءةٌ أُخرى يوافقُ منطوقُها منطوقَ ما حملوها عليه، وهي أن تكون (أَرْمَدتّ) بإدغام الدّالِ في التّاءِ، ويكونَ الكاتبُ قد رَسَمَها على الملفوظ[6]، وسيأتي الحديثُ الأشَفُّ - إن شاء الله تعالى - في (دراسة القراءات).

---

(١) غريب الحديث ١/٦٨، ٧١.
(٢) شرح سنن أبي داود ٤/ ٣٦٦.
(٣) المجموع المغيث ١/٨٠٦ ح٣.
(٤) المجموع المغيث ١/٨٠٧.
(٥) أدب الكتاب ٣٤٥.
(٦) لهذه الظاهرة أمثلةٌ بعضُها في: مناهج تحقيق التراث ١٢٨-١٢٩.

وفي كلا الحملين يُلحظُ أنَّ للرَّسْمِ على الأصل وتركِ موافقة المنطوقِ = قيمةً تمييزيةً.

السَّببُ السَّابعُ (احتمالُ السِّياقِ قراءاتٍ):

ستأتي - إن شاء الله تعالى - قيمةُ السِّياق في التَّرجيحِ والموازنةِ حيث الكلامُ على (قرائن التَّرجيح والتَّوجيه).

فأمَّا حديثُ سياق النَّصِّ هنا فمن وجهٍ آخرَ هذه قصَّتُه:

رأيتُ بعضَ العلماء - وهم يُعالجونَ لفظَ المسألة - يذكرون قراءاتٍ لا يأباهُنَّ سياق النَّصِّ، ويُفَسِّرونهنَّ وَفْقَه، ومنهنَّ:

(أَرَمْتَ، وأَرَمَّتْ، وأَرَمَّتَ، وأَرِمْتَ، وأَرْمَمْتَ، ورَمَمْتَ)، وسترى التفصيلَ - إن شاء الله تعالى - في (دراسة القراءات)، فهذا موضعُ جُمَلٍ.

رأيتُ ذلك فرجَحَ لديَّ أنَّ سياق الحديث قد يكونُ باباً لتعدُّد القراءات كما يكونُ طريقاً إلى اطِّراح بعضِها وتقْليلها.

السَّببُ الثَّامنُ (قراءةُ اللَّفظ منزوعاً من السِّياق):

ورأيتُ بعضَ العلماء - وهو يُعالجُ اللَّفظة - يأخذُه الكلامُ إلى شعابه، ويبعُدُ عهدُه بسياق نصِّ الحديث؛ فيوردُ قراءاتٍ يحتملُها الرَّسْمُ ولا يقبلُها السِّياقُ، فبدا لي أنَّ المأتى قراءةُ اللفظة خارجَ سياقها، وفيما يأتي مثالان:

أحدُهما: أجاز بعضُ شُرّاح الحديث أن تكون (أَرَمْتَ) من (الأرْمِ)؛ وهو الأكل[1]، وعليه يكونُ المعنى: وقد أَكَلْتَ، وهو معنًى - كما سيأتي في (دراسة القراءات) - يأباه سياقُ الحديث؛ من أجل ذلك أُرى الشَّارحَ أُتيَ مِن قِبَلِ نَزْعِ اللَّفظِ من سياقه.

والآخر: ذكر بعضُ شُرّاح الحديث قراءة (أَرْمَتْ)[2]، وأصْلُها - في وجهها الظاهر - (أَرْمى) من (الرَّمي)، وليس لها في وُجْدي على الوجه الظاهر معنًى هنا، وأُرى قارئها أخذه تقليبُ الافتراضات، ولم يعرضْها على سياق الحديث، والله أعلمُ.

وفيها وجهٌ آخرُ غير ظاهرٍ، وسيأتي - إن شاء الله - في (دراسة القراءات).

السَّببُ التَّاسعُ (ورودُ اللَّفظ على لهجةٍ لم تبْلُغ القارئَ)[3]:

سَعةُ العربية من سماتها الظّاهرة؛ حتى قال الفراءُ: «وهذا من سَعة العربية التي تسمعُ

(١) شرح سنن النسائي للولّوي ١٦/٩٥.
(٢) شرح سنن أبي داود للعيني ٤/٣٦٦.
(٣) راجع ما كتبه الدكتور محمود الطناحيُّ في: مدخل إلى تاريخ نشر التراث ٣٠١-٣٠٢.

بها»[1]، وقال أيضاً: «وهذا من سَعة العربية التي يُحتَجُّ بسَعتها»[2]، فجعلها حجّةً، ورآها ابنُ فارسٍ (ت٣٩٥هـ) سبيلاً إلى التّروّي في «الحكم على الرّواية بالخطأ، والبحثِ الشديد»[3].

ومن وجوه تلك السّعة كثرةُ اللّهجات، ولها في الحديث النّبويّ موردٌ مضت مادّتاه في صدر البحث، وأزيد هنا كلاماً للإمام النّسائي؛ لِلَيْقِه بالمقام، إذ سُئل عن اللّحن في الحديث، فقال: «إنْ كان شيئاً تقولُه العربُ ـ وإن كان في غير لغة قريش ـ فلا يُغَيَّرْ؛ لأنّ النّبيّ ﷺ كان يُكلّمُ النّاسَ بلسانهم»[4].

ومن باب تشعُّب اللّهجات أُتِيَ أعلامٌ من المحدّثين:

ترى ذلك في قول القاضي عياضٍ (ت٥٤٤هـ): «وقد نبّه أبوسليمان الخطّابيُّ على ألفاظٍ من هذا في جُزءٍ أيضاً، لكنّ أكثرَ ما ذكره ممّا أنكره على المحدّثين له وجوهٌ صحيحةٌ في العربية وعلى لغاتٍ منقولةٍ، واستمرّت الرّوايةُ به، وليس الرّأيُ في صدرٍ واحداً»[5].

وتراه في قول ابن الصّلاح (ت٦٤٢هـ): «وكثيراً ما نرى ما يتوّهمُه كثيرٌ من أهل العلم خطأً ـ وربمّا غيّروه ـ صواباً ذا وجهٍ صحيح وإنْ خفي واسْتُغْرِبَ، لا سيّما فيما يعدُّونه خطأً من جهة العربيّة، وذلك لكثرة لغات العرب وتشعُّبِها»[6].

من أجل ذلك حمى كثيرٌ من علماء الحديث البابَ، ورأوا أن يُثبتَ المحدّثُ ما بلغه في الأصل وإن كان يراه خطأً، مع التّضبيب عليه وبيانِ الصّواب خارجاً في الحاشية[7].

ثمّ صدّقت مسألةُ البحث منهاجَهم مُصَدِّقين:

الأوّل: نقل الإمامُ الحربيُّ اللّفظَ كما رواه المحدّثون، وقال: لا أعرفُ وجْهَه، ثُمّ ذكر ما يراه صواباً[8].

وما لم يعرف وَجْهَه مختلفٌ في ضبْطه كما سيأتي في الحديث المفرد لرأيه، وممّا قيل فيه (أَرِمّتَ) و(أَرَمْتَ)؛ والأوّلُ على لغةِ لناسٍ من بكر بن وائل، والثّاني على لغةِ عُزيتْ إلى سُليم وبعض العرب، وتفصيلُهما ـ إن شاء الله تعالى ـ في (دراسة القراءات).

---

(١) معاني القرآن ٣٤١/٢.
(٢) معاني القرآن ١٤٧/١.
(٣) فتح المغيث ١٥٨/٣، ١٥٩.
(٤) الإلماع ١٥٩، وفي (فتح المغيث ١٥٨/٣) نَحْوُه عن أبي عِمران الفسويّ.
(٥) الإلماع ١٦٢.
(٦) مقدمة ابن الصلاح ١٠٨.
(٧) الإلماع ١٦١، مقدمة ابن الصلاح ١٠٨، فتح المغيث ١٥٩/٣، والكلامُ على المسألة في: الجامع ٢١/٢، جامع بيان العلم ٣٥١/١ ـ ٣٥٢، الاقتراح ٣٨٨، تدريب الراوي ١٠٥/٢، ١٠٨.
(٨) غريب الحديث ٧١/١، ٧٢.

والثّاني: نقل الإمامُ ابنُ القيّم (ت٧٥١هـ) عن فريق من المحدثين قولَهم: «اللّفظُ به: أرَمّتَ» ثم غَلّطهم، ولم يُجز الإدغامَ [1].

وما رآه غلطاً لغةٌ كما تقدّمَ.

إذاً، كان ورودُ اللّفظِ على لغةٍ لم تبلُغ القارئَ سبباً إلى تعدُّد القراءات.

السّببُ العاشر (عدمُ معرفة القارئ بعضَ سَنَن العربيّة):

ليس مثلبةً أنْ غاب عن عالمٍ بعضُ مذاهب العرب في كلامهم، وما أنا - علم اللهُ - بقاصدٍ في ذِكْريه إلى الثّلب، وكيف أقصد إليه وأنا من عيالٍ عليهم؟! ونِعْمَ الشّفيعُ لي قولُ أبي أحمد العسكريّ (ت٣٨٢هـ): «ولا يَضَعُ من العالم الذي بَرَع في عِلْمه زلّةٌ إنْ كانتْ منه على سبيل السّهو والإغفال؛ فإنّه لم يَعْرُ من الخطأ إلا مَن عَصَمَ اللهُ جَلّ ذِكْرُه، وقد قالت الحكماءُ: الفاضلُ مَن عُدّتْ سَقَطاتُه، وليتنا أدْركْنا بعضَ صوابهم أو كُنّا مِمَّن يميزُ خطأهم» [2].

ذلك مِهادُ القولِ، فأمّا القولُ فهو:

- نُقِلَ عن بعضِ العلماء أنّه قال: اللّفظُ به (أَرَمّتَ)، وحَمَلَها على إدغام الميم في التّاءِ [3]، وغاب عنه أنّ الميم لا تُدغَمُ في التّاءِ؛ لما سيأتي تفصيلُه في (دراسة القراءات) إنْ شاء اللهُ تعالى.
- ومن العلماء مَن حَمَلَ (أَرِمْتَ) على أنّها محذوفةٌ من (أرْمَمْتَ)، وعلّلَ كَسْرَ الرّاءِ بالتقاء السّاكنين [4]، وغاب عنه أنّ الحاذفين من مثله ينقلون حركةَ العين إلى الفاء فحسبُ، وسيأتي تفصيلٌ - إن شاء اللهُ تعالى - في (دراسة القراءات).

تلك عشرةٌ أُراهُنّ دواعيَ تعدُّدِ قراءات (أرمت)، وكُلُّهنّ مصدّقاتٌ ما قاله المحدّثون عن كتابة الحديث وضبطه ومقابلته [5].

ثالثاً: آثار تعدُّد قراءات (أرمت):

هنّ آثارٌ في الاشتقاق والدّلالة، والبنية، والصّيغة، ونوع التّاء، والتّركيب، واللّهجات، وفيما يأتي حديثُهنّ مُجْملاً، إذ التّفصيلُ آتٍ - إن شاء اللهُ تعالى - في (دراسة القراءات):

١- في الاشتقاق والدّلالة:

أثرٌ جليٌّ؛ به تُصنّفُ القراءاتُ خمسةَ أصنافٍ:

---

(١) تهذيب السُّنن ١/٤٥٠،٤٥١.
(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف ١/٥.
(٣) المجموع المغيث ١/٨٠٧.
(٤) مرقاة المفاتيح ٢/٢٠٩، شرح سنن النّسائي ١٦/٩٥.
(٥) تفصيله في: فتح المغيث ٣/٦٢،٥.

الأوّلُ له خمسٌ، هنّ:

(رَمَمْتَ، وأَرْمَمْتَ، وأَرَمَّتْ، وأَرَمَّتَ، وأَرَمْتَ):

كُلُّهنَّ مِن (الرَّمِّ)، يُقال: رَمَّ العظمُ يَرِمُّ رَمّاً ورميماً، وأَرَمَّ، أي: بَلِيَ، الأخيرةُ عن ابن الأعرابيِّ (ت ٢٣١هـ) وثعلبٍ (ت ٢٩١هـ)، ومنه قيل للعظمِ البالي: الرِّمّةُ، والرَّميمُ [١].

والثّاني له واحدةٌ، هي:

(أَرْمَتَّ):

هي في قول ذاكريها من الصِّنفِ الأوّل، وتحتملُ عندي أنْ تكونَ مِنَ (الرَّمْد)، يقالُ: رَمَدَ القومُ رَمْداً. ويُروى: رَمِدوا رَمَداً. وأَرْمدوا، إذا ماتوا [٢].

والثّالثُ له واحدةٌ، هي:

(أَرِمْتَ):

من (الأَرَم) ،يُقال: أَرِمَ المالُ يأْرَمُ، والرَّجلُ، أي: فنيَ، ومنه قولُهم: أرضٌ أَرِمةٌ، أي: لا تُنبتُ شيئاً [٣].

وسيأتي في (دراسة القراءات) أن (أَرْمَتْ) تحتمله أيضاً. ولكنه احتمالٌ بعيدٌ.

والرّابعُ له ثنتانِ، هما:

(أُرِمْتَ، وأُرِمَتْ):

كلاهما من (الأَرْمِ)، يُقال: أَرَمَ ما على المائدة يأْرِمُه، وأَرَمَتِ الإبلُ، أي: أَكَلَتْ، وأَرَمَت الأرضُ النَّبتَ، إذا أهلكتْه [٤].

والخامسُ له واحدةٌ، هي:

(أَرْمَتْ):

من (الرَّمي)، في الوجه الظاهر، وما جاء منه على (أَفْعَلَ) قولُهم: أَرْمى الفرسُ براكبه، إذا ألقاه، وأَرْمَيْتُ الحِمْلَ عن ظهر البعير فارتمى عنه، إذا طاح وسقط إلى الأرض، وأَرْمى على كذا، إذا زاد عليه [٥]. وكلُّها لا أجدُ لها هنا تأويلاً.

---

(١) التهذيب ١٩١/١٥، المحكم ١١/ ٢١٧، التكملة للصغاني ٦/ ٣٩، اللسان ٢٥٣/١٢، التاج ٣٢/ ٢٨١، وانظر: إصلاح المنطق ٣٧٦، تفسير غريب القرآن ٣٦٨، الصحاح ١٩٣٧، المقاييس ٣٩٧.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ١٠٧/٤، الأفعال ٣/ ١٥، المحكم ٤٩/١٠، النهاية ٢٦٢/٢، اللسان ١٨٥/٣، التكملة للزَّبيدي ٢٠٠/٢.

(٣) المحيط ١٠/ ٢٩٠، المجموع المغيث ٥٧/١، النهاية ٤٠/١، اللسان ١٤/١٢، وانظر: غريب الحديث للحربي ٧٨/١.

(٤) التهذيب ٣٠٠/١٥، الغريبين ٦٧/١، المحكم ٢٦٠/١١، المجموع المغيث ٥٧/١، اللسان ١٣/١٢.
وانظر: الغريب المصنف ٢٤٢/١.

(٥) اللسان ٣٣٥/١٤، ٣٣٨.

٢- **في البنية:**

بهذا الأثر تكونُ القراءات ـ أيضاً ـ أضْرُباً:

الضَّربُ الأوّلُ: ما سلمتْ فيه البنيةُ من التّغيير إلا ما يقتضيه الإسنادُ إلى التّاءِ من إسكان لام الفعل، وأمثلتُه ثلاثةٌ: رَمَمْتَ، وأَرْمَمْتَ، وأَرِمْتَ.

والضرب الثّاني: ما حُوِّلتْ فيه بنيةُ الأصْل إلى بنية ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وله مثالان: أُرِمْتَ، وأُرِمَتْ.

والضّربُ الثالثُ: ما غُيِّرتْ فيه البنيةُ بإدغام المتماثلين المتحرِّكين السّاكنِ ما قبلَهما، وأنت خبيرٌ بأنّ ذا الإدغام يقتضي نقلَ حركة المدغم إلى السّاكن قبلَه (التّبادُل الموقعيّ بين المدغَم وحركته)، وله مثالان: أَرَمَّتْ، وأَرَمَّتَ.

والضربُ الرابعُ: ما غُيِّرت فيه البنيةُ بإدغام المتقاربين السّاكنِ أوّلُهما؛ فيما أُرجِّحُ، ومثالُه: أَرْمَتَّ.

والضربُ الخامسُ: ما غُيِّرتْ فيه البنيةُ بالحذف، وله مثالان:

أحدُهما (أَرَمْتَ): أصْلُه (أَرْمَمْتَ)، ووزنُه (أَفَلْتَ) أو (أَفَعْتَ)؛ على خلافٍ، وفيه تَبِعَ الحذفَ تغييرٌ آخَرُ تحرَّكَتْ به الفاءُ، وذا الحذفُ تخفيفيٌّ، والتّفصيلُ آتٍ ـ إن شاء اللّٰه تعالى ـ في (دراسة القراءات).

والآخَرُ (أَرْمَتْ): أصْلُه في الوجه الظاهر ـ لوصَحَّت القراءةُ ـ (أرْمى)، فحذفت الألفُ حذفاً لازماً؛ لالتقاء السّاكنين في قول علماء العربية، وقُصرتْ لتصحيح البنية المقطعية في قول بعض المحدثين[1]، فصار وزنُه (أَفْعَتْ).

وهؤلاء التّغييراتُ يتبعُها تغيُّرٌ في البنية المقطعية، وحسبي ستة أمثلةٍ، هي: أَرْمَمْتَ، وأَرَمْتَ، وأَرَمَّتْ، وأَرَمَّتَ، وأَرْمَتَّ، وأَرْمَتْ:

فالأولُ (أَرْمَمْتَ) مكوّنٌ من ثلاثة مقاطع: (متوسط مغلق + متوسط مغلق + قصير مفتوح).

والثاني (أَرَمْتَ) مكوّنٌ من ثلاثة مقاطع: (قصير مفتوح + متوسط مغلق + قصير مفتوح).

والثّالث (أَرَمَّتْ) مكوّنٌ من ثلاثة مقاطع: (قصير مفتوح + متوسط مغلق + متوسط مغلق).

والرابعُ (أَرَمَّتَ) مكوّنٌ من أربعة مقاطع: (قصير مفتوح + متوسط مغلق + قصير مفتوح + قصير مفتوح).

والخامسُ (أَرْمَتَّ) مكوّنٌ من ثلاثة مقاطع: (متوسط مغلق+متوسط مغلق + قصير مفتوح).

والسّادس (أَرْمَتْ) مكوّنٌ من مقطعين: (متوسط مغلق + متوسط مغلق).

٣- **في الصّيغة:**

بتعدُّد القراءات تعدّدت صيغُ الفعل على النّحو الآتي:

---

(١) راجع: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ١٢٧.

.للثّلاثي المجرّد ثلاثٌ، هي:

صيغةُ (فَعِلَ) ومثالُها: أَرِمْتَ.

وصيغة (فَعَلَ) ومثالُها: رَمَمْتَ.

وصيغةُ (فُعِلَ) ومثالاها: أُرِمْتَ، وأُرِمَتْ.

– وللثّلاثي المزيد صيغةٌ واحدةٌ، هي (أَفْعَلَ)، ولها ستّةُ أمثلة:

أَرْمَمْتَ، وأَرَمَّتَ، وأَرَمَّتْ، وأَرَمْتَ، وأَرْمَتَّ، وأَرْمَتْ في الظاهر، فالهمزةُ فيهنّ مزيدةٌ، وبعضُهنّ ممّا جاء منه (فَعَلَ وأَفْعَلَ) والمعنى واحدٌ.

٤- في نوع التّاء:

التاء في (أرمت) وقراءاته وحدةٌ متّصلةٌ ذاتُ معنى (Morpheme)، ولها وظيفتان لا تجتمعان:

إحداهما: أن تكون دالّةً على أنّ المسند إليه مؤنّثٌ غائبٌ.

والأخرى: أن تكون ضميراً عائداً إلى المخاطب مسنداً إليه الفعلُ.

وفي الأولى هي حرفُ تأنيثٍ، وفي الثّانية هي اسْمٌ، والفيصلُ بينَهما: أنّ الأولى ساكنةٌ، فتكون نهايةَ مقطع، والثانيةَ متحرّكةٌ تكونُ مع حركتها مقطعاً، وما قبلَ الأولى متحرّكٌ، وما قبل الثانيةِ ساكنٌ إلا في لغةٍ قليلةٍ ستأتي ـ إن شاء اللهُ ـ في (دراسة القراءات)؛ فبان أنّ ذا السُّكونَ له وظيفةٌ صوتيّةٌ (فونولوجية)؛ هي الفِرارُ من توالي المتحرّكات، ووظيفةُ الفصْلِ بين التّاءينِ، وبخاصّةٍ في حال الوقف.

والتّاء الأولى (حرفُ التأنيث) في قراءات ثلاثٍ: أَرَمَّتْ، وأُرِمَتْ، وأَرْمَتْ.

والتّاء الثانيةُ (ضمير المخاطب) في قراءات سبع: رَمَمْتَ، وأَرْمَمْتَ، وأَرَمْتَ، وأَرَمَّتَ، وأَرْمَتَّ، وأَرِمْتَ، وأُرِمْتَ.

٥ـ في التركيب:

لآثار تعدُّد القراءات في التّركيب ثلاثةُ مظاهر:

الأوّلُ في عين المسند إليه وعودِ الضّمير، ومبناه على قراءة التّاءِ: فإذا فُتحتْ كانت هي المسند إليه، وعادتْ إلى المخاطب المصطفى ﷺ ، وإذا سُكّنتْ كان المسندُ إليه ضميراً مُستتراً يعودُ إلى مؤنّثٍ غائبٍ لم يَجْرِ له ذِكْرٌ.

والثّاني في رُكْنَي الجملةِ: ففي القراءتينِ (أُرِمْتَ، وأُرِمَتْ) رُكنا الجملة: فِعْلٌ لما لم يُسَمَّ فاعلُه ونائبُ فاعلٍ، وفي سائر القراءات رُكناها: فِعْلٌ مبنيٌّ للفاعل وفاعلٌ.

والثّالث في التعدّي واللزُّوم: ففي (أُرِمْتَ وأُرِمَتْ) الفعلُ متعدٍّ لم يُذْكَرْ فاعلُه، فناب عنه المفعولُ به، وفي سائر القراءات الفعلُ لازمٌ.

٦. في اللّهجات:

في ثلاث قراءاتٍ ثلاثُ ظواهرَ لهجيّةٍ، هي:

. الحذف في (أَرَمْتَ).

. وإبقاء إدغام المتماثلين في (أَرَمّتَ).

. وإدغام المتقاربين في (أَرْمَتّ)، فيما أُرجّحُ.

وتحتمل (أَرْمَتْ) ظاهرةً رابعةً احتمالاً بعيداً.

وتفصيلُ الأربع . إن شاء الله تعالى . في (دراسة القراءات).

رابعاً: قرائنُ التّرجيح والتّوجيه:

قال جالينوس: « الكِتابُ كلامٌ ميِّتٌ، يتناولُه قارئُه كيف شاء، وكلامُ المخاطِبِ حيٌّ، يُمَكّنُ صاحبَه أن يُبصِّرَه حتّى يَبْلُغَ به غَرَضَه»[1].

وقولُه فيه صحّةٌ من جهة أنّ على عِلْمِ القارئ وثقافته معوّلاً ليس مثلُه على المخاطَب[2]، ولكنْ ليس كلُّ القول هنالك، إذ اللُّغةُ المكتوبةُ حيّةٌ، ومن أسباب حياتها ما تحملُه من قرائن تهدي إلى الأغراض والمقاصد، فليس للقارئ . إذاً . أن يتناولَها كيف شاء، مطّرِحاً القرائنَ التي تكادُ تُمحّضُ المدلولَ وتصرفُه إلى المرادِ منه[3].

من أجل ذلك كان السّبيلُ إلى الموازنة بين قراءات (أرمت) سبيلَ القرائنِ، فإليها الورود، ومنها الصدورُ، وهي . كما بدت لي في الحديث وكلامِ العلماء . على النحو الآتي:

المعنى المعجميُّ، والمعنى العقليُّ (المنطقيُّ)، ونظامُ اللُّغة الصّوتيُّ والصّرفيُّ، والسّياقُ.

وحديثهُنَّ هنا . وهو حديثُ جُملٍ . فيما يأتي:

١- المعنى المعجميُّ:

صلةُ المعنى المعجميّ بالتّركيب النّحويّ باديةٌ في كلام علماء العربية وتفاسيرهم للتّراكيب النّحويّة، تراها في قول سيبويه (ت١٨٠هـ) «وهذا ذِكْرُ معنى (سبحانَ)، وإنّما ذُكِرَ ليبينَ لك وجهُ نصْبِه وما أشْبَهَه»[4]، وقوله: «هذا بابُ ذِكْر معنى لبّيك وسَعْدَيك وما اشْتُقّا

(١) أدب الكتّاب ٦٢.

(٢) راجع الموازنة بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة في: اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ١٠٦، ١١٩-١٢٠.

(٣) راجع: القرائن المعنوية ١٧.

(٤) الكتاب ١/٣٢٤.

منه، وإنّما ذُكر ليبينَ لك وجْهُ نصْبه»[1]، ثم قولِ الرُّمّانيّ (ت ٣٨٤هـ) مُسَوِّغاً: «وإنّما فسّر معنى (لبّيك، وسَعْدَيك) في باب من أبواب النّحو= لينكشفَ وجْهُ إعرابه؛ إذْ كان لا يظهرُ إلا بظهور معناه، ولولا ذلك لم يصحّ تفسيرُ الغريب في أبواب النّحو، لأنّه تخليطٌ بإدخال صناعةٍ في صناعةٍ غيرها، وذلك لا يصلُحُ إلا أن يُجْرَى على طريق النّادرِ الذي لا يُعْتَدُّ به، أو تقتضيَه الصّناعةُ بأمرٍ لا مفرَّ منه كالذي ذكرْنا في (لبّيك، وسَعْدَيك)»[2]، وتراها في قول عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ): «لا يُتَصَوَّرُ أن تعرفَ للّفظ موضعاً حتّى تعرِفَ معناه»[3]، وقولِ ابنِ هشام (٧٦١هـ): «وأولُ واجبٍ على المعرب أن يفهم معنى ما يُعربه مفرداً أو مُرَكباً»، ثم سوقِه أمثلةً مُبينةً عن صِدْق ما قاله[4].

وترى تطبيقاتِها منثوراتٍ في كلام العلماء على القراءات القرآنية[5].

وغلا الدكتور أحمد مختار عمر في البناء على شَكْلِ التّركيب؛ إذ قال: «ومن الممكنِ.... أن يُوجَدَ المعنى النّحويُّ دون المعنى المعجميّ كما في الجمل التي تُرَكَّبُ من كلماتٍ عديمة المعنى مثل: القرعب شرب البنع»[6].

وهو قولٌ كان الدكتور تمام حسّان قد قال مثله في (اللغة العربية معناها ومبناها)[7] ثم رجع عنه متأثّراً تشومسكي[8]، مع ما رأيتَه من كلام أولئك الأئمة.

وما ساقاه من الأمثلة خارجٌ عن حدِّ اللُّغة، وصادقٌ عليه ما سمّاه عبدالقاهر (مُحال الهذيان)؛ إذ لا يُمكنُ «أن يكونَ له إضافةٌ إلى قائلٍ، ونسبٌ يختصُّ له بمتكلّمٍ»[9].

كذلك، فإذا بانت تلك الصِّلةُ ـ وهي بيِّنةٌ، إن شاء الله تعالى ـ وبان أنَّ اللّفظَ المتعدِّدَ القراءات جزءٌ من التّركيب = عُلمت قيمةُ المعنى المعجميّ في معالجة قراءات (أرمت)؛ فبعُدت ـ مثلاً ـ قراءةُ (أَرْمَتْ) من (الرّمي)؛ لأنّ معناها المعجميّ يأبى أن تكون المرادةَ كما سيأتي في (دراسة القراءات).

---

(١) الكتاب ٣٥٢/١، ومن أمثلته ما تراه في: ٣٧/١، ٤٠، ٣٢٥، ٣٥٨، ١٢٠/٢.
(٢) شرح الرماني ١٠٦/١أ، وانظر: ١٢٥/١ب، الرماني النحوي ٢٤٨، ٢٤٩.
(٣) دلائل الإعجاز ٥٣، ٥٤.
(٤) المغني ٧/٦.
(٥) راجع مثلاً: معاني القرآن للفراء ١٧٢/١، ١٧٣.
وتفصيل الكلام على صلة النحو بالمعجم في: القرائن المعنوية ٣٥٧-٤١٩، فكرة الوجوه والفروق ٢٦، النحو والدلالة ٣٩، ٦١، الدلالة والنحو ١١٦، الكلمة في اللسانيات الحديثة ١٩٧، الكلمة دراسة لغوية ١٠٤.
(٦) علم الدلالة ١٤، وراجع: علم الدلالة (بالمر) ١٣٥، ١٣٧.
(٧) اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٢، ١٨٤.
(٨) الأصول ٣٣٠، مقالات في اللغة والأدب ١٣٥-١٦٥.
(٩) أسرار البلاغة ٤٠٣.

٢-المعنى العقليّ (المنطقي):

ذا المعنى منظورٌ فيه إلى العلاقات العقلية (الذهنية) بين أجزاء التّركيب، وموافقتها مبادئ المنطق الطبيعيّ، ومخالفتها إياها بالإحالة أو التناقُضِ [١].

وحديثُ صِلته بالتّركيب النّحويّ في التُّراث قديمٌ:

. تراه مُجْملاً في باب سمّاه سيبويه «هذا بابُ الاستقامة من الكلام والإحالة» [٢]، وهو من أبواب رسالة (الكتاب) التي ضمَّنَها جُمَلَ منهجه في دراسة التّراكيب النحوية، ثم طَبَّقَه في تحليله التّراكيبَ تطبيقاتٍ منثوراتٍ؛ منها قولُه: «لو قُلْتَ: أتاني إلا أبوك، كان محالاً» [٣].

. وفي قولِ أبي سعيد السّيرافيّ (ت٣٦٨هـ) في مناظرته متّى بن يونس (ت٣٢٨هـ): «هاهنا مسألةٌ علاقتُها بالمعنى العقليّ أكثرُ من علاقتها بالشّكل اللّفظيّ: ما تقولُ في قول القائل: زيدٌ أفضلُ الإخوة؟ قال: صحيحٌ. قال: فما تقولُ إنْ قال: زيدٌ أفضلُ إخوته؟ قال: صحيحٌ... فقال أبو سعيد: أفتيتَ على غير بصيرةٍ ولا استبانةٍ؛ المسألةُ الأولى جوابُك عنها صحيحٌ وإن كنتَ غافلاً عن وجْه صِحّتها، والمسألةُ الثانيةُ جوابُك عنها غيرُ صحيحٍ وإن كنت ـ أيضاً ـ ذاهلاً عن وجْهِ بطلانها..» [٤].

- وفي آخر أبواب (الخصائص) «باب في المستحيل، وصِحّة قياس الفروع، على فساد الأصول» [٥].

- وفي قول عبدالقاهر: «ليس الغرضُ بنظم الكَلِمِ أنْ توالتْ ألفاظُها في النُّطقِ، بل أن تناسقت دلالتُها، وتلاقتْ معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل» [٦].

وتزيدُ قيمةُ هذا المعنى في دراسة التّراكيب التي تحتملُ إحدى ألفاظها قراءاتٍ كما في مسألة البحث، إذ سترى في (دراسة القراءات) حَمْلَ بعض العلماء قراءةَ (أَرَمْتَ) على معنى (أَكَلْتَ)، وهو حَمْلٌ يؤدّي إلى التّناقُضِ والإحالة.

٣- نظامُ اللُّغة الصّوتيُّ والصّرفيُّ:

قواعدُ اللُّغة محكّمةٌ في معالجة قراءات المتشابه وتوجيهاتها، وبمعرفتها يكونُ الاحتراسُ من التّصحيف [٧]، وحسبُك قولُ الخطّابيِّ وهو يذكر ما يجبُ على طُلاّب الحديث من تعلُّمِ كلام

(١) راجع: القرائن المعنوية ٤٢١، ٤٧٥، فكرة الوجوه والفروق ٢٨-٣٠.
(٢) الكتاب ١/٢٥، وانظر: من قضايا النظرية اللغوية العربية ٣٦، الدلالة والتقعيد ١٤٢، ١٥٣، مقتض الحال ٤٢٩.
(٣) الكتاب ٢/٣٣١، وانظر: ٣/٦٠.
(٤) الإمتاع والمؤانسة ١/١١٨، ١١٩.
(٥) الخصائص ٣/٣٢٨.
(٦) دلائل الإعجاز ٤٩-٥٠.
(٧) التنبيه ٣٣، وانظر: شرح ما يقع فيه التصحيف ١/١، الإلماع ١٣٩.

العرب وتَعرُّفِ مذاهبِها ومصارفِ وجوهِها: «ومِلاكُ الأمر فيما تمسُّ بهم إليه الحاجةُ منها معرفةُ أبوابٍ ثلاثة: وهي أمثلةُ الأسماء، وأبنيةُ الأفعال، وجهاتُ الإعراب؛ فإنَّ مَن لم يُحكم هذه الأصولَ لم يكْمُلْ لأن يكونَ واعياً لعلمٍ، أو رواياً له، وبالحريِّ أن يكونَ ما يُفسِدُه منه أكثرَ ممّا يُصْلِحُه» [1]، ثم قولُه وهو يذكُرُ التَّصحيفَ وسوءَ التّأويل: «إنّ طالبَ الحديث إذا أغفل معرفةَ الأبوابِ الثّلاثةِ التي قدّمْنا ذِكْرَها لم يكَدْ يسلمُ من التّصحيف وسوءِ التّأويل؛ وذلك لأنّ فيما يردُ من الحديث ألفاظاً كثيرةً متشابهةً في الصّورة والخطّ، مُتنافيةً في المعنى والحكم» [2].

ورأيتُ ما يُصَدِّقُ قولَه في مسألة (أرمت):

رأيتُ بعضَ العلماء يحملُ قراءةَ (أَرْمَتّ) على إدغام الميم في التّاء، وهو حَمْلٌ يأباه نظامُ العربية الصّوتيُّ.

ورأيتُ من يحملُ قراءةَ (أَرِمْتَ) على الحذف من (أَرْمَمْتَ)، وهو حَمْلٌ لم يَجْرِ على نظام العربية الصّوتيِّ والصّرفيِّ.

والتّفصيلُ آتٍ - إن شاء اللهُ تعالى - في الحديث المفرد لدراسة القراءات ووجوهِها.

٤- السّياقُ:

قيمتُه جِماعُها في قولِ ابن القيّم: «السّياقُ يُرشِدُ إلى تبينِ المجمَل، وتعيينِ المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العامّ، وتقييد المطلق، وتنوُّعِ الدّلالة، وهذا من أعظم القرائن الدّالّة على مراد المتكلّم؛ فمَن أهمله غَلِطَ في نظره، وغالط في مناظرته» [3].

وهو سياقان: السّياقُ اللُّغويّ (سياق المقال)، وسياقُ المقام (الموقف الكلاميّ وملابساته)، ولهما أثرانِ في التّركيب: أثرٌ في دلالته الإجمالية وأحكامه، وأثرٌ في دلالة إحدى ألفاظه المحتملات [4].

وحديثُ الأثرين طويلٌ؛ تراه منثوراً في مصنّفات المتقدّمين [5]، وتراه مجموعاً في كتب المحدثين؛ وإن اختلفوا في بعض وجوهه ومآخذه [6].

من أجل ذلك أقولُ موجزاً:

(١) غريب الحديث ٥٣/١.
(٢) غريب الحديث ٥٧/١.
(٣) بدائع الفوائد ٤/ ٩. وراجع: نظرية السياق ١٣١-١٣٢.
(٤) راجع: نظرية السياق ٨٨-١٠٤.
(٥) راجع مثلاً: الكتاب ٢/ ٨٠-٨١، أسرار البلاغة ٣٥٩، دلائل الإعجاز ٤٥، ٢٢٤، ٢٢٥، ٣٣٣، من قضايا النظرية اللغوية ٢٥-٣٥، دلالة السياق ٦١-١٦٢، اللغة وأنظمتها ٢٠٥-٢١٨.
(٦) راجع مثلاً: دلالة السياق ١٦٥-٢٤٥، دور الكلمة ٦٨-٧٤، جدل اللفظ والمعنى ٣٨-٤٤، علم الدلالة (عمر) ٦٨-٧٨، علم الدلالة (بالمر) ٥٣-٧٦، منهج السياق ٢٧-٣١، نظرية السياق ٧٨-٨٦، الكلمة دراسة لغوية ١٥٥-١٦٣، السياق وتوجيه النص ١١٩-١٣٨، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ١١٥-١٢٠.

إرشادُ السّياق في إحدى مفردات التّركيب إرشادان:

الأولُ: إرشادٌ إلى تعيين المعنى في اللّفظ ذي المعاني (المشترك اللّفظي)، وكفيُك من كلام علماءِ العربية عليه = قولُ أبي بكرِ بنِ الأنباريِّ (ت٣٢٨هـ): «كلامُ العرب يُصَحِّحُ بعضُه بعضاً، ويرتبطُ أوّلُه بآخره، ولا يُعرفُ معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمالِ جميع حروفه، فجاز وقوعُ اللّفظ على المعنيينِ المتضادّينِ؛ لأنّه يتقدّمُها ويأتي بعدَها ما يدُلُّ على خصوصيّة أحدِ المعنيين دونَ الآخر، ولا يُرادُ بها في حال التّكلُّم والإخبار إلا معنًى واحدٌ»، وضربَ أمثلةً لسياق النّصّ وسياق الموقف، ثم قال: «ومجرى حروفِ الأضداد مجرى الحروف التي تقعُ على المعاني المختلفة وإن لم تكن متضادّةً، فلا يُعرفُ المعنى المقصودُ منها إلا بما يتقدّمُ الحرفَ ويتأخّرُ بعده ممّا يوضحُ تأويلَه....»[1].

ولم أرَ في كلام المحدثين على هذا الضّربِ من الإرشادِ مزيداً على قول أبي بكرٍ إلا التّنظيرَ والتّفصيلَ[2].

والثاني: إرشادٌ إلى تعيين اللّفظ ذي الرّسْمِ المحتمل (المتشابه):

نبّه عليه علماءُ العربيّة؛ للهِ همْ:

ذكره ابنُ قتيبةَ حيث تكلّمَ على الرّسم، فقال: «وربّما لمْ يمكن الكتّابَ أن يفصلوا بين المتشابهيينِ بزيادةٍ ولا نُقصانٍ، فتركوهما على حالهما، واكتفوا بما يَدُلُّ من متقدّمِ الكلام ومتأخّره مُخبراً عنهما»[3].

وذكره جماعةٌ حيثُ تكلّموا على التّصحيف، ومن أقوالهم:

قولُ حمزةَ الأصفهانيّ: «ويكونُ الاحتراسُ من التّصحيف لا يُدركُ إلا بمعرفة اللُّغة وعلمِ مقدّمات الكلام ومعرفةِ ما يصلح أن يأتي بعدَها ممّا يُشاكلها، وما يستحيلُ مصاقبتُه لها»[4].

وقول العسكريِّ: «فالاحتراسُ من التّصحيف لا يُدركُ إلا بعلم غزيرٍ وبمعرفة مقدّمات الكلام وما يصلح أن يأتي بعدَها ممّا يُشاكلُها وما يستحيلُ مُضامّتُها لها ومُقارنتُها بها ويمتنع من قوعها بعدَها»[5]، وتلحظُ في كلامه أثراً ممّا قاله حمزةُ الأصفهانيُّ.

وقولُ الخطابيِّ: «وذلك لأنّ فيما يردُ من الحديث ألفاظاً كثيرةً متشابهةً في الصورة والخطّ، متنافيةً في المعنى والحكم، فحقّ على طالب الحديث أن يرفقَ في تأمّلِ مواضع الكلمة،

---

(١) الأضداد ٢.٦.

(٢) راجع: دور الكلمة ٧٢، اللغة ٢٣١، علم الدلالة (كلود جرمان) ٤٤، الكلمة دراسة لغوية ١٥٧.

(٣) أدب الكاتب ٢١٤.٢١٥.

(٤) التنبيه ٣٣.

(٥) شرح ما يقع فيه التصحيف ١/١.

ويُحســنَ التَّأنّيَ لمحنة اللَّفظِ ومعرفةِ ما يليقُ به من المعنى؛ ليستوضحَ به قصدَه، ويُصيبَ جهتَه؛ فإنّ قوماً أغفلوا تفقُّدَ هذا البابِ؛ فلحقتْهم سمةُ التّصحيف، ولزمتْهم هجنةُ التّقصير، وصاروا سُبّةً على أهل الحديث»[1].

ومن أجْله رأى أبو إسحاق النّجيرميُّ (من علماء القرن الرابع) أن أَولى الألفاظ بالضّبط أسماءُ النّاس؛ لأنّها شيءٌ ليس قبلَه شيءٌ يدلُّ عليه ولا بعدَه شيءٌ يدلُّ عليه[2].

وإنّما نقلتُ كلامَهم ليُعْلَمَ سبقُهم إلى هذه البابة، ويبينَ أنّ الصُّدورَ عن مقالتهم والسُّلوكَ لمسالكهم.

كذلك، ومسألةُ (أرمت) من هذا الضّربِ المتشابه في الرّسْم، وحديثُ سياقه حديثان: حديثٌ عن سياقه اللُّغويّ (المقاليّ)، وحديثٌ عن سياقه المقاميّ (سياق الموقف الكلاميّ وملابساته)، وهما على النّحو الآتي:

الأوّلُ: السّياقُ اللُّغويُّ:

يرى الدكتور عيد بلبع أنّ السّياق اللغويّ للحديث النّبويّ ضربان:

أحدهما: السياق اللغويّ الداخليّ، وقال عنه: «هو المحدودُ بحدود النّصّ لا يتجاوزه، ويبدأُ ببنية الكلمة المفردة، وتركيب الجملة، وعلاقات الجُمل»[3].

والآخر: السّياقُ اللغويُّ العام، وقال عنه: «هو المتعلّقُ بالنُّصوصِ التي ينبثقُ النّصُّ عنها، أو ينبثق فيها، أو يشتركُ معها بنسَبٍ تزيد أو تقلُّ»[4].

وأراه ثلاثةَ أضْرُب:

أولُها السياقُ اللُّغويُّ الخاصُّ؛ سياقُ الحديث في إحدى رواياته.

وثانيها السّياقُ اللُّغويُّ العامُّ؛ سياقُ روايات الحديث كلِّها.

وثالثُها السّياقُ اللغويُّ الأعمُّ؛ سياقُ الحديث مع شواهده من السُّنّة.

وترى تطبيقات الثلاثة منثوراتٍ في (انتقاض الاعتراض) لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)[5].

وكذلك السّياقُ في القرآن العظيم: سياقٌ للآية، وسياقٌ لقراءاتها، وسياقٌ لشواهدها من القرآن، وتطبيقاتُ الثّلاثة جليّةٌ في (معاني القرآن) للفراء[6].

---

(١) غريب الحديث ٥٧/١.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢٦٩/١، ٢٧٠، الإلماع ١٣٩، أدب الإملاء ٥٩٣.
(٣) السياق وتوجيه دلالة النص ١٣٠.
(٤) السياق وتوجيه دلالة النّص ١٣١.
(٥) انتقاض الاعتراض ١٠١/١، ٢٦٩، ٣٤٧/٢...
(٦) من أمثلتها ما تراه في: معاني القرآن ٧٥/١، ١٦٣، ٢٢٤، ٣٧٥...

وكلُّ الثلاثة متحقِّقةٌ في مسألة (أرمت)، وحديثُها فيما يأتي:

. فأما السياقُ الخاصُّ والسّياق العامُّ . وحديثهما لا ينفصلُ . فهما على النحو الآتي: «فقالوا يا رسول الله، وكيفَ تُعْرَضُ عليك صلاتُنا وقد أرمت؟ . يعني: وقد بليت . قال: إنَّ الله . عز وجلَّ . حرَّمَ على الأرض أنّ تأكلَ أجسادَ الأنبياء»، هذه الرّواية التُّمّى، وقد مرَّ حيث الكلامُ على متن الحديث أنَّ تفسيرَ (أرمت) ولفظَ (تأكل) لم يردا في بعض الرّوايات؛ فيُحملُ مالم يردا فيه على ما وردا فيها، وأرى دراسةَ إحدى الرويات معزولةً عن سائرهنَّ تفريطاً، والله أعلم.

ذلك، وسياقُ حديث المسألة في رواياته التُّمِّ . كما رأيتَ . حوارٌ استخباريٌّ بين جزأيه جملةٌ معترضةٌ أدْرَجها الراوي [1]:

– فالحوارُ الاستخباريُّ مكوّنٌ من سؤال الصّحابة . رضوان الله عليهم . وجواب المصطفى ﷺ:

– السّؤالُ جملةُ (وقد أرمت) بعضُه ومركزهُ؛ لأنّها حالٌ مقيّدةٌ له، فلولا هي لما سألوا، وسياقُه دالٌّ على أنّها مانعُ العرضِ والسّماع في حِسبانهم، ولا مانعَ لهما إلا الفناءُ والبِلى [2].

– والجوابُ هو المقابلُ للسؤال، فكان بحسبه، وبُني على قيده؛ فكان كلُّه دَفْعاً لمانع العرض والسّماع، وسياقُه (إن الله حرّمَ على الأرض... أجسادَ الأنبياء) دالٌّ على أنَّ (أرمت) مرادٌ بها الفناءُ والبلى، وتقوّي الدلالةَ كلمةَ (تأكل) في بعض الروايات، إذ هي في الجواب بإزاء (أرمت) في السُّؤال، وتفسيرٌ لها.

ب – والجملةُ المدرجةُ نصٌّ من الراوي . وهو أعلمُ بمعنى ما رواه [3] . على أن معنى (أرمت): بليت. فدلَّ ذانك على أنَّ معنى (أرمت): فنيتَ، أو بليت، أو أُكِلْتَ، ولا تدافعَ بين الثلاثة؛ إذ الفناءُ (الموتُ) سببُ أكل الأرض الأجساد، وأكلُ الأرضِ الأجسادَ سببُ البِلى.

. وأمّا السّياقُ الأعمُّ فحديثٌ رواه أبو الدّرداء رضي الله عنه، ونصُّه: «قال رسولُ الله ﷺ: أكْثِروا الصّلاة عليّ يوم الجُمعةِ، فإنّه مشهودٌ تشهُده الملائكةُ، فإنَّ أحداً لن يُصَلّيَ عليَّ إلا عُرِضَتْ عليَّ صلاتُه حتّى يَفْرُغَ منها. قال: قُلْتُ: وبعدَ الموتِ؟ قال: وبَعْدَ الموتِ، إنَّ الله حَرَّمَ على الأرضِ أنْ تأْكلَ أجسادَ الأنبياءِ عليهم السّلامُ، فنبيُّ اللهِ حيٌّ يُرزَقُ» [4].

وهو عاضدٌ المعاني الثلاثة؛ لأنّه قاطعٌ . كما ترى . بأنَّ مانع العرض والسّماع في مَحْسَبةِ السّائل الموتُ، واللّفظُ الدالُّ على المانع في حديث المسألة قولُهم (وقد أرمت).

---

(١) مرقاة المفاتيح ٢/٢٠٩.

(٢) شرح الطيبي ٣/٢٠٥، شرح سنن ابن ماجه للسندي ٢/٩.

(٣) فتح المغيث ٢/٨١.

(٤) رواه ابنُ ماجه في : السنن ٢/٢٩١ (كتاب الجنائز: باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، رقم الحديث ١٦٣٧)، وقال السخاويُّ: ورجالُه ثقاتٌ، لكنّه منقطعٌ، وفصّل رواياته. القول البديع ٢٢٣،٢٢٤، وانظر: عون المعبود ١/٥٣٠.

فبان - إذاً - أن ما خرج من القراءات عن المعاني الثّلاثة بعيدٌ عن مقتضى أولئك السّياقات، والله أعلمُ.

والسيّاقُ الثاني: سياقُ المقام[1]:

أراه في أنّ السّائلين الصحابةُ - رضوانُ الله عليهم - والمسؤولَ الرّسولُ ﷺ، ومقامُه - بأبي هو وأمّي - عندهم عظيمٌ، وخطابُهم إياه ليس كخطابهم أحداً من النّاس.

وذا قد يعضُد أن يُسندوا فعلَ الفناء والبِلى إلى العظام، وألاّ يُسْندوه إلى حِبِّهم؛ فيَجْبَهوه بالمكروه. والله أعلمُ.

خامساً: رأيُ الحربيّ:

أفردتُ لرأي الإمام إبراهيم الحربيّ حديثاً؛ لأنّ العلماءَ اختلفوا في قراءته؛ فكانَ - كما قلتُ من قبلُ - أحدَ أسبابِ تعدُّد قراءات (أرمت). والكلامُ على رأيه ذو جهتينِ: جهةِ ما رواه عن المحدِّثين وقال عنه: «ولا أعرِفُ وجهَه»، وجهةِ ما رآه صواباً:

-فأمّا ما رواه عن المحدِّثين فحديثُه على النّحو الآتي:

ذكره في كتابه (غريب الحديث) ذكْرَتين؛ ذكرةً حيثُ سَرْدُ أحاديث باب (رم) مُسْندةً، وذكرةً حيث شَرْحُ الغريب:

وفي المخطوطة: ضُبِطَ حيثُ السّردُ هكذا (أَرِمْتَ)[2]. فَضَبَطَه المحقِّقُ الدكتور سليمان العايد في المطبوعة كذلك[3]، ولم يُضبَطْ حيثُ شَرْحُ الغريب، ولكنّ النّاسخَ رَسَمَ فوق الرّاءِ علامةَ الإهمال كقُلامةٍ مُلْقاةٍ على قفاها[4] [راجع الملحق في آخر البحث]، فحسِبَها المحقِّقُ - فيما أرى - فتحةً، وبنى ضَبْطَه على حِسبانه، فكان (أَرَمْتَ)[5]؛ وتناقض ضَبْطاه.

وفي (المجموع المغيث) للمدينيّ (ت ١٨٥هـ) ضبطَه المحقِّقُ الأستاذُ العزباويُّ هكذا (أَرِمْتَ)، وذكر أنّه مثبتٌ كذلك في نُسختين[6].

وفي (النّهاية) لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، وهو صادرٌ عن المدينيّ: "وقد أَرَمّتَ. قال الحربيُّ: «هكذا يرويه المحدِّثون، ولا أعرفُ وجْهَه»[7] وكذلك قال الصّادرون عنه[8].

---

(١) تحدّث الدكتور عيد بلبع عن ذا السياق في الحديث النّبوي. راجع: السياق وتوجيه دلالة النص ٢٠٤.
(٢) غريب الحديث (المخطوط) ١٤ب.
(٣) غريب الحديث (المطبوع) ٦٨/١.
(٤) غريب الحديث (المخطوط) ١٥ب.
(٥) غريب الحديث (المطبوع) ٧١/١-٧٢.
(٦) المجموع المغيث ٨٠٦/١ ح٢.
(٧) النهاية ٢٦٦/٢.
(٨) اللسان ٢٥٣/١٢، مجمع بحار الأنوار ٣٨٤/٢، درجات مرقاة الصعود ٦٩، نور مصباح الزجاجة ٣٨.

وفي (شرح سنن أبي داود) للعيني: «قال الحربيُّ: أَرَمْتَ، بفتح الرّاءِ، كذا يرويه المحدّثون، ولا أعرفُ وَجْهَه»[1].

فهذه ثلاثةُ أقوال في ضَبْط ما رواه الحربيُّ عن المحدّثين ولم يعرفْ وجْهَه: أَرِمْتَ، وأَرَمّتَ، وأَرَمْتَ، وكلُّ الثلاثة من أثرِ اختلافِ القراءة، إذ المصدَرُ الأولُ واحدٌ، فتأمّلْ.

والأوّلُ (أَرِمْتَ) بعيدٌ ـ فيما أرى ـ ألاّ يعرفَ الحربيُّ وجْهَه، وكيف لا يعرِفُه وهو يقولُ بعد صفحاتٍ في آخرِ الباب: «وأرِمَ القومُ أَرَماً: إذا هلكوا»[2]!

والثّاني والثّالثُ (أَرَمّتَ، وأَرَمْتَ) غيرُ بعيدٍ أن يعزُبَ عنه وجهاهما، لأنّهما على لغتين لبعضِ العرب تخالفان كلامَ جمهورِهم.

ـ وأما ما رآه صواباً فوجهان:

هما في كتابه مخطوطاً ومطبوعاً: (أَرْمَمْتَ) و(رَمَمْتَ)، وسياقُ كلامه: «والصّوابُ: وقد أرْمَمْتَ، أو رَمَمْتَ، أي: صِرْتَ رميماً، كما قال اللّه تعالى ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[3]... وسمعتُ أبا عدنان يقولُ: رَمَّ فلانٌ، إذا ماتَ فصارتْ عظامُه رِمّةً، أي: باليةً»[4].

وفي المجموع (المغيث) للمديني: «قال الحربيُّ...والصّوابُ: أُرِمَتْ، فتكونُ التّاءُ لتأنيث العظامِ، أو أَرْمَمْتَ، أي: صِرْتَ رميماً»[5]، فزاد عبارةَ« فتكونُ التّاءُ لتأنيث العظام»، وذكر المحقّق الأستاذُ العزباويُّ أنّ الوجه الأول في نسخةٍ (أَرْمَتْ)[6].

وفي (النهاية) قال ابنُ الأثير صادراً عن المدينيّ:«قال الحربيُّ: ... والصوابُ:أَرَمَّتْ، فتكونُ التّاءُ لتأنيث العظامِ، أو رَمَمْتَ، أي: صِرْتَ رميماً»[7]، وكذلك قال الصادرون عنه[8].

وفي (شرح سنن أبي داود) قال العيني: «قال الحربيُّ: ... والصّوابُ: أَرَمَتْ ـ بسكون الرّاءِ وفتح الميم ـ فتكونُ التّاءُ لتأنيث العظامِ، أو رَمَمْتَ، أي: صِرْتَ رميماً»[9]. والوجهُ الأولُ ـ كما تقدّمَ ـ في إحدى نسخ (المجموع المغيث).

(١) شرح سنن أبي داود ٤/ ٣٦٦.
(٢) غريب الحديث ١/٧٨.
(٣) يس: ٧٨.
(٤) غريب الحديث ١٥ب (المخطوط)، ١/٧٢ (المطبوع).
(٥) المجموع المغيث ١/٨٠٦.
(٦) المجموع المغيث ١/٨٠٦ ح٣.
(٧) النهاية ٢/٢٦٦.
(٨) اللسان ١٢/٢٥٣، مجمع بحار الأنوار ٢/٣٨٤، نور مصباح الزجاجة ٣٨.
(٩) شرح سنن أبي داود ٤/ ٣٦٦.

فصارت الأوجهُ بتعدُّد القراءات خمسةً: (أَرْمَمْتَ، ورَمَمْتَ، وأُرِمَتْ، وأَرَمَّتْ، وأَرَمْتْ)، والذي يعضُدُه سياقُ النَّصِّ في كتابه (أرْمَمْتَ، ورَمَمْتَ)؛ لأنَّه قال مَفسِّراً الوجهين: «أي: صِرْتَ رميماً»، وذا التَّفسيرُ يقرب أن يكون لهما؛ لأنَّ المطابقة بين المفسِّر والمفسَّر في باب الغريب غالبةٌ، ولو كان أحدُهما (أُرِمَتْ) لقال في التفسير: (أُكِلَتْ)، ولو كان (أَرَمَّتْ) لقال في التفسير: (صارت العظام رميماً)، ولو كان (أَرْمَتْ) لقال في التَّفسير قولاً لا أدري: ما هو؛ إذ لا أجدُ لهذه القراءة - إن جُعلت من (الرَّمي) - تأويلاً. وسترى التفصيلَ - إن شاء الله تعالى - في (دراسة القراءات).

سادساً: دراسةُ القراءات:

هُنَّ عَشْرٌ: ثمانٍ صورتُهنَّ (أرمت)، وثنتانِ صورتاهما قريبتانِ من صورة الثَّماني؛ هما: أَرْمَمْتَ، ورَمَمْتَ.

وفيما يأتي دراستُهنَّ مصنَّفاتٍ بحسب الاشتقاق:

١- (رمَمْتَ):

هي إحدى القراءتين اللَّتين صوَّبَهما إبراهيمُ الحربيُّ فيما حقَّقْتُ من قوله[1]،وقال عنها الزَّبيديُّ (ت ١٢٠٥هـ): «ويُروى: رَمَمْتَ» [2]، وأُرجِّحُ أنَّ مراده ما صوّبه الحربيُّ؛ إذ هو صادرٌ عن (اللِّسان)، وفيه نصٌّ على ما رجَّحْتُ [3].

وعليها يكونُ الفعلُ ثلاثيّاً مجرداً أصَمَّ (مضاعفاً) مبنياً للفاعلِ على صيغة (فَعَلَ)، وتكونُ التّاءُ ضميراً للمخاطب وفاعلاً، ولا تحتملُ أن تكونَ للتأنيث؛ لمكانِ فكِّ التَّضعيف، ويكونُ ضَبْطُ التَّفسير المدرج: بَليتَ.

وتوجيهها جليٌّ؛ إذ هي من قولهم: رَمَّ فلانٌ رَمّاً ورميماً؛ إذا مات فصارتْ عظامُه رِمَّةً؛ أي: باليةً[4].

فهي - كما ترى - وفاقُ التَّفسير المدرج، والسِّياق النَّصِّيُّ للحديث يحتملُها، ولكنِّي لم أقف عليها في دواوين السُّنَّة.

٢- (أَرْمَمْتَ):

هي - أيضاً - إحدى القراءتين اللَّتين صوَّبهما الحربيُّ فيما حقَّقْتُ من قوله[5]، وقال عنها المدينيُّ: «ويُروى: أَرْمَمْتَ»[6]، ثم قال جماعةٌ مثلَ قوله[7]، فأفهموا أنَّها روايةٌ، ولم أقف عليها في دواوين السُّنَّة.

---

(١) غريب الحديث للحربي ١/٧٢، النهاية ٢/٢٦٦، شرح سنن أبي داود ٤/٣٦٦، مجمع بحار الأنوار ٢/٣٨٤، نور مصباح الزجاجة ٣٨.
(٢) التاج ٣٢/٢٨٦.
(٣) اللسان ١٢/٢٥٣.
(٤) غريب الحديث للحربي١/٧٢، النهاية ٢/٢٦٦، وراجع الحديث قبلُ عن أثر القراءات في الاشتقاق.
(٥) غريب الحديث للحربي ١/٧٢، المجموع المغيث ١/٨٠٦، وانظر: شرح سنن ابن ماجه ٢/٩.
(٦) المجموع المغيث ١/٥٧.
(٧) شرح الطيبي ٣/٢٠٥، مرقاة المفاتيح ٢/٢٠٩، عون المعبود ١/٥٣٠، شرح سنن النسائي ١٦/٩٥.

وعليها يكونُ الفعل ثلاثياً مزيداً بحرفٍ، أصمَّ، مبنيًّا للفاعل، على صيغة (أَفْعَلَ)، وتكون التّاءُ ضميراً للمخاطب وفاعلاً، ولا تحتملُ أن تكون للتأنيث؛ لقرينة فكِّ التّضعيف، ويكونُ ضَبْطُ التفسير المدرج كضبطه في القراءة السّابقة.

وتوجيهُهما كتوجيه (رَمَمْتَ)؛ يُقال: رَمَّ الميتُ وأَرَمَّ، إذا صار عظاماً باليةً[1]، فصيغتا (فَعَلَ)، و(أَفْعَلَ) منه بمعنى.

فهي - إذاً - كالقراءة الأولى: وفاقُ التّفسير المدرج، ويحتملُها سياقُ نصِّ الحديث.

٣- (أَرَمَّتْ):

هي إحدى القراءتين اللّتين صوَّبهما الحربيُّ فيما نقله ابنُ الأثير والصّادرون عنه[2].

وحديثُها حديثُ (أَرْمَمْتَ) مبنًى ومعنًى إلا ضبطَ التّاءِ ومُقْتضياته:

– فالتّاءُ فيها ساكنةٌ للتأنيث، فلم يُفكَّ الإدغامُ لذلك.

– والفاعل ضميرٌ مستترٌ مؤنّثٌ يعود إلى العظام وإن لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ في اللّفظ؛ على منهاج قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾[4]، ومنه قولِ حاتمٍ في الرّواية المشهورة:

أماويّ ما يُغْني الثّراءُ عَنِ الفتى ... إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصّدْرُ[5]

والحجّةُ لهذا العودِ أنّهم فرّوا به من إسنادِ فِعْلِ البِلى إلى الحبيب المصطفى ﷺ.

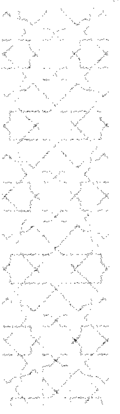
– وضبط التّفسيرِ المُدرجِ: بَلِيَتْ.

٤- (أَرَمَّتَ):

هي - فيما نقل ابنُ الأثير والصّادرون عنه - ما رواه إبراهيمُ الحربيُّ عن المحدِّثين ولم يعرفْ وجْهه[6].

وكان ابنُ الأثير قد قال في باب الهمزة مع الراء: «وكثيراً ما تُروى هذه اللّفظةُ بتشديد الميم، وهي لغةُ ناسٍ من بكر بن وائل »[7].

(١) النهاية ٢/٢٦٦، مجمع بحار الأنوار ٢/٣٨٥، وراجع الحديثَ عن آثار تعدُّد القراءات في الاشتقاق.
(٢) النهاية ٢/٢٦٦، اللسان ١٢/٢٥٣، مجمع بحار الأنوار ٢/٣٨٤، نور مصباح الزجاجة ٣٨. وانظر: الأذكار ١٨٦، القول البديع ٢٤٠، مرقاة المفاتيح ٢/٢٠٩، شرح سنن ابن ماجه ٢/٩، عون المعبود ١/٥٣٠.
(٣) ص: ٣٢.
(٤) القيامة: ٢٦.
(٥) ديوان شعر حاتم ١٩٩-٢٠٠. وراجع: الدر المصون ١٠/٥٧٨.
(٦) النهاية ٢/٢٦٦، مجمع بحار الأنوار ٢/٣٨٤، درجات مرقاة الصعود ٦٩. وانظر: شرح سنن ابن ماجه ٢/٩، التاج ٣٢/٢٨٥.
(٧) النهاية ١/٤٠، وانظر: شرح سنن ابن ماجه ٢/٩.



ونَقَلَ ابنُ القيّم عن فريقٍ لم يُسمِّهم ذهابَهم إلى أنّ «اللّفظ به (أَرَمّتَ) ـ بفتح الراء وتشديد الميم وفتحها وفتح التّاءِ ـ قالوا: وأصْلُه: أَرْمَمْتَ؛ أي: صِرْتَ رميماً. فنقلوا حركةَ الميمِ إلى الرّاءِ قبلَها، ثمّ أدغموا إحدى الميمين في الأخرى، وأبقوا تاءَ الخطاب على حالها، فصار: أَرَمّتَ».

ثم غلّطَ قولَهم محتجّاً بأن الإدغام في مثل هذا إنما يجوزُ «إذا لم يكن آخرُ الفعلِ ملتزِمَ السّكون؛ لاتّصال ضمير المتكلّم والمخاطب ونون النّسوة به... فأمّا إذا اتّصَلَ به ضميرٌ يوجبُ سكونَه لم يجز الإدغام؛ لإفضائه إلى التقاء السّاكين على غير حدّهما، أو إلى تحريك آخره وقد اتّصل بها ما يُوجبُ سكونَه». وذكر أنّ «هؤلاء لّما رأوا الفعلَ يُدغَمُ إذا لم يكن آخرُه ساكناً نحو: أَرَمّ = ظنّوا أنّه كذلك في: أَرْمَمْتَ، وغفلوا عن الفرق»[1].

وقولُه قولُ من لم يقفْ على حكاية الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) عن ناسٍ من بكر بن وائل = إدغامَ المثلين في الفعل المضاعف المسند إلى ضميرٍ متحرِّكٍ[2]، أو قولُ من وقف عليها ولم يعتدّ بها.

وممّن حَمَلَ (أَرَمّتَ) على هذه اللّغة ابنُ الأثير، إذ قال: «فإن صحّت الرّوايةُ ولم تكن محرَّفةً فلا يُمكن تخريجُه إلا على لغة بعض العرب، فإنّ الخليلَ زعم أنّ ناساً من بكر بن وائل يقولون: رَدّتُ، ورَدّتَ، وكذلك مع جماعة المؤنث يقولون: رُدّنَ... قال: كأنّهم قدّرا الإدغامَ قبل دخول التاء والنون، فيكونُ لفظُ الحديث: أَرَمّتَ، بتشديد الميم وفتح التاء، والله أعلمُ»[3].

والكلامُ على هذه اللغة من وجوه:

الأوّلُ: بها قُرِئَ ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ﴾[4]، ولها أمثلةٌ في الحديث النّبوي حتّى قال ابنُ الأثير: «وفي حديث أُحُد (حتّى رأيتُ النّساءَ يَشْتَدِدْنَ في الجبل)[5]؛ أي: يعدونَ، هكذا جاءت اللّفظةُ في كتاب الحُميديّ[6]، والذي جاء في كتاب البخاري (يَشْتَدّنَ)[7] ـ هكذا جاءت بدالٍ واحدة ـ والذي جاء في غيرهما (يَسْنُدْن) بالسّين المهملة والنّون؛ أي: يُصَعِّدْنَ فيه[8]. فإن صَحّت الكلمةُ على ما في البخاري ـ وكثيراً ما يجيء أمثالُها في كتب الحديث، وهو قبيحٌ في العربية؛ لأنّ الإدغام

(١) تهذيب السنن ١/ ٤٥٠-٤٥١.
(٢) الكتاب ٣/ ٥٣٥، التكملة ١٧٠، الفصوص ٣/ ١١٩، الممتع ٦٦٠، شرح الشافية ٣/ ٢٤٤، ٢٤٥، اللهجات العربية في التراث ٣١٠-٣١٣.
(٣) النهاية ٢/ ٢٦٧، وانظر: اللسان ١٢/ ٢٥٣، مجمع بحار الأنوار ٢/ ٣٨٥، درجات مرقاة الصعود ٦٩.
(٤) ق: ١٥. وانظر: مختصر ابن خالويه ١٤٥، الكامل ٦٤٠، شواذ القراءات ٤٤٦، البحر ٩/ ٥٣٣.
(٥) صحيح البخاري ٥/ ٢٩ (كتاب المغازي: باب غزوة أحد).
(٦) الجمع بين الصحيحين ١/ ٥٣٢.
(٧) في (اللسان): يَشْتَدْنَ، بإسكان الدال، وهو تصحيفٌ من النُّسّاخ.
(٨) راجع: أعلام الحديث ١٧١٦، التنقيح ٨٣٩، فتح الباري ٧/ ٤٣٢.

إنّما جاز في الحرف المضعّف لمّا سكنَ الأوّلُ وتحرّكَ الثاني، فأمّا مع جماعة النّساء فإنّ التّضعيف يظهرُ؛ لأنّ ما قبل نون النّساء لا يكونُ إلا ساكناً، فيلتقي ساكنانِ، فيُحرّكُ الأولُ، وينفكُّ الإدغام...= فيُمكن تخريجهُ على لغة بعض العرب من بكر بن وائل، يقولون: رَدّتُ...»[1].

والثاني: نقل ابنُ القيّم عمّن لم يُسَمِّهم أنّ الإدغام تالٍ إسناد الفعل إلى الضّمير المتحرّك.

والذي قاله سيبويه ناقلُ الحكاية: «جعلوه بمنزلة: رَدّ، ومدّ»[2]، وظاهرُ قوله أنّهم «أدخلوا النّونَ والتاء على حرفٍ قد أُدْغِمَ فيه ما قبله فكرهوا نقضَ الحرف»[3].

وبهذا الظّاهِر رأى عبدُ القاهر الجرجاني أنّ هذه اللّغة ضربٌ من الغلط، واحتجّ بأنّه لا يجوزُ تقديرُ الإدغام ثم إلحاقُ ضمير الرّفع المتحرك؛ لأنّ ضميرَ الفاعل يُصاغُ مع الفِعْل[4].

وحجتّهُ ـ كما ترى ـ من الصّناعة النحوية، ولا أراها حاكمةً على كلام أهل اللّغة، ألم تَرَ إلى قول سيبويه: «فقفْ... حيثُ وقفوا، ثُمّ فَسِّرْ»[5].

والثالثُ: قال عنها أبو سعيد السيرافيُّ (ت٣٦٨هـ): «وهذه لغةٌ رديئةٌ فاشيةٌ في عوامّ أهل بغدادَ»[6]، ورآها أبو عليٍّ الفارسيُّ (ت٣٧٧هـ) شاذةً عن الاستعمال؛ لقلّة أهْليها، وشاذّةً عن القياس؛ لأنّه «إذا اجتمع أهل الحجاز على إظهار (ارْدُدْ) ونحوه مع تعاقُبِ الحركات ... عليها، فأن لا يُدغَمَ نحوُ (رَدَدْن) الذي لا تَصلُ إليه الحركةُ البتّةَ؛ لاتّصاله بالضّمير= أولى»[7].

ولا يمنع الشّذوذانِ أنْ تردَ في الحديث، وكيف يمنعانه وهي مقروءٌ بها، وقد مَرّ قولُ ابن الأثير: »وكثيراً ما يجيءُ أمثالُها في كتب الحديث».

وجملةُ القول: (أَرَمّتَ) على لغةٍ لبعض العرب، وليستْ غلطاً، وهي مثلُ (أَرْمَمْتَ) معنىً وصيغةً وضبطاً للتفسير المدرج، وليس بينَهما إلا الإدغامُ وفَكُّه، والقِلّةُ والكثرةُ، والشّذوذُ والقياسُ. واللهُ أعلمُ.

٥- (أَرَمْتَ):

ذكر العينيُّ أنّ (أَرَمْتَ) هو ما رواه الحربيُّ عن المحدّثين ولم يعرفْ وجْهَه، ثم قال: «هو الذي يرويه أصحابُ الحديث»[8].

---

(١) النهاية ٢/٤٥٢، اللسان ٣/٢٣٤.
(٢) الكتاب ٣/٥٣٥.
(٣) شرح السيرافي ٤/٢٥٠أ، المقتصد ١٩٤.
(٤) المقتصد ١٩٤.
(٥) الكتاب ١/٢٦٦.
(٦) شرح السيرافي ٤/٢٥٠أ.
(٧) التكملة ١٧٠، ١٧١.
(٨) شرح سنن أبي داود ٤/٣٦٦.

قلتُ: هو أحدُ الوجهين الواردين في دواوين السُّنّة[1]، ولستُ أدري: أكان ضبطُه في الأصول أم كان من عَمَل الناشرين والمحقّقين.

ولم يذكر الخطّابيُّ في (معالم السُّنن) والسيوطيُّ (ت٩١١هـ) في (زهر الرّبى) والسنديُّ (ت١١٣٨هـ) في (حاشية المسند) غيرَ هذا الوجه[2]، فأفهم الأولُ أنّه في أصله من (سنن أبي داود)، وأفهم الثاني أنه في أصله من (المجتبى)، وأفْهم الثالثُ أنّه في أصله من (مسند الإمام أحمد).

وقَصَرَ صاحبُ (التّتمة). وهو من مصادر المدينيّ، ولم أعرفْه[3]. وابنُ القيِّم الصّوابَ عليه[4].

وحَمَلَه الخطابيُّ وصاحبُ (التّتمة) وابنُ القيّم وخَلَفٌ من بعدهم على أنّ أصْلَه (أَرْمَمْتَ)، فاستُثقِلَ اجتماعُ المثلين مفكوكينِ، وتعذّر تخفيفُه بالإدغام؛ لسكونِ المثل الثّاني، فخُفِّف بحذف أحد المثلين، ونُقلت حركةُ العين إلى الفاء السّاكنة؛ لئلا يلتقي ساكنان (الراء الساكنة في أصل الصّيغة والميمُ السّاكنة للإسناد إلى الضمير المتحرّك)، فصار (أَرَمْتَ)، كما قالوا: (أَحَسْتُ) في: أَحْسَسْتُ[5].

وذا الحذفُ التّخفيفيُّ لغةٌ في الفعل المضاعف (الأصمّ) المسند إلى الضّمير المتحرك، وعزاها أبو الحسن اللّحيانيُّ (تلميذ الكسائي) وابنُ مالك (ت٦٧٢هـ) إلى بني سُليم[6]، وعزاها المؤدِّبُ (من نحاة القرن الرابع) إلى ربيعة[7]، وعُزيَ بعضُ أمثلتها إلى أهل الحجاز وتميم[8]، وبني نُمير[9]، وبني عُقيل[10].

---

(١) راجع مثلاً: مسند الإمام أحمد ٨٤/٢٦، سنن ابن ماجه ٩/٢، ٢٩٠(شيحا) ١٩١/٢، ١٤٢/٣ (بشار عواد)، سنن النسائي الكبرى ٢٦٢/٢، سننه الصغرى (المجتبى) ٧٥/٣ (الحلبي)، ٩٢/٣ (أبوغدة). وانظر: سنن أبي داود ٨٥/٢ (عوّامة)، ١٨٢، ٢٦٣ (مكتبة المعارف).

(٢) معالم السنن ٢٣٩/١، زهر الربى ٧٥/٣، حاشية مسند الإمام أحمد ٢٥٤/٩.

(٣) أراه من قال عنه المديني في صدر كتابه: «وقعتُ على كُرّاسةٍ غير كبيرة، جمعها بعضُ علماء خراسان بعد الخمسين والأربعمائة، لم يُسَمَّ مصنِّفُها، قد شحنها بما شذَّ عن كتابِ أبي عُبيد [صاحب الغريبين] ... وذكر في أثنائه كلماتٍ غير كثيرة من غرائب الألفاظ، فأضفتُ تلك الألفاظَ إلى كتابي، وربما أشير إلى قوله في أثناء ما يمرُّ بي من ذلك...» ثم قال: «وإنّي جمعتُه من متفرِّقة كتب الأحاديث والكتب إلا ما ذكرتُه من قبل (التّتمّة) التي أشرتُ إليها». المجموع المغيث ٤/١.

(٤) المجموع المغيث ٨٠٦/١–٨٠٧، تهذيب السنن ٤٥١/١.

(٥) معاني السنن ٢٣٩/١، المجموع المغيث ٨٠٦/١، ٨٠٧، تهذيب السنن ٤٥١/١. وانظر: النهاية ٤٠/١، ٢٢٦/٢، الأذكار ١٨٦، اللسان ٢٥٣/١٢، شرح الطيبي ٢٠٥/٣، القاموس المحيط ١٢٤/٤، شرح سنن أبي داود ٣٦٦/٤، القول البديع ٢٤٠، زهر الربى ٧٥/٣، مجمع بحار الأنوار ٣٨٤/٢، مرقاة المفاتيح ٢٠٩/٢، شرح سنن ابن ماجه ٩/٢، التاج ٢٨٥/٣٢، درجات مرقاة الصعود ٦٩، نور مصباح الزجاجة ٣٨، عرف زهر الربى ٦٢، إتحاف ذي الشوق ١٠٩/٣.

(٦) المحكم ٣٧٩/٢، ١٢/١١، التسهيل ٢٦٠، ٣١٤.

(٧) دقائق التصريف ١٩١.

(٨) العين ١٤٩/٨، التهذيب ٣٥٧/١٤.

(٩) معاني القرآن للفراء ٣٤٢/٢.

(١٠) الخصائص ٣٨١/٣.

ونزلَ بها قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾[1]، وقولُه سبحانه: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[2] وحُمِل عليها قوله عزّ وجل: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾[3].

وكلامُ علماءُ العربية عليها ذو أنحاء، إجمالُها فيما يأتي:

الأوّل في المحذوف:

ذهب جمهورُهم إلى أنّ المحذوفَ عينُ الفعلُ[4]، وذهب أبو عبيدة ومكيٌّ (ت٤٣٧هـ) وابنُ مالك في أحد قولَيهم إلى أنّ المحذوفَ اللامُ[5]، وعلى الأول يكونُ وزنُ (أَرَمْتَ): أَفَلْتَ، وعلى الثّاني يكونُ: أَفَعْتَ.

والثّاني في تفسير الحذف:

لهم فيه مذاهبُ أبرزُها ثلاثة:

مذهبُ سيبويه. فيما حقّقتُ من كلامه. أنّهم طلبوا الفِرارَ من ثِقَلِ التّضعيف، فلمّا أعوزَهم تخفيفُه بالإدغام؛ لسكونِ المثْلِ الثّاني= خفّفوه بحذف العين، وجعلوا الطّريقَ إليه التّشبيهَ بحذف عين الأجوف المسند إلى الضّمير المتحرك؛ نحو: أَقَمْتُ، والجامعُ سكونُ العين قبل الإسناد ثم سكونُ اللام للإسناد إلى الضّمير المتحرّك[6].

ومذهبُ الكسائيِّ (١٨٩هـ). فيما استظهرتُ من كلامه. والسّيرافيّ في أحد قولَيه= أنّهم لمّا أسندوا الفعلَ إلى الضّمير المتحرّك، فُكَّ الإدغامُ لسكون المثل الثاني وكرهوا تحريكَ العين التي كانت ساكنةً للإدغام؛ فالتقى ساكنان، فحذفوا الأوّلَ منهما[7].

ومذهبُ الرُّمّانيِّ أنّهم في (أَحَسْتُ) . و(أَرَمْتَ) مثلُه . استثقلوا التّضعيف، فلمّا أعوزَهم تخفيفُه بالإدغام لسكون الثاني؛ طلبوا التّخفيف بالحذف، فنقلوا حركةَ العين إلى الفاء؛ لكي يلتقيَ ساكنان، فيكونَ التقاؤهما سبيلَ الحذفِ[8].

والثالث في اطّراد الحذف وشذوذه:

---

(١) طه: ٩٧.

(٢) الواقعة: ٦٥.

(٣) الأحزاب: ٣٣، وانظر: معاني القرآن للفراء ٢/٣٤٢، مجاز القرآن ٢/١٣٧، معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٢٥، إعراب القرآن ٣/٣١٣-٣١٤.

(٤) الكتاب ٤/٤٨٣، معاني القرآن للأخفش ١/٢٣٦، معاني القرآن للفراء ١/٢١٧، المقتضب ١/٢٤٥، معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٧٥، الحلبيات ١٣٩، المحتسب ١/١٢٣، شرح المفصل ١٠/١٥٣، الممتع ٦٦١، شرح الشافية ٣/٢٤٥.

(٥) مجاز القرآن ٢/١٣٧، الهداية ٥٨٢٩، شرح الكافية الشافية ٢١٧٠.

(٦) الكتاب ٤/٤٢١،٤٢٢، ٤٨٣، ٤٨٤.

(٧) شرح السيرافي ٦/٤٠١، ٦٢٨.

(٨) شرح الرماني ٨٨٣-٨٨٤، ووافقه الصيمري في: التّبصرة ٢/٨٧٥.

لهم فيه مذاهبُ:

- الشذوذُ عن القياس، وهو قولُ سيبويه وكثيرٍ من النّحويين [1].
- والاطرادُ في الماضي المسند إلى ضميرٍ متحرِّكٍ ليس نونَ النِّسوة، وهو قولُ الكسائيّ [2].
- والاطِّرادُ بلاقيدٍ، وهو مذهبُ الفراء [3]، وأبي عليٍّ الشّلوبين (ت٦٤٥هـ) فيما حكاه عنه تلميذه ابنُ الضائع (ت٦٨٠هـ) [4].
- والاطّرادُ في الفعل المكسور العين والمضمومِها، الأولُ بالسّماع، والثّاني بطريق الأَولى؛ لأنّ الضّمّة أثقلُ من الكسرة، وهو مذهبُ ابن مالك في (شرح الكافية الشافية) [5].

هذه جُمَلُ كلامهم على هذه اللُّغة، وكنتُ قد فصَّلْتُه في بحثٍ مفردٍ.

وخلاصةُ القول: (أَرَمْتَ) أصْلُها (أَرْمَمْتَ)؛ فهي ـ إذاً ـ مثلُها معنًى وصيغةً وتركيباً وضبطاً للتّفسير المدرج، وليس بينَهما إلا الحذفُ والتّمامُ، والقلّةُ والكثرةُ.

هذا هو الوجهُ المتلئبُّ فيها، ورأيتُ لبعض العلماء كلاماً عليها فيه نظرٌ فيما أرى، وتفصيلُه على النحو الآتي:

- قال ملا علي القاري عن فتح راء (أَرَمْتَ): «فُتِحَتْ بالأخَفيّة أو بالنّقلية» [6].

يعني: أنّ فتحة الراء: إما أن تكونَ فتحةَ العين نُقلت إلى الفاء، وإما أن تكون فتحةً جُلبتْ للفرارِ من التقاء الساكنين بعدَ الحذف، وأوثرت لخفّتها.

قلتُ: لم يذكر علماء العربية لفتح الفاء من (أَحَسْتُ) ـ و(أَرَمْتَ) مثلُه ـ إلا النّقْلَ [7]، ويصدّق النّقلَ أنّ لهم فيما فاؤه متحرِّكةٌ كـ (ظَلِلْتُ) وجهين: ظَلْتُ؛ بإبقاء حركة الفاء وحذف حركة العين، وظِلْتُ؛ بحذف حركة الفاء وإبقاء حركة العين [8]، فإذا كانوا ـ من أجل التنبيه على العين المحذوفة ـ قد تجشّموا النّقل وحذفَ حركة الفاء؛ فمن باب الأولى أن ينقلوا إذا كانت الفاء ساكنة.

---

(١) الكتاب ٤/٤٢١-٤٢٢، معاني القرآن للأخفش ١/٢٣٧، المقتضب ١/٢٤٥، الأصول ٣/٣٤٢، الحلبيات ١٤٠، الخصائص ٢/٤٣٩، الممتع ٦٦١، المساعد ٣/٣٤٩، المقاصد الشافية ٩/٤١٦.

(٢) شرح السيرافي ٦/٦٢٧-٦٢٨، اللامع العزيزي ١/٣٩٩.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٣٤٢، شرح السيرافي ٦/٦٢٨، اللامع العزيزي ١/٣٩٩.

(٤) شرح الجمل ٢/١١٣٤-١١٣٥، وعارض ما فيه بما في: توضيح المقاصد ٦/١٠٠.

(٥) شرح الكافية الشافية ٢١٧٠-٢١٧١، وانظر: شرح الألفية لابن الناظم ٨٦٨-٨٦٩، الدر المصون ٨/٩٩، أوضح المسالك ٤/٤١٦-٤١٧.

(٦) مرقاة المفاتيح ٢/٢٠٩، عون المعبود ١/٥٣٠، شرح سنن النسائي ١٦/٩٥.

(٧) الكتاب ٤/٤٢١،٤٢٢، المقتضب ١/٢٤٥.

(٨) الكتاب ٤/٤٢٢، مجاز القرآن ٢/٢٨، معاني القرآن للأخفش ١/٢٣٦-٢٣٧، معاني القرآن للفراء ٢/١٩٠.

– قال السنديُّ: «فأمّا (أَرَمْتَ) ـ بفتح الراء، كضَرَبْتَ ـ فأصْلُه (أَرْمَمْتَ) من (أَرَمّ) بتشديد الميم، إذا صار رميماً، فحذفوا إحدى الميمين كما في (ظَلْتُ)، ولفظُه إمّا على الخطاب أو على الغيبة على أنّه مسندٌ إلى العظام»[1].

يعني: أنّ التاءَ في هذا الوجه يجوزُ أن تُفْتَحَ فتكونَ ضميراً للمخاطب، وأن تُسَكّنَ فتكونَ تاءَ التأنيث.

قلتُ: لا تحتملُ التاءُ هنا التأنيثَ؛ لأنّ الحذفَ التخفيفيّ في هذه اللُّغة ـ كما قال علماءُ العربية ـ مقيَّدٌ بإعواز التخفيف بالإدغام[2]، وهو غيرُ مُعْوِزٍ مع تاء التأنيث.

– قال الولّويُّ: «أَرَمْتَ: بفتح الراء وسكون الميم وفتح التاء على الخطاب، على وزن (ضَرَبْتَ)، يقالُ: أَرَمَ على المائدة يأرِمُه، من باب (ضَرَبَ): أَكَلَه»[3].

قلتُ: حَمْلُ (أَرَمْتَ) على هذا المعنى يخالفُ التفسير المدرج، ويأباه سياقُ النَّصّ، ويناقضُ ما قبله من سؤال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وما بعده من جواب المصطفى عليه الصلاةُ والسلامُ؛ إذ يكون التأويل: (وكيف تُعْرَضُ عليك صلاتُنا وقد أَكَلْتَ؟ قال: إنّ الله حرَّمَ على الأرض أن تأكلَ أجساد الأنبياء)، وفسادُه ظاهرٌ، والله أعلمُ.

٦- (أَرْمَتٌّ):

نَقَلها وتوجيهَها المدينيُّ عمَّن لم يسمِّه، فقال: «وقيلَ: إنما هو (أَرْمَتٌّ)؛ بتشديد التاءِ؛ أدغم إحدى الميمين في التاءِ، والأصْلُ: أَرْمَمْتَ».

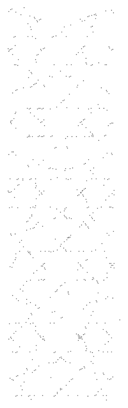
ثم نقل عمَّن لم يُسَمِّه أيضاً أنّ هذا القولَ ساقطٌ؛ «لأنّ مَخْرجَ الميم من بين الشَّفتين، ومَخْرجَ التاءِ من طرفِ اللِّسان وأصول الثنايا وبينهما بُعْدٌ، فلا تُدْغَمُ إحداهما في الأخرى»[4].

وكذلك قال الذاكروها بعد المديني[5].

قلتُ: فأما سقوطُ حملها على إدغام الميم في التاء وجعلِ أصلها (أَرْمَمْتَ) = فحقٌّ؛ لِما ذُكِرَ من بُعْدِ المخرجين، ولأنّ الميم ـ كما قال علماء العربية ـ من أصواتٍ يُدغَمُ فيها مقاربُها، ولا تُدْغَمُ هي فيه[6].

---

(١) شرح سنن ابن ماجه ٢/ ٩، حاشية مسند الإمام أحمد ٩/ ٢٥٤.
(٢) الكتاب ٤/ ٤٨٣، المقتضب ١/ ٢٤٥، المقاصد الشافية ٩/ ٤١٥.
(٣) شرح سنن النسائي ١٦/٩٥.
(٤) المجموع المغيث ١/٨٠٧.
(٥) النهاية ٢/٢٦٦، اللسان ١٢/٢٥٣، شرح سنن أبي داود ٤/٣٦٦، مجمع بحار الأنوار ٢/٣٨٤، نور مصباح الزجاجة ٣٨.
(٦) الكتاب ٤/٤٤٧، الأصول ٣/٤٢٨، الحجة ٦/٩، الممتع ٧١٠.



وأمّا سقوطُها مرةً واحدةً، فيرفعُه. فيما أرى. أن تُحْمل على إدغام الدال في التاءِ. وهو إدغامٌ جائزٌ، إذ ليس بينهما إلا الجهرُ والهمسُ [١] . فيكونَ الأصْلُ (أَرْمَدْتَ)، من قولهم: رَمَدَ القومُ رمْداً، ورَمِدوا رَمَداً، وأَرْمَدوا، إذا هَلَكوا، ومنه: الرّمادة [٢]، ويكونَ راسمُها بنى على السَّمْع.

وذا الحَمْلُ يقبلُه السياقُ، ولا يُخالف التفسيرَ المدرجَ (بليتَ)، لأنَّ الهلاكَ مسبِّبُ البلى.

وعليه تكونُ الصيغة (أَفْعَلَ) ومعناها معنى (فَعَلَ) اللازم، ويكونُ البناءُ للفاعل، والتاءُ ضميرُ المخاطب. والله أعلمُ.

٧- (أَرِمْتَ):

هو أحدُ الوجهين الواردين في دواوين السُّنّة [٣]، والوجهُ الآخَرُ مضى في رسم (أَرَمْتَ).

وفي بعض نُسخ (المجموع المغيث) عُزِي إلى الحربي أنّه رواه عن المحدِّثين، ولم يعرف وَجْهَه [٤]، ومضى نظرٌ فيه حيثُ الكلامُ على رأي الحربي.

وهذا الوجهُ لا دَخَلَ فيه، إذ هو من قولهم: أَرِمَ المالُ، إذا فني، وكذلك: أَرِمَ الرَّجُلُ [٥].

وعليه يكونُ الفعلُ ثلاثياً مجرداً لازماً على (فَعِلَ)، غيرَ مضاعفٍ، مبنياً للفاعل، وفاعلُه تاءُ المخاطب، ويكونُ ضبط التفسير المدرج (بَليتَ).

ذلك، ونقل القاري عن الطيبي جوازَ أن تكونَ (أرِمْتَ) أصلُها (أَرْمَمْتَ)، فحُذفتْ إحدى الميمين، ثم كُسرت الراء لالتقاء الساكنين [٦]، فيكون وزنُه (أفِلْتَ).

ثم أجازه الولَّويُّ صادراً. فيما أرى. عن القاري [٧].

قلتُ: لم يذكر علماءُ العربية الناقلون لغةَ الحذف إلا نقلَ حركة العين إلى الفاء، وقد مرَّ كلامُهم في رسم (أَرَمْتَ).

وكلامُ الطِّيبيِّ مصدرِهما ليس فيه نصٌّ على الكسر لالتقاء الساكنين، إذ قال: «قوله: (وقد أَرِمْتَ)... يقالُ: أَرِمَ المالُ والناسُ، أي: فنوا... ويروى (أَرْمَمْتَ)، أي: صرتَ رميماً، فعلى هذا جاز أن يكون (أرمت) من (أَرْمَمْتَ)، فحذف أحد الميمين، وهو لغةٌ، كقولهم: ظَلْتُ أفعل كذا، أي: ظَلْتُ، وهذا الوجهُ من كلام الخطابي» [٨].

---

(١) الكتاب ٤/٤٦٠.

(٢) المحكم ١٠/٤٩، النهاية ٢/٢٦٢. وراجع ما تقدّم من كلامٍ على آثار تعدُّد القراءات في الاشتقاق والدلالة.

(٣) راجع مثلاً: المصنف ٦/٤٠، مشكاة المصابيح ١/٤٣٠، شرح الطيبي ٣/٢٠٥.

(٤) المجموع المغيث١/٨٠٦.

(٥) راجع ما تقدّم من الكلام على آثار تعدُّد القراءات في الاشتقاق والدلالة. وانظر: الغريبين ١/٦٧، الفائق ١/٣٨، المجموع المغيث ١/٥٧، النهاية ١/٤٠، اللسان ١٢/١٤، شرح الطيبي ٣/٢٠٥، التاج ٣١/٢١٠.

(٦) مرقاة المفاتيح ٢/٢٠٩.

(٧) شرح سنن النسائي ١٦/٩٥.

(٨) شرح الطيبي ٣/٢٠٥.

وبادٍ أنَّ القاري قرأه هكذا: «جازَ أن يكونَ (أَرِمْتَ) من (أَرْمَمْتَ)»، فجعل (أَرِمْتَ) اسمَ (يكون)، و(مِنْ أَرْمَمْتَ) خبرَها.

وأرى القراءةَ المتلثبة (أَرَمْتَ) بفتح الراء، واسمُ (يكون) ضميرٌ مستترٌ يعود إلى اللفظ، وخبرُها (أَرَمْتَ)، ويصدِّقُ هذا الحَمْلَ قولُ الطيبي: «وهذا الوجهُ من كلام الخطابي»، وقد مرَّ أنَّ الخطابي لم يذكر إلا (أَرَمْتَ).

٨- (أُرِمْتَ):

أجاز هذه القراءةَ أبو عبيد الهروي في (الغريبين)، إذ قال: «ويجوزُ أن يكونَ معناه: قَدْ أُرِمْتَ، بضمِّ الهمزة، وهو من قوله: أَرَمَت الإبلُ، إذا تناولتِ العلفَ»[١].

وعليها يكونُ التأويل: وقَدْ أُكِلْتَ، أي: صِرْتَ مأكولاً للأرض[٢]، وحُجَّتُها أن في جواب المصطفى ﷺ ذِكْرَ أَكْلِ الأرضِ الأجسادَ.

والفعلُ - إذاً - ثلاثيٌّ مجرَّدٌ متعدٍّ مبنيٌّ للمفعول، والتاءُ ضميرٌ للمخاطب نائبٌ عن الفاعل.

والتفسيرُ المدرجُ ضَبْطُه (بَليتَ) بالبناء للفاعل؛ لأنَّه لازمٌ، وصحَّ أن يكون تفسيراً لـ (أُرِمْتَ)؛ لأنَّ أكْلَ الأرضِ الأجسادَ سببُ البِلى. واللهُ أعلمُ.

٩- (أُرِمَتْ):

(أُرِمَتْ) في بعض نسخ (المجموع المغيث) للمديني = أحدُ الوجهين اللذين صوبهما الحربي[٣]، وكان ذِكره في الكلام على رأيه.

وحديثه حديثُ (أُرِمْتَ) إلا التاءَ وضَبْطَ التفسير المدرج:

فأما التاء فهي للتأنيث، ونائبُ الفاعل ضميرٌ مستتر يعود إلى العظام وإن لم يجرِ لها ذِكْر في اللفظ، وقد تقدَّمَ بحثُه في رسم (أَرَمَّتْ).

وأما التفسيرُ المدرجُ فيكونُ ضبطُه: بَلِيَتْ. واللهُ أعلمُ.

١٠- (أَرْمَتْ):

مضى أنَّ (أَرْمَتْ) في بعض نُسخ (المجموع المغيث) وفيما نقله العينيُّ = أحدُ الوجهين اللذين صوَّبهما الحربيُّ[٤].

---

(١) الغريبين ١/٦٧.

(٢) الغريبين ١/٦٧، المجموع المغيث ١/٥٧، النهاية ١/٤٠، ٢/٢٦٦، اللسان ١٢/١٤، شرح سنن أبي داود ٤/٣٦٦، القول البديع ٢٤٠، مجمع بحار الأنوار ٢/٣٨٤-٣٨٥، التاج ٣٢/٢٨٦. وراجع الكلام على آثار تعدُّد القراءات في الاشتقاق والدلالة.

(٣) المجموع المغيث ١/٨٠٦. وراجع الكلام على رأي الحربي.

(٤) المجموع المغيث ١/٨٠٦ ح٣، شرح سنن أبي داود ٤/٣٦٦. وراجع الكلام على رأي الحربي.

قلتُ: (أَرْمَتْ) ـ في الظاهر ـ (أَفْعَلَ) من (الرّمي)، والمأثور عنه ـ فيما وقفتُ عليه ـ ليس له هنا ـ في وُجْدي ـ وجهٌ ظاهرٌ أو مُتَأوّلٌ[1].

ثم نبّهني أحدُ الفضلاء على أنّ هذه القراءة تُحمل على أن يكون الأصلُ (أَرِمَتْ)، فَحُذِفتْ كسرةُ العين تخفيفاً على لغة بكرِ بن وائل وأناسٍ كثير من تميم[2].

ويُبَعِّدُ هذا الحملَ قولُ الحربي مفسّراً: «أي: صرت رميماً»، و(الرّميم) من (الرّمّ) و(أَرِمَ) من (الأَرَم).

من أجل ذينك أُراه تصحيفَ (أَرَمّتْ)، وهو ممّا نُقِل عن الحربيّ تصويبُه[3]، قُرئت علامةُ الإهمال التي فوق الراء كالهلال سكوناً، وبُني عليها سائرُ الضّبط[4]، والله أعلمُ.

* * *

(١) راجع الكلام على آثار تعدُّد القراءات في الاشتقاق والدلالة.

(٢) الكتاب ٤/ ١١٣.

(٣) راجع الكلامَ على رأي الحربي.

(٤) راجع الكلام على (السبب الخامس) من أسباب تعدُّد القراءات.

خاتمةُ البحث :

تلك رحلةٌ مع لفظ (أرمت) في حديث فضل يوم الجمعة، وكلامِ العلماء عليها، ومن ثمراتِ الرِّحلة ما يأتي:

١- آثرتُ في دراسة المسألة مصطلح (تعدُّد القراءات) على مصطلحين: مصطلحٍ يُلابِسُه، وهو (التَّصحيف والتَّحريف)، ومصطلحٍ يقاربُه، وهو (تعدُّد الروايات)، وبيّنت المسوِّغ.

٢- استقريتُ دواوينَ السُّنّة وشروحَها وكتبَ غريب الحديث؛ فكان جملةُ ما وقفتُ عليه من قراءاتِ (أرمت) عشراً: منهنَّ ثمانٍ صورتُهنَّ صورةُ (أرمت)، وثنتان صورتاهما قريبتان منها، هما: أَرْمَمْتَ، ورَمَمْتَ.

٣- جمعتُ روايات الحديث، ورأيتُ لها قيمةً في دراسة القراءات، والتَّرجيح.

٤- أسبابُ تعدُّد القراءات عشرةٌ:

الأولُ: نقْدُ الحربيِّ ما رواه المحدِّثون، وكان له أثران: فتحُ باب الاجتهاد في الكلام على (أرمت)، واختلافُ العلماء فيما عزاه إلى المحدِّثين، وما صوَّبه.

والثاني: اتِّفاقُ الرَّسْم وتركُ الشَّكل.

والثالث: اتِّفاقُ الرَّسْم والشَّكل.

والرَّابع: تقاربُ الرَّسْم.

والخامس: تشابه علامة الإهمال وبعض علامات الشَّكْل.

والسادس: اتِّفاقُ المنطوق وبناءُ الرَّسْم على لفظ المملي.

والسابع: احتمالُ السّياق قراءاتٍ.

والثامن: قراءة الفظ منزوعاً من السّياق.

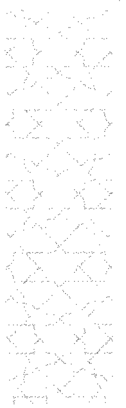
والتّاسع: ورود اللفظ على لهجةٍ لم تبلغ القارئ.

والعاشر: عدم معرفة القارئ بعضَ سنن العربية.

٥- اختلف العلماء فيما رواه الحربيُّ عن المحدِّثين ولم يعرفْ وجْهَه، ورجّحتُ أنَّه (أَرَمَّتَ) أو (أَرَمْتَ).

٦- واختلفوا في قراءة الوجهين اللذين صوَّبهما، ورجَّحتُ أنهما: أرْمَمْتَ، ورَمَمْتَ؛ بانياً على سياق كلامه.

٧- آثار تعدُّد القراءت على النحو الآتي: آثارٌ في الاشتقاق والدّلالة، وآثارٌ في البنية، وآثارٌ في الصيغة، وأثارٌ في نوع التاء، وآثارٌ في التركيب، وآثار في اللهجات.



٨- قرائن التّرجيح والتّوجيه أربعٌ: المعنى المعجمي، والمعنى العقلي، ونظامُ اللُّغة الصّوتي والصّرفيّ، والسياق.

٩- سياقُ الحديث سياقان: السّياق اللُّغويّ، وسياقُ المقام، ورأيتُ الأوّلَ ثلاثة أضرب: الخاصّ، والعامّ، والأعمّ، ورأيتُ الثّاني حجةً للقراءات التي الفعلُ فيها مسندٌ إلى ضمير العظام.

١٠- من القراءات تسعٌ محتملاتٌ، وواحدةٌ لم أجدْ لها مَحْملاً، وهي (أَرْمَتْ)، ورجّحتُ أنّها تصحيف (أَرَمّتْ).

١١- من التّسع ثنتان وقفتُ عليهما في دواوين السُّنّة، هما: أَرَمْتَ، وأَرِمْتَ.

١٢- في القراءات ثلاثُ ظواهر لَهْجيّة:

الأولى: الحذفُ في (أَرَمْتَ).

والثانية: إبقاء إدغام المتماثلين في (أَرَمّتَ)

والثالثةُ: إدغامُ المتقاربين في (أَرَمَتّ).

١٣- أجاز الولّويُّ حَمْلَ (أَرَمْتَ) على أنها من (الأَرْم)، وهو الأكْل، ورأيتُه حَمْلاً لا يقبلُه نصُّ الحديث.

١٤- أجاز بعضُ متأخّري شراح الحديث أن تكون فتحةُ الراء في (أَرَمْتَ) مجلوبةً للفرار من التقاء السّاكنين، ولم يذكر علماء العربية في مثلها إلا نقلَ حركة العين إلى الفاءِ.

١٥- أجاز السنديُّ أن تكون التّاء في (أَرَمت) للتأنيث، ولم أَرَها تحتملُه؛ لأنَّ الحذف في مثله مقيّدٌ بامتناع الإدغام.

١٦- أجاز بعضُ متأخّري شراح الحديث حَمْلَ (أَرِمْتَ) على أنّ أصْلَها (أَرْمَمْتَ)، وكُسرت الراء لالتقاء السّاكنين، ولم يذكر علماء العربية في لغة الحذف إلا نقلَ حركة العين إلى الفاء.

هؤلاءِ جُمَلُ الثّمرات، وآخرُ قولي: أَحْمَدُ الله ربيّ، وأستغفره من الزّلل، وأصلّي على النّبيِّ الخاتم محمّد بن عبدالله، وأسلّمُ عليه تسليماً.

* * *

ملحقٌ

صورتا ورقتين من (غريب الحديث) للحربي

الخوان ... فقال ببطش الرامي في الفوق فنما زين هل ترى شيئا ام لا

حدثنا موسى حدثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم عن عيسى

بن طلحة عن عمير بن سلمة عن رجل من بهز ان النبي صلى الله عليه مر با

لروحاء فاذا حمار وحشي عقير فجاء البهزي فقال [illegible] فكلوه ٥

حدثنا موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر

عن عمر قال البسوا الازر والاردية [illegible] الرمي ٥ حدثنا احمد

بن محمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان عن القعقاع عن ابي صالح

عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه كان ينهى ان [illegible] عن

الروث والرمة ٥ حدثنا ابو بكر حدثنا حسين بن علي عن ابن جابر عن

ابي الاشعث عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه قال اكثروا علي

من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض عليك

وقد ارمت قال ان الله تعالى حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء

حدثنا [illegible] عن عمرو بن شعيب

[illegible]

صورة الورقة التي فيها سردُ أحاديث الباب

اذا زاد فناك
واسمر خطيا كان كعوبه نوى القسب قد ارمى ذراعا على العشر
قوله نهى عن الروث والرمة سمعت عمر بن عبد الله قال الرمة العظام
البالية والرمة قطعة حبل والجميع رمم ومثله وكيف تعرض علينا
وقد ارمت كذا يقوله المحدثون ولا اعرف وجهه والصواب
وقد ارمت او رممت اي صرت رميما كما قال الله تعالى من يحيي
العظام وهي رميم نزلت فيما حدثنا شيخ عن هشيم احسبها
حصين عن ابي مالك ان ابي بن خلف جاء بعظم حائل ففته
وقال ايبعث الله هذا ٥ اخبرنا الاثرم عن ابي عبيدة الرميم
الرفات ٥ وسمعت ابا عمر يقول رم وارم اذا بلي فصارت
عظامه رمة اي بالية وقال للشيخ ما هو الا رمة اي قد
صار في هذا الحد وانشدنا ابو عمر لنا
اما تذكرين اليوم يا ام الحكم نحت الحبال رمة من الرمم
وانشدنا عمرو
فاذ بهوا التنباة نيب تحمل على رمة من الزمام نقا دبا
وانشدنا ابن عائشة
والنيب ان تعر مني رمة خلقا بعد الممات فاني كنت اثئر
النيب الابل ان تعر مني رمة خلقا بالية والابل تحمل العظام
اذا ابليت تملح بها ابتدا قد كسبنا رد ٥ قوله يدفع البلاء
برمته الرمة الحبل يدفع الدابة برمته بحبله في عنقه

صورة الورقة التي فيها شرح الغريب

فهرس المصادر والمراجع:

١. **إتحاف ذي الشّوق والحاجة إلى قراءة سنن ابن ماجه.** لمحمد الحفيد بن عبد الصمد كنون، قابله وصححه عبدالصمد العشّاب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢. **أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة.** للدكتور فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٣. **أدب الإملاء والاستملاء. للسمعاني،** تحقيق أحمد محمد عبدالرحمن، مطبعة المحمودية، جدة.

٤. **أدب الكاتب،** لابن قتيبة، تحقيق الدكتور محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥. **أدب الكتّاب، للصّولي.** تحقيق سميح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٦. **الأذكار، للنووي، تحقيق يوسف بديوي،** دار ابن كثير، دمشق، ط٤، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

٧. **أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني.** تحقيق هـ. ريتر، دار المسيرة، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٨. **إصلاح المنطق، لابن السّكّيت،** تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٩. **الأصول دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي.** للدكتور تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٠. **الأصول في النحو، لابن السّراج.** تحقيق الدكتور عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١١. **الأضداد، لأبي بكر بن الأنباري.** تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٢. **إعراب القرآن، للنحاس.** تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٩-

١٩٨٨م.

١٣. **أعلام الحديث، للخطابي.** تحقيق الدكتور محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م.

١٤. **الأفعال.** للسرقسطي، تحقيق الدكتور حسين شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٥. **الاقتراح في بيان الاصطلاح.** لابن دقيق العيد، تحقيق الدكتور قحطان الدوري، دار العلوم، عمّان، ط١، ٢٠٠٦م.

١٦. **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السّماع.** للقاضي عياض، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٧. **الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التّوحيدي.** تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، لبنان.

١٨. **انتقاض الاعتراض، لابن حجر العسقلاني.** تحقيق حمدي السّلفي وصبحي السّامرائي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٩. **أوضح المسالك.** لابن هشام، (مع ضياء السالك للنجار)، القاهرة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٢٠. **البحر المحيط.** لأبي حيان الأندلسي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

٢١. **بدائع الفوائد، لابن القيم.** دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٢. **تاج العروس للزّبيدي.** تحقيق جماعة، وزارة الإرشاد، ثم المجلس الوطني، الكويت.

٢٣. **التبصرة والتذكرة، للصيمري.** تحقيق الدكتور فتحي أحمد مصطفى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٤. **تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام هارون.** مكتبة السنة، القاهرة، ط٥، ١٤١٠هـ.

٢٥. **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي.** للسيوطي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر.

٢٦. **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد.** لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

٢٧. **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**. للصفدي، تحقيق السّيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٨. **تصحيفات المحدثين، للعسكري**. تحقيق محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٢٩. **التصحيف والتراث الشعري القديم**، لقدور العبدلاوي، المغرب، ط١، ٢٠٠٧م.

٣٠. **تفسير غريب القرآن**. لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١. **التكملة**، لأبي علي الفارسي، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، العراق، ١٤٠١هـ –١٩٨١م.

٣٢. **التكملة والذيل والصلة**. للزَّبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، والدكتور ضاحي عبدالباقي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٣٣. **التكملة والذيل والصلة**، **للصغاني**. تحقيق جماعة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٣٤. **التنبيه على حدوث التصحيف**، **لحمزة الأصفهاني**. تحقيق محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت.

٣٥. **التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح**، **للزركشي**. تحقيق الدكتور يحيى البهكلي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.

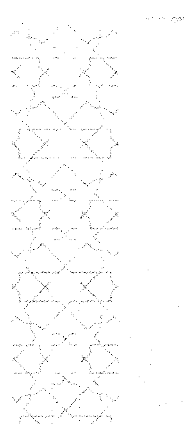
٣٦. **تهذيب السنن**، **لابن القيم**، تحقيق الدكتور إسماعيل مرحبا، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٣٧. **تهذيب اللغة**. للأزهري، تحقيق جماعة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

٣٨. **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، للشيخ طاهر الجزائري، عُني به عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٣٩. **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، للمرادي، تحقيق الدكتور عبدالرحمن سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط٣.

٤٠. **جامع بيان العلم وفضله**، لابن عبدالبر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، مكتبة التوعية الإسلامية، مصر، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.



٤١. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي**، تحقيق الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤٢. **جدل اللفظ والمعنى**، للدكتور مهدي عرار، دار وائل، عمّان، ط١، ٢٠٠٢م.

٤٣. **الجمع بين الصحيحين**، للحُميدي، تحقيق الدكتور علي البواب، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.

٤٤. **حاشية مسند الإمام أحمد، للسندي**، عُني به نور الدين طالب، وزارة الأوقاف، قطر، ط١، ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٨م.

٤٥. **الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي**، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي، دار المأمون، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

٤٦. **الحروف اللاتينية لكتابة العربية**، لعبد العزيز فهمي، دار العرب، القاهرة.

٤٧. **الحلبيات (المسائل الحلبيات)**، لأبي علي الفارسي، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤٨. **حياة اللغة العربية، لحفني ناصف**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤٩. **الخصائص، لابن جني**، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٠. **درجات مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود**، للبجمعوي، أضواء السلف، الرياض.

٥١. **الدر المصون، للسمين الحلبي**، تحقيق الدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥٢. **الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، للغزّي**، عُني به عبدالله الكندري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٥٣. **دروس في الألسنية العامة، لدي سوسير**، ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب.

٥٤. **دقائق التصريف، لأبي القاسم المؤدب**، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٥٥. **دلائل الإعجاز، للجرجاني**، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٥٦. **دلالة السياق، لردة الله الطلحي**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥٧. **الدلالة والتقعيد النحوي [دراسة في فكر سيبويه]**، للدكتور محمد سالم صالح، دار غريب القاهرة، ٢٠٠٨م.

٥٨. **الدلالة والنحو**، للدكتور صلاح الدين حسنين، مكتبة الآداب، القاهرة.

٥٩. **دور الكلمة في اللغة، لستيفن أولمان**، ترجمة الدكتور كمال بشر، دار غريب، القاهرة.

٦٠. **ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره**، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٦١. **رسالة في اختلاف ألفاظ الحديث النبوي**، للصّنعاني، عني به صبري المحمودي، دار التوحيد، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٦٢. **الرماني النحوي، للدكتور مازن المبارك**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤م.

٦٣. **زهر الربى على المجتبى، للسيوطي**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.

٦٤. **سنن ابن ماجه، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا**، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. (هي المرادة عند الإطلاق). وتحقيق بشار عوّاد معروف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م.

٦٥. **سنن أبي داود، عُني به مشهور آل سلمان**، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م. (هي المرادة عند الإطلاق). وتحقيق محمّد عوامة، دار القبلة، جدة، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٦. **سنن الدارمي**، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٧. **سنن النسائي (المجتبى)**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٨٣هـ= ١٩٦٤م، (هي المرادة عند الإطلاق). وتحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٤، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٦٨. **سنن النسائي الكبرى**، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٦٩. **السياق وتوجيه دلالة النص**، للدكتور عيد بلبع، بلنسية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٧٠. **شرح الألفية**، لابن الناظم، تحقيق الدكتور عبدالحميد السيد، دار الجيل، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧١. **شرح الجمل**، لابن الضائع، تحقيق نادي عبدالجواد، رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية، القاهرة.

٧٢. **شرح سنن ابن ماجه**، للسندي، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، (مع سنن ابن ماجه).

٧٣. **شرح سنن أبي داود**، **للعيني**، تحقيق خالد المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧٤. **شرح سنن النسائي**، لمحمد الولّوي، مكتبة آل بروم، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٧٥. **شرح الشافية**، للرضى، تحقيق جماعة، دار الفكر العربي، بيروت ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٧٦. **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)**، تحقيق جماعة، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٧. **شرح الكافية الشافية**، **لابن مالك**، تحقيق الدكتور عبدالمنعم هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٧٨. **شرح كتاب سيبويه (المجلدة الخامسة) للرماني**، تحقيق صالح آل عبداللطيف، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، الرياض.

٧٩. **شرح كتاب سيبويه**، **للسيرافي**، مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم (٥٢٨تيمورية)، ومصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم (١٣٧نحو).

٨٠. **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، **للعسكري**، تحقيق السيد محمد يوسف، مجمع اللغة العربية، دمشق.

٨١. **شرح المفصل**، لابن يعيش، دار صادر، بيروت.

٨٢. **شواذ القراءات**، **للكرماني**، تحقيق الدكتور شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.



٨٣. **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، للقلقشندي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٨٧م.

٨٤. **الصحاح**، **للجوهري**، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٨٥. **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٨٦. **صحيح البخاري**، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٨٧. **صناعة الكتّاب**، للنحاس، تحقيق الدكتور بدر أحمد ضيف، دار العلوم العربية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٨٨. **عرف زهر الربى على المجتبى**، للبجمعوي، أضواء السلف، الرياض.

٨٩. **علم الدلالة**، **لبالمر**، ترجمة مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، العراق، ١٩٨٥م.

٩٠. **علم الدلالة**، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

٩١. **علم الدلالة**، لكلود جرمان وريمون لوبلون، ترجمة الدكتورة نور الهدي لوشن، جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٧م.

٩٢. **عون المعبود على شرح سنن أبي داود**، **للعظيم** آبادي الصّديقي، عني به أبوعبدالله الأثري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٩٣. **العين**، **للخليل بن أحمد**، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

٩٤. **الغاية في شرح الهداية**، **للسخاوي**، تحقيق محمد سيدي محمد محمد الأمين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

٩٥. **غريب الحديث**، لابن قتيبة، تحقيق الدكتور عبدالله الجبوري، وزارة الأوقاف، العراق، ١٩٧٧م.

٩٦. **غريب الحديث**، **لأبي عبيد القاسم بن سلام**، تحقيق حسين شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٩٧. **غريب الحديث، للحربي**، تحقيق الدكتور سليمان العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. ومصورة مركز الملك فيصل عن نسخة الظاهرية.

٩٨. **غريب الحديث، للخطابي**، تحقيق عبدالكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.

٩٩. **الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام**، تحقيق الدكتور صفوان داوودي، دار الفيحاء، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

١٠٠. **الغريبين، لأبي عبيد الهروي**، تحقيق أحمد المزيدي، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.

١٠١. **الفائق في غريب الحديث**، للزمخشري، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٣، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٠٢. **فتح الباري، لابن حجر**، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٠٣. **فتح الباقي بشرح ألفية العراقي**، لزكريا الأنصاري، تحقيق حافظ الزاهدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠–١٩٩٩م.

١٠٤. **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، للسخاوي، تحقيق الدكتور عبدالكريم الخضير والدكتور محمد آل فهيد، دار المنهاج، الرياض، ط٢، ١٤٢٨هـ.

١٠٥. **الفصوص**، لصاعد الربعي، تحقيق الدكتور عبدالوهاب التّازي، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

١٠٦. **فكرة الوجوه والفروق في نظرية النظم الجرجانية**، لسليمان بن علي، رسالة ماجستير، جامعة الأغواط، الجزائر.

١٠٧. **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، تحقيق فرنسشكه قداره زيدين وتلميذه، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٠٨. **القاموس المحيط**، للفيروزابادي، دار الجيل، بيروت.

١٠٩. **القرائن المعنوية في النحو العربي**، لعبد الجبار توامي، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر.

١١٠. **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع**، للسخاوي، تحقيق بشير محمد عيون، دار البيان، دمشق، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١١١. **الكامل في القراءات الخمسين**، لأبي القاسم الهذلي، تحقيق جمال الشايب، مؤسسة سما، مصر، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١١٢. **الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون**، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

١١٣. **الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط**، لصالح الحسن، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١١٤. **الكتابة والقراءة وقضايا الخط العربي**، لمصطفى حركات، دار الآفاق، الجزائر.

١١٥. **الكفاية في معرفة أصول الرواية، للخطيب البغدادي**، تحقيق أبي إسحاق الدمياطي، مكتبة ابن عباس. مصر، ٢٠٠٢م.

١١٦. **الكلمة دراسة لغوية معجمية**، للدكتور حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

١١٧. **الكلمة في اللسانيات الحديثة**، للدكتور مصطفى عبدالواحد، كلية الآداب، صفاقس، ط١، ٢٠٠٧م.

١١٨. **اللامع العزيزي، للمعري**، تحقيق محمد سعيد مولوي، مركز الملك فيصل، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١١٩. **لسان العرب**، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٢٠. **اللغة، لفندريس**، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، ١٩٥٠م.

١٢١. **اللغة العربية العلمية**، للدكتور صالح بلعيد، دار هومه، الجزائر.

١٢٢. **اللغة العربية معناها ومبناها**، للدكتور تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

١٢٣. **اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة**، للدكتور محمد العبد، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

١٢٤. **اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين**، للدكتورة نادية النجار، دار الوفاء، الإسكندرية.

١٢٥. **اللهجات العربية في التراث للدكتور أحمد علم الدين الجندي**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٣م.

١٢٦. **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة، تحقيق الدكتور فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٢٧. **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، للشيخ محمد طاهر الصّديقي الفتّني، دار الإيمان، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٢٨. **مجموع غرائب أحاديث النبيّ ﷺ**، **للسّمعاني**، تحقيق محمد بن سعد آل سعود، نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ.

١٢٩. **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، **للمديني**، تحقيق عبدالكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٣٠. **المحتسب**، لابن جني، تحقيق جماعة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦م.

١٣١. **المحكم في نقط المصاحف**، **للداني**، تحقيق الدكتور عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٣٢. **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، لابن سيده، تحقيق جماعة، معهد المخطوطات، القاهرة.

١٣٣. **المحيط في اللغة**، **للصاحب بن عباد**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٣٤. **مختصر في شواذ القرآن**، لابن خالويه، تحقيق برجشتراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

١٣٥. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لملا علي القاري، بمبي، الهند.

١٣٦. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، **للسيوطي**، تحقيق جماعة، دار الفكر.

١٣٧. **مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي**، للدكتور محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

١٣٨. **المساعد على تسهيل الفوائد**، لابن عقيل، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ - ١٤٠٥هـ.

١٣٩. **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النّيسابوري، دار المعرفة، بيروت.

١٤٠. **مسند الإمام أحمد**، **تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٤١. **مشكاة المصابيح**، للخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٤٢. **مصابيح السنة**، **للبغوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٤٣. **المصنف**، لابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٤٤. **معالم السنن**، **للخطابي**، خرجه الدكتور محمد محمد تامر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٤٥. **معاني القرآن**، للأخفش، تحقيق الدكتور فائز فارس، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٤٦. **معاني القرآن**، للفراء، تحقيق جماعة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

١٤٧. **معاني القرآن وإعرابه**، للزجاج، تحقيق الدكتور عبدالجليل شلبي، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٤٨. **المعيد في أدب المفيد والمستفيد**، **للعلموي**، تحقيق الدكتور مروان العطية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

١٤٩. **مغني اللبيب**، لابن هشام، تحقيق الدكتور عبداللطيف الخطيب، المجلس الوطني، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٥٠. **المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية**، **للشاطبي**، تحقيق جماعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٥١. **مقالات في اللغة والأدب**، للدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٥٢. **المقاييس في اللغة**، لابن فارس، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٥٣. **المقتصد في شرح التكملة**، للجرجاني، تحقيق أحمد الدويش، جامعة الإمام، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٥٤. **مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث**، للدكتور إبراهيم الخولي، دار البصائر، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٥٥. **المقتضب**، للمبرد، تحقيق محمد عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

١٥٦. **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٥٧. **الممتع**، لابن **عصفور**، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٥٨. **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، للدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

١٥٩. **من قضايا النظرية اللغوية العربية**، للدكتور عبدالرحمن بودرع، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٦٠. **منهج السياق في فهم النص**، للدكتور عبدالرحمن بودرع، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ١٤٢٧هـ.

١٦١. **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، لروبنز، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني، الكويت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٦٢. **النحو والدلالة**، للدكتور **محمد حماسة**، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٦٣. **نظرية السياق (دراسة أصولية)**، للدكتور نجم الدين الزنكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

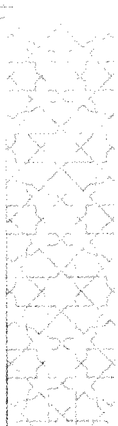
١٦٤. **النكت الوفية بما في شرح الألفية**، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق الدكتور ماهر الفحل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٦٥. **النهاية في غريب الحديث**، **لابن الأثير**، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٦٦. **نور مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه**، للبجمعوي، أضواء السلف، الرياض.

١٦٧. **الهداية إلى بلوغ النهاية**، لمكي القيسي، تحقيق جماعة، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

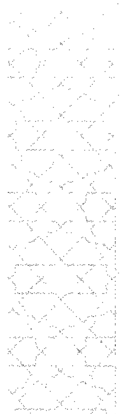
* * *

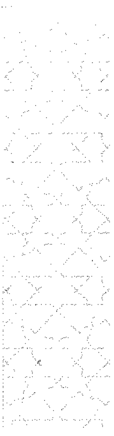


الغريب في النحو

دراسة وصفية في البنية والقواعد والأقوال

د. محمد بن ناصر الشهري
قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب
جامعة الملك سعود



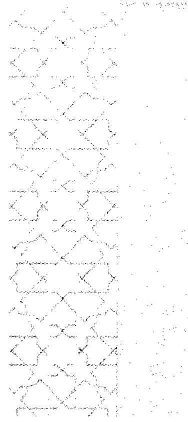


الغريب في النحو : دراسة وصفية في البنية والقواعد والأقوال

د. محمد بن ناصر الشهري
قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب
جامعة الملك سعود

ملخص البحث :

إن الظواهر التي يلحظها الدارس في التراث النحوي كثيرة جداً ، وكل ظاهرة من هذه الظواهر تستحق الوقوف عندها بالنظر والتأمل ، ومن الظواهر الكثيرة التي تلفت النظر ظاهرة أشار إليها النحويون في مواضع شتى من كتبهم ، وهي ظاهرة : « الغريب» فلقد جاء عنهم وصف كثير من الأنماط النحوية بالغريب ، وكذلك أثر عنهم وصف كثير من الأقوال المأثوره عن بعض النحويين بالغريب ، إما صراحة بهذا اللفظ ، وإما بألفاظ مقاربة له في المعنى ، وقد كثر ذلك كثرة الحد الذي يسترعي انتباه الباحث ، حيث قد أحصيتُ أكثر من مائة وأربعين موضعاً ورد فيها هذا اللفظ صراحة ، مما يرشد إلى أن هذا الظاهرة جديرة بالدارسة . وهذا البحث محاولة لتجلية هذا الظاهرة ، وبيان كثير من ملابساتها ، كما سيتبين إن شاء الله تعالى .



المقدمة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد :

فإن الظواهر التي يلحظها الدارس في التراث النحوي كثيرة جدا، ومتنوعة بشكل كبير، وكل ظاهرة من هذه الظواهر تستحق الوقوف عندها بالنظر والتأمل، وذلك لاستجلاء حقائق هذه الظواهر، وبيان ارتباطها بذات اللغة، لكونها تكشف بجلاء كثيرا من خصائصها القيمة الكثيرة، هذا من جانب.

ومن جانب آخر فإن الوقوف عند هذه الظواهر يلقي الضوء على نتائج الدراسات النحوية عبر العصور المتعاقبة، ومدى ارتباط ذلك بمنهج التفكير النحوي عبر مراحله الكثيرة، سواء من حيث طبيعة الفكر ونوعه، أم من حيث تعدد وجهات الدراسات والتناول لقضايا نحو اللغة العربية، وما أثمر هذا التعدد من ظهور نتائج مختلفة في الأحكام، وكذلك يجلي مدى التزام النحويين بالمنهج العام في دراسة النحو لكل من المدرستين الكبيرتين، المدرسة البصرية بمنهجها الخاص، الذي من أبرز سماته القياس على المطرد الكثير، وتأويل ما خالف ذلك أو رده، والمدرسة الكوفية التي أعقبتها بمنهجها الخاص والذي يتمثل في قبول كل ما ورد عن العرب واعتباره أصلا يقاس عليه وإن كان شاهدا واحدا، أم أن هناك خروجا عن هذا النهج، وبالتالي بروز نوع من الأقوال والأحكام لا ينسجم مع المتقرر العام ؟

كما أن الوقوف عند بعض تلك الظواهر يبرز طبيعة اللغة - أي لغة - ومنها العربية، وهي أن اللغة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، والظواهر الاجتماعية في الغالب لا تخضع لقانون عقلي صرف، يشمل كل أجزائها الكبيرة والدقيقة، إذ إن كثيرا من جوانب هذه اللغة تخضع للنظام العقلي الصرف بشكل عام، وطائفة أخرى من جوانبها لا تخضع له، بل نجد صورا متعددة مختلفة لبعض الأنماط اللغوية لا تنسجم مع تلك الأحكام القاطعة، وهذا أمر في غاية الأهمية، يجب على كل دارس للغة أن يراعيه حتى لا تصاب أحكامه بالاضطراب، ويدخلها كثرة الاستثناءات، والصور المخالفة للقاعدة العقلية المنطقية.

وفي الحقيقة أن كثيرا من جوانب الدراسات النحوية لم تسلم من هذا التأثر بالمنهج العقلي المنطقي الأرسطي، الذي امتد أثره إلى كثير من جوانب الدراسات النحوية منذ وقت مبكر من تاريخ هذه الدراسات، مما نتج عنه كثير من المشكلات التي تمثلت في الخروج باللغة عن طبيعتها، وبالتالي الخروج بمنهج البحث والدراسة عن طبيعة اللغة، فوجد الاضطراب في كثير من القواعد، وبرز القول بإعادة صياغة التركيب بناء على أن هناك أشياء كثيرة غير

موجودة لفظا ، لا بد من تقديرها ، كالعوامل المحذوفة ، وأجزاء الجملة المحذوفة أيضا ، إلى غير ذلك من صور الخروج باللغة وقواعدها عن الواقع الفعلي لهما .

ومن الظواهر الكثيرة التي تلفت النظر ظاهرة أشار إليها النحويون في مواضع شتى من كتبهم ، وهي ظاهرة : « الغريب » فلقد جاء عنهم وصف كثير من الأنماط النحوية بالغريب ،وكذلك أثر عنهم وصف كثير من الأقوال المأثورة عن بعض النحويين بالغريب ، إما صراحة بهذا اللفظ ، وإما بألفاظ مقاربة له في المعنى ، وقد كثر ذلك كثرة إلى الحد الذي يسترعي انتباه الباحث ، حيث أحصيتُ أكثر من مائة وأربعين موضعا ورد فيها هذا اللفظ صراحة ؛ مما يرشد إلى أن هذه الظاهرة جديرة بالدراسة لتجليتها بصورة تبين حقيقتها ، ومدى عمقها وعلاقتها ببنية اللغة العربية ، وبطبيعة الدراسات النحوية ، والبحث فيه .

وهذا البحث محاولة لتجلية هذه الظاهرة ، وبيان كثير من ملابساتها ، كما سيتبين إن شاء الله تعالى ، ومنه أستمد العون والتوفيق .

هذا وقد تكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة فصول ، وهي :

الفصل الأول : دراسة تحليلية للغريب .

الفصل الثاني : الغريب بالنسبة للمألوف من البنية والقواعد .

الفصل الثالث : الغريب من الأقوال والآراء .

الخاتمة .

المصادر .

* * *

الفصل الأول : دراسة تحليلية للغريب :

تمهيد :

معنى الغريب :

بداية يحسن أن أتحدث عن معنى الغريب في اللغة وعند النحويين :

فأما في اللغة فقد قال ابن منظور في لسان العرب : « والغريب : الغامض من الكلام ، وكلمة غريبة ، وقد غَرُبت ، وهو من ذلك » [1] .

وأما معناه عند النحويين فهذا ما سأذكره في جواب التساؤل الأول بعد قليل .

تساؤلات البحث :

قام هذا البحث على عدد من التساؤلات التي تبدو في حاجة ملحة لإيجاد إجابات كافية تجلي كثيرا من الحقائق حول هذه الظاهرة الدقيقة من ظواهر لغتنا الكثيرة ، ألا وهي ظاهرة الغريب في النحو.

وهذه التساؤلات :

١- هل استعمل لفظ الغريب دالا على معنى محدد أم لا ؟

٢- ما مدى شيوع لفظ الغريب وروده عند النحويين ؟

٣- هل استعمل الغريب حكما نحويا أم لا ؟

٤- هل ارتقى اللفظ إلى أن يكون مصطلحا ذا دلالة محددة ؟ وما مدى شيوع ذلك ؟

٥- ما أسباب القول بالغريب ؟

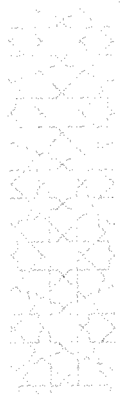
السؤال الأول :

سوف أبدأ أولا بالإجابة عن التساؤل الأول ، وهو يتضمن بيان معنى الغريب عند النحويين ، فأقول :

إذا نظرنا إلى دلالة لفظ الغريب عند النحويين فإننا نجد أن الغريب قد استعمل بمعان متعددة ، مما يعني أنه لم يكن يحمل دلالة محددة لدى النحويين ، وإنما كان يطلقه بعضهم مريدا به معنى قد يكون خاصا به ، وربما وافق فيه غيره ، وقد يكون إطلاقه بمعنى يتفق عليه كثير من النحويين .

---

(١) انظر : لسان العرب ٦٤٠/١ .



ومن معاني الغريب التي وجدتُ أن النحويين قد استعملوها المعاني الآتية :

١ – استعمال الغريب بمعنى الانفراد ، ومن أبرز ما يمثل ذلك ما صنعه السيوطي حينما عقد قسما في كتابه الأشباه والنظائر سماه : « فن الأفراد والغرائب » [١] حيث استعمل الغريب والفرد بمعنى واحد ، وقد ورد عنده لفظ الغريب تسع مرات .

فهذا الصنيع من السيوطي - وهو جمع الأفراد والغرائب في باب واحد - دليل على المراد بالغريب عنده ، وهو أنه موافق لمعنى التفرد أو الانفراد .

ومن شواهد هذا أيضا تفسير الدسوقي للغريب عند شرحه لقول ابن هشام : « وهو غريب » [٢] بقوله : « وقوله (وهو غريب) : لأنه لم يوافقه عليه أحد » [٣] .

فبناء على هذا التفسير من الدسوقي للغريب فإنه سيدخل مسائل كثيرة جدا ! ثم ما صحة هذا التفسير ؟ وما مدى دقته ؟ لأن هذا الحكم من الدسوقي يحتاج إلى اطلاع تام ، إلا إذا قيل إن مراده : لم يوافقه أحد يعتد به ! اللهم إلا إذا قيل إن هذا حكم خاص بالدسوقي .

٢ – أن المراد بالغريب ما كان غير معروف ولا مشهورا ، ولا متداولا بين النحويين ، ومن أمثلة ذلك قول ابن مالك : « وهي [رام] وونى بمعنى زال غريبتان ، ولا يكاد النحويون يعرفونهما إلا من عني باستقراء الغريب » [٤] .

ومن أمثلته كذلك : قول الدسوقي شارحا قول ابن هشام : « وكون الفاء بمنزلة إلى غريب [٥] قال : قوله : غريب ، أي : لم يتكلم عليه أحد وليس بشائع » [٦] .

ومنه قول ابن هشام أيضا : « وهذا معنى غريب ؛ لأني لم أر من ذكره » [٧] .

وقال خالد الأزهري عن سواء - لغةٌ في سوى - : « (سواء) وهي أغربها ، وقل من ذكرها » [٨] .

وعلى هذا فالغريب قد استعمل مرادفا للقليل ، تماما كما استعمل ابن هشام لفظ القليل في قوله : » حتى : حرف يأتي لأحد ثلاثة معان : انتهاء الغاية ، وهو الغالب ، والتعليل ، وبمعنى إلا في الاستثناء ، وهذا أقلها ، وقل من ذكره » [٩] .

---

(١) انظر : الأشباه والنظائر ٣/٣ – ٢٨ .
(٢) مغني اللبيب ٤٤٦/٢ .
(٣) حاشية الدسوقي ٩٧/٢ .
(٤) شرح التسهيل ٣٣٤/١ .
(٥) مغني اللبيب ١٦٢/١ .
(٦) حاشية الدسوقي ١٧٤/١ .
(٧) مغني اللبيب ١٦٣/١ .
(٨) التصريح ٣٤٧/١ .
(٩) مغني اللبيب ١٢٢/١ .

٣- استعماله مرادفا لمصطلح الشاذ ، فكأنه بذلك يعني الخروج عن القاعدة المطردة ،كقول ابن هشام : « وقد ورد جواب لو الماضي مقرونا بقد ، وهو غريب ، كقول ....، ونظيره في الشذوذ اقتران جواب لولا بها ، كقول ... » [١] فنجد أن ابن هشام هنا قد قابل الغريب بالشاذ .

ولعل من ذلك قول أبي حيان : « وهذا أمر جار على القواعد فلا غرابة فيه » [٢].

ومن ذلك أيضا قول ابن يعيش : « فأما قراءة نافع ﴿ وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِي ﴾ [سورة الأنعام : ١٦٢] بسكون الياء فهو غريب ، لخروجه عن القياس ، وما عليه الجمهور » [٣].

٤ – استعماله بمعنى مخالفة المعهود :

ومن ذلك ما ذكره ابن هشام في بيان كيفية التقدير ، من أنه إذا استدعى الكلام تقدير أسماء متضايفة أو موصوفة وصفة مضافة أو جار ومجرور مضمر عائد على ما يحتاج إلى الرابط ،فلا تقدر أن ذلك حصل دفعة واحدة ، بل على التدريج [٤] .

وذكر من أمثلة الجار والمجرور قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ [البقرة : ٤٨] أي : لا تجزي فيه ، ثم حذفت في فصار لا يجزيه ، ثم حذف الضمير منصوبا لا مخفوضا . هذا قول الأخفش [٥] .

وعن سيبويه أنهما حذفا دفعة واحدة .

ونقل ابن الشجري [٦] القول الأول عن الكسائي ، واختاره . قال : والقول الثاني قول نحوي آخر ، وقال أكثر أهل العربية منهم سيبويه [٧] والأخفش يجوز الأمران [٨] .

قال ابن هشام : « وهو نقل غريب » [٩] .

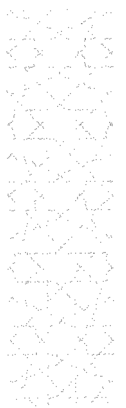
التساؤل الثاني :

مدى شيوع لفظ الغريب ووروده :

ورد لفظ الغريب عند النحويين كثيرا ، وقد كثر ذلك كثرة إلى الحد الذي يسترعي انتباه الباحث ، حيث أحصيت وروده في أكثر من مائة وأربعين موضعا ، وذلك في جمع غير مستقص

---

(١) مغني اللبيب ٢٧٢/١ ، وسيأتي الحديث عنه ص ٣٢ .
(٢) نقلا عن تعليق الفرائد ٥٧/٨ .
(٣) شرح ابن يعيش ٣٤/٣ . وسيأتي الحديث عنه ص ٢٦.
(٤) مغني اللبيب ٦١٦/٢ .
(٥) انظر : معاني القرآن ٨٨/١ ، وأمالي ابن الشجري ٦/١ – ٧ .
(٦) انظر : أمالي ابن الشجري ٦/١ – ٧.
(٧) انظر : الكتاب ٣٨٦/١ .
(٨) مغني اللبيب ٦١٧/٢ .
(٩) مغني اللبيب ٦١٧/٢ .



، لأن الاستقصاء ليس مقصودا في هذا البحث ،مما يعني أن كثيرا من النحويين كانوا يستعملون هذا اللفظ على وعي منهم بذلك ، وهذا الإحصاء الذي أحصيته لا أقطع بأنه قد استوفى جميع مسائل الغريب جميعا ، لأن الغرض من هذا البحث هو إلقاء الضوء على قضية الغريب وتجليتها ، حيث إنني لا أعلم أنه قد سبق أن تناوله باحث بدراسة .في حدود ما أعلم. إلا ما صنع السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر ، حيث تحدث عن ذلك في القسم السادس من كتابه ، وقد سماه : « فن الأفراد والغرائب » حيث ذكر فيه سبع عشرة مسألة نحوية ، وثلاثا صرفية ، وقد ورد لفظ الغريب عنده تسع مرات فقط .

ومن هنا فقد وجدت هذا الموضوع ثريا وخصبا ،وصالحا للدراسة والبحث ، فأقدمت على الكتابة فيه مستعينا بالله تعالى ، ومحاولا بيان حقيقته ، وتجلية كثير من مسائله ، إضافة إلى جمع شتاته ، وجعلها في بحث واحد ، فكان هذا البحث الذي أرجو أن يكون خدمة للغتنا العزيزة الشريفة .

التساؤل الثالث :

هل استعمل الغريب حكما نحويا ؟

ورد في مواطن متعددة استعمال لفظ الغريب حكما في بعض المسائل ، حيث استعمله بعض النحويين في مقابل بعض المصطلحات التي وضعت للتعبير عن حكم نحوي معين ،ومن أمثلة ذلك مسألة إضافة « ذو » [1] التي بمعنى صاحب إلى الضمير ،ومعلوم أنها لا تضاف إلا إلى اسم جنس ظاهر ،ولكنها وردت مضافة للضمير في قول الشاعر :

صبحنا الخزرجية مرهفات أبار ذوي أرومتها ذووها

فقد تفاوتت أحكام النحويين على هذه الإضافة ، فقال الزمخشري : هذا شاذ [2] وقال ابن مالك في شرح الكافية : نادر [3] وقال في شرح التسهيل : قليل [4] وذكر أبو حيان أن بعض النحويين لا يجوزه إلا للضرورة ، وبعضهم قال بجوازه [5] وقال ابن يعيش : « هذا غريب » [6].

ومن أمثلة ذلك ما نص عليه النحويون من أنه يشترط شروط معينة لصياغة فعلي التعجب ، وأن هذه الشروط هي نفسها التي تشترط لصيغة أفعل التفضيل، وبناء على هذا فما شذ في باب التعجب فإنه يكون شاذا في باب التفضيل .

(١) وسيأتي الحديث عنه .
(٢) انظر : المفصل ص ١٤٠.
(٣) شرح الكافية ٢/٩٧٢ .
(٤) انظر : شرح التسهيل ٣/٢٢٤ .
(٥) انظر : ارتشاف الضرب ٤/١٨١٥ .
(٦) انظر : شرح المفصل ٣/٣٨ .

قال الدماميني : « وهذا الكلام منهم يقتضي اقتياس الشاذ الوارد هناك [في التعجب] في هذا [أفعل التفضيل] وقد صرحوا بذلك فقالوا : ما شذوا فيه هناك شذوا فيه هنا ، وبالعكس .

فإن استندوا في ذلك إلى نقل أن السماع جاء بذلك فبعيد ، وإن قالوا ذلك بالقياس فالقياس على الشاذ غريب »[1].

فمن هنا يمكن طرح تساؤلات حول العلاقة بين الشاذ والغريب عند الدماميني ، فهل الغريب مرادف للشاذ ؟ أم أن هذا من التداخل في الاستعمال بين اللفظين ؟ أم أنه من عدم وضوح اللفظ بوصفه مصطلحا ذا دلالة محددة ؟ أسئلة كثيرة يثيرها هذا الصنيع من الدماميني .ومن غيره من النحويين..

وقد ورد استعمال لفظ الغريب بوصفه أكثر دلالة من الشاذ أو النادر ، إلى درجة أنه لا يصح القياس عليه ، ومعلوم أن القياس على الشاذ لا يصح عند البصريين ، ومن أمثلة ذلك ما ذكر ابن هشام [2] وخالد الأزهري [3] من أنه قد حذف الفعل وبقي ناصبه ، كما ورد في الحديث الشريف : « فيذهب كيما ، فيعود ظهرُه طبقا واحدا » أي : كيما يسجد .

قال ابن هشام -ووافقه خالد الأزهري- : « وهذا غريب جدا لا يحتمل القياس عليه » .

ومن ذلك أيضا ما ورد عن ابن مالك من أن الغريب يقابل الثابت بالسماع والقياس ، حيث ذكر في شرح الكافية [4] أن نافي جواب القسم الماضي قد يحذف إذا دلت قرينة على إرادة النفي ، واستشهد على ذلك ببيت لأمية بن أبي الصلت ، ثم ذكر أنه قد يحذف نافي الجملة الاسمية إذا لم يستقم المعنى إلا بتقديره ، واستشهد ببيت آخر ، ثم قال : « وهذا البيت وبيت أمية غريبان » .

ومع ذلك فقد ذكر في شرح التسهيل ما يخالف رأيه هنا في البيت الأخير ، فقال : « وإذا كان الموصول اسما أجاز الكوفيون حذفه إذا علم ، وبقولهم أقول ، وإن كان خلاف قول البصريين إلا الأخفش ، لأن ذلك ثابت بالقياس والسماع »[5] .

كما ورد عند ابن مالك ما يفيد أن الغريب قد يرادف الضرورة ، وقد اتضح ذلك عند حديثه عن تجرد جواب القسم الماضي من اللام وقد ، حيث يرى الجمهور وجوب اقتران الفعل الماضي إذا وقع جوابا لقسم ولم يستطل الكلام باللام وقد إن كان الزمن قريبا من الحال ، أو باللام وحدها إن كان بعيدا من زمن الحال .

(١) تعليق الفرائد ٢٤٦ – ٢٤٧ .
(٢) مغني اللبيب ١/١٨٣ .
(٣) التصريح ٢/٢٣٠.
(٤) ٢/٨٤٣.٨٤٦ .
(٥) شرح التسهيل ١/٢٣٥ .

إلا أن ابن مالك أورد شاهدا على مجيء الماضي بالصورة المذكورة مجردا من اللام وقد ، واستشهد بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده وددتُ أن أقاتل في سبيل الله فأقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل ... » الحديث .

قال ابن مالك : « وفيه غرابة لأن ذلك لا يكاد يوجد إلا في ضرورة أو كلام مستطال » [1] .

ومن أبرز الأمثلة على استعمال الغريب بالتناوب مع مصطلح نحوي متفق عليه. وهو الشاذ . قول ابن هشام عن مجيء جواب لو ماضيا مقرونا بقد في الشعر : « وهو غريب » [2] ثم نظّر هذا بوقوع جواب لولا ماضيا مقرونا بقد ، ولكنه حكم عليه بالشذوذ ، فقال : » ونظيره في الشذوذ اقتران جواب لولا بها [أي بقد] » .

إلا أنه مع ذلك كله نجدهم لا يذكرونه مع سائر الأحكام النحوية : الواجب ، والكثير ، والغالب ، والقليل ، والنادر ، وذلك عند حديثهم عنها ، فهل هذا عن غفلة ؟ أم عن قصور في استيفاء سرد الأحكام النحوية ؟ أم أنه اكتفي عنه بالنادر والشاذ ونحوهما من الألفاظ ؟

والذي يظهر أن العلة في عدم ذكره مع ألفاظ الأحكام النحوية الأخرى أنه لم يشع استعماله كشياع الشاذ والنادر ونحوهما ، فكانا أكثر منه شهرة واستعمالا .

التساؤل الرابع :

هل ارتقى اللفظ إلى أن يكون مصطلحا ذا دلالة محددة ؟ وما مدى شيوع ذلك ؟

رأيت من خلال البحث والتمحيص أن لفظ الغريب يرد عند بعض النحويين دون بعض ، وهذا بلا شك مرتبط بقضية وضع المصطلحات عامة واستعمالها ، ففي كثير من الأحوال يتفرد نحوي بمصطلح نحوي معين ، أو يقتصر استعمال مصطلح ما على عصر معين ، وهذا قد يلتمس له بعض العذر ، وذلك لطول المدة الزمنية لتاريخ النحو العربي ، واتساع الرقعة الجغرافية للعالم العربي والإسلامي ، وكذلك تفاوت آلية الدرس النحوي ، فليس النحويون . مثلا . جمعية تتخذ قراراتها بالأغلبية ، ونحو ذلك ، إذاً فلا عجب أن يوجد تفرد بمصطلح أو أكثر لدى نحوي معين ، أو في عصر من العصور .

وبناء على هذا فإن لفظ الغريب جاء مؤديا معاني متعددة تبعا لمراد من استعمله ، ولم يرتق . من وجهة نظري . إلى أن يستعمل مصطلحا ذا دلالة محددة متفق عليها .

---

(١) شواهد التوضيح ص ٦٦ .

(٢) مغني اللبيب ٢٧٢/١ .

التساؤل الخامس :

ما أسباب القول بالغريب ؟

يظهر من خلال النظر في مسائل الغريب أن هناك أسبابا أدت إلى القول بالغريب ،فمن هذه الاسباب :

١ - عدم مراعاة اختلاف لغات العرب (لهجاتهم) :

لا شك أن عدم مراعاة لغات العرب المختلفة قد دفع بعض النحويين إلى الذهاب إلى بعض الأقوال الغريبة ، أو إلى القول بما وصف بالغرابة ، وذلك كما حصل في تخريج قول العرب : « ليس الطيبُ إلا المسكُ » برفع المسك [١] .

فقد ذكر سيبويه أنها لغة لبعض العرب ولم يعينهم ، وذلك على جعلها حرفا مهملا ،ونص ابن مالك على أنها لغة تميم [٢] .

وأما الحجازيون فإنهم ينصبون .

وبرغم كون ذلك لغة إلا أن بعض النحويين وعلى رأسهم أبو علي الفارسي حاولوا تأويل رفع (المسكُ) ، حيث ذكر لذلك وجوها [٣] :

الوجه الأول : أن في ليس ضمير الأمر والشأن ، والطيب مبتدأ ، والمسك خبره .

والثاني : أن يكون الطيب اسم ليس ، والخبر محذوف ، وإلا المسك بدل منه .

والثالث : أن يكون الطيب اسم ليس ، وإلا المسك نعت له ، والخبر محذوف ، كأنه قال : ليس الطيب الذي هو غير المسك طيب في الوجود ، وحذف الخبر لفهم المعنى .

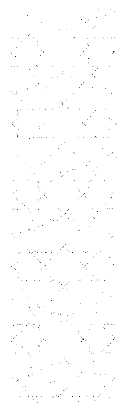
وقد قال ابن مالك بقول أبي علي الثاني متابعة له [٤] .

قال أبو حيان : « والعجيب له اتباع أبي علي في هذا التأويل مع اعتقاده أن ذلك لغة » [٥] .

وقد اعتذر أبو حيان عما فعل أبو علي الفارسي من التأويل مع أن ذلك لغة بقوله : « وأما أبو علي فتأول قولهم : ليس الطيب إلا المسك ، وذلك أنه لم يبلغه . والله أعلم . نقل أبي عمرو ذلك أنها لغة تميم ، ... » [٦] .

---

(١) انظر : الكتاب ١٤٧/١ .
(٢) انظر : شرح التسهيل ٣٧٩/١ .
(٣) انظر : الحلبيات ص ٢٢٨ – ٢٢٩ ، والتذييل ٣٠٤/٤ .
(٤) انظر : شرح التسهيل ٣٨٠/١ .
(٥) التذييل ٣٠٢/٤ .
(٦) التذييل ٣٠٠/٤ – ٣٠١ .



فنلاحظ هنا أن أبا حيان وصف صنيع ابن مالك من متابعة أبي علي في ما ذهب إليه من التأويل برغم نص ابن مالك على أن ذلك لغة تميم بأن ذلك عجيب .

كما ذكر أبو حيان تخريجا آخر لملك النحاة وصفه بالغريب فقال : « ولأبي نزار الحسن بن صافي بن عبد الله الملقب بملك النحاة ت (٥٦٨ هـ) تخريج غريب في قولهم : ليس الطيبُ إلا المسكُ ، وهو أنه زعم أن الطيب اسم ليس ، والمسك : مبتدأ ، وخبره محذوف ، وتقديره : إلا المسكُ أفخره ، والجملة من قولك « إلا المسك أفخره » في موضع نصب على أنها خبر ليس ، كما تقول : ليس زيد إلا عمرو ضاربه ، قال : وقد تخبط سيبويه والسيرافي في هذا ، وما أتيا بطائل .

وقد رد عليه ابن الجَبَّاب الجليس المصري ت (٥٤١ هـ) .

ونقلُ أبي عمرو أن تلك لغة تميم مبطل لما تأوله الفارسي وأبو نزار ، لأن التميمي يقول : ما كان الطيب إلا المسكَ ، وينصب ، وليس الطيبُ إلا المسكُ ، ويرفع ، والحجازي ينصب فيهما ، فدل على فرقان اللغتين ، وأن التميمي جعلها كـ (ما) في لغته ، وأنه أراد حصر الخبر كما أراد الحجازي » [١] .

٢ ـ أن القول بالغريب ربما كان منهجا لبعض النحويين ، وإن كان يمكن النظر إليه على أنه نوع من التفكير الجاد في محاولة لتخريج بعض ما أشكل من بعض مسائل النحو ، وذلك كما روى السيوطي أن القاضي إسماعيل بن إسحاق سأل أبا الحسن بن كيسان : » ما وجه قراءة من قرأ ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[طه ٦٣] على ما جرى به عادتك من الإغراب في الإعراب ؟ فأطرق ابن كيسان مليا ثم قال : تجعلها مبنية لا معربة ، وقد استقام الأمر . قال : فما علة بنائها ؟ قال : لأن المفرد منها (هذا) وهو مبني ، والجمع (هؤلاء) وهو مبني ، فتحمل التثنية على الوجهين . فأعجب القاضي ذلك ، وقال : ما أحسنه لو قال به أحد ! فقال ابن كيسان : ليقل به القاضي ، وقد حسُنَ " [٢] .

٣ –أن القول بالغريب قد يكون مرجعه إلى عدم تعدد مصادر التلقي للنحوي ، فربما لم يعتمد بعضهم إلا على شيخ واحد فقط ، أو اعتمد على القراءة في الكتب دون الدراسة على أيدي العلماء ، مما يسلم إلى القول ببعض الآراء الغريبة .

ولذلك فإنه ينبغي النظر إلى ملابسات القول بالغريب ، والأمور التي أحاطت بالقائل به ، كشيوخه ، ونهجه وشخصيته ، وتمكنه في العلم ، إلى غير ذلك من الأمور ، ومن النماذج التي ورد عنها ذلك :

(١) التذييل ٣٠٣/٤ – ٣٠٤ .
(٢) الأشباه والنظائر ٣٢٦/٣ .

أ ـ ما ذكره ابن الشجري عن أبي نزار الملقب بملك النحاة ، الذي سبق أن رأينا رأيه في الموضع رقم (١) في هذا المبحث ، حيث قال عنه ابن الشجري معلقا على رأي آخر له : «ومن العجب أن هذا الجاهل يقدم على تخطئة سلف النحويين وخلفهم ، وتخطئة الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين ، فيعترض على أقوال هؤلاء وأشعار هؤلاء ، بكلام ليس له محصول ، ولا يُؤْثر عنه أنه قرأ مصنفا في النحو إلا مقدمة من تأليف عبد القاهر الجرجاني ، قيل إنها لا تبلغ أن تكون في عشر أوراق ، وقيل إنه لا يملك من كتب النحو واللغة ما مقداره عشر أوراق ، وهو مع هذا يرد بقحته على الخليل وسيبويه ، .... » [1].

ب – ومن صور ذلك أيضا ما قاله أبو حيان عن أبي القاسم السهيلي وعن شيخة أبي الحسين بن الطراوة ، حيث قال : « من غريب الخلاف في (لا) التي للنهي والدعاء ما ذهب إليه أبو القاسم السهيلي من أنها (لا) التي للنفي ، قال : لأن الناهي يطلب نفي الفعل وتركه ، كما يطلب الآمر وجوده ، ....

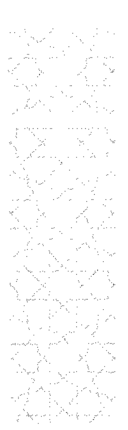
قال أبو حيان : وهذا الذي قاله في غاية من الشذوذ ، لأن فيه ادعاء إضمار لم يلفظ به قط ، ولأن فيه إضمار الجازم ، وهو لا يجوز إلا للضرورة ، ....، وأيضا سبق إجماع النحويين كوفيهم وبصريهم على أن (لا) تفيد معنى النهي عن الفعل ، وأن الجزم بها نفسها ، لا نعلم أحدا خالف في ذلك قبل هذا الرجل ، وهذا الرجل كان شاذ المنازع في النحو ، وإنْ كان غير مدفوع عن ذكاء وفطنة ومعرفة ، وإنما سَرَى إليه ذلك من شيخه أبي الحسن بن الطراوة ، فإنه لم يأخذ علم النحو إلا عنه ، وابن الطراوة كما علمه النحاة كثير الخلاف لما عليه النحويون ، وقد صنف كتبا في الرد على سيبويه وعلى الفارسي ، وعلى الزجاجي ، وردّ عليه الناس ، ورموه عن قوس واحدة » [2].

٤–أن القول بالغريب قد يكون مرده إلى استعمال مصطلحات وقانون من غير واقع العربية ، كاستعمال مصطلحات منطقية بعيدة في معانيها عن طبيعة اللغة العربية ونحوها ، وخلط ذلك بالمصطلحات والقواعد النحوية العربية المستقاة من واقع العربية ونحوها .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو حيان عن ابن الطراوة ، حيث قال : « وذهب أبو الحسين بن الطراوة إلى مذهب غريب في تقديم الخبر ، بناء على مذهب له في الواجب والجائز والممتنع .

فالواجب عنده : رجل وقائم ونحوهما مما يجب أن يكون في الوجود ، ولا ينفك الوجود عنه ، والممتنع : لا قائمَ ، ولا رجلَ ، إذ يمتنع الوجود أن يكون لا رجلَ فيه ولا قائمَ .

(١) أمالي ابن الشجري ٢/٣٧٣ – ٣٧٤ ، والأشباه والنظائر ٣/١٥٥، ١٦٤.
(٢) الأشباه والنظائر ٣/٢١ – ٢٣.



والجائز مثل : زيد وعمرو؛ لأنه جائز أن يكون وجائز أن لا يكون .

قال : فكلامٌ مركب من واجبين لا يجوز، نحو :رجلٌ قائمٌ، لأنه لا فائدة فيه، وكلام مركب من ممتنعين أيضا لا يجوز، مثل : لا رجلٌ لا قائمٌ، لأنه كذب، ولا فائدة فيه، وكلامٌ مركب من واجب وجائز صحيحٌ، نحو : زيدٌ قائمٌ، وكلامٌ مركب من ممتنع وجائز لا يجوز، ولا من واجب وممتنع، نحو : زيدٌ لا قائم، ورجلٌ لا قائم، لأنه كذب، إذ معناه : لا قائمَ في الوجود، وكلامٌ مركب من جائزين لا يجوز، نحو : زيد أخوك، لأنه معلوم، لكن بتأخيره صار واجبا، فصح الإخبار به لأنه مجهول في حق المخاطب، فالجائز يصير بتأخيره واجبا .

وإذا ثبت هذا كله انبنى عليه أن لا يجوز : « قائمٌ زيدٌ، لأن زيدا صار بتأخيره واجبا، فصار الكلام مركبا من واجبين، فصار بمنزلة : قائمٌ رجلٌ . فلا يجوز عنده تقديم الخبر إذا كان واجبا »[1] .

٥- ومن أسباب القول بالغريب الإبعاد في تفسير بعض المسائل، والتماس معان بعيدة عن الذهن، بل وعن مقصود المتكلم .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو حيان من رأي غريب للفراء في ما ورد في لعل من جر ما بعدها، فقال : » ومن غرائب المنقول أن الفراء ذهب إلى جواز الخفض بلعل، وإجازة نصب الخبر ورفعه، قال : والأصل : لعاً لِعبد الله . قال : فمن نصب قال : لا يكون الاسم مخفوضا وفعله مرفوع . ونصْبه عنده على التفسير، كقولك : ما أظرفَك رجلاً ! ومن رفعه رفعه باللام . قال الفراء : فمن قال : لعاً لِعبد الله قائما، أو قائم، ثم كنى عن عبد الله قال :لعلّه، فنصب لامه .

وهذا عند البصريين خطأ، لأنه إن أراد أنْ يخفض بلعل جاء بخلاف ما جاء به القرآن، وما نقله أهل اللغة، وإن أراد (لعاً) التي تقال لمن عَثَرَ، بمعنى : نَعَشَك الله [أي : أقامك] ضدّ تعساً، فلا معنى لها هنا، ولا لذكرها مع (أنّ) وأخواتها، ....

وقد قيل : إن لعا مقلوب من علا، وهو دعاء في موضع : أعلاه الله . فلا ينون على هذا لأنه فِعْل، ولا يدغم لأنه لا تنوين فيه »[2] .

٦-من أسباب الغريب تفاوت الفهم لكلام العلماء، أو نقص الاستقراء له :

ومن أمثلة ذلك قول الدماميني : « ووقع لابن الحاجب-رحمه الله تعالى-في شرح المفصل كلام غريب هنا، فإنه قال :

---

(١) التذييل ٣/٥٣٥ - ٣٥٤، وانظر : الهمع ١/٣٢٤، والاقتراح في أصول النحو ص ٦٢ - ٦٤ .
(٢) التذييل .

لم يمنع (حسنُ وجهِه) ـ يعني بالإضافة ـ إلا صاحب الجمل فظن أن الناس يمنعونها ، فقال : وخالف سيبويه فيها جميع الناس ، وعلل المنع بإضافة الشيء إلى نفسه ، وبأن الوجه مضاف إلى ضمير الموصوف ، فكأن إضافة الصفة إلى الوجه إضافة الشيء إلى نفسه .

ويرد الأول جواز : حسنُ وجهٍ باتفاق ، وأن الحسن دال على معنى في الوجه لا نفسه ، فليس بمنزلة : حبس ومنع .

ويرد الثاني جواز : زيد ضارب غلامِه باتفاق » .

قال الدماميني : « وفيه أمور :

منها أن سيبويه منع المسألة كما منع الزجاجي ، ولكنه جوزها في الشعر فقط ، صرح بذلك في كتابه ، والمبرد منعها مطلقا في الشعر والنثر ، ووافق سيبويه جماعة من البصريين والمتأخرين ، ووافق المبرد جماعة على المنع مطلقا في الشعر والنثر »[1] .

* * *

(١) تعليق الفرائد .

الفصل الثاني :الغريب بالنسبة للمألوف من البنية والقواعد :

ذكر طائفة من النحويين صورا من غرائب العربية ، حيث وردت بعض الصور التي جاءت مخالفة لما هو مألوف من بعض قواعد العربية وقوانينها ، فمما ورد من ذلك :

١ -استتار الضمير في فعل الغائبِينَ :

من المعلوم من قواعد اللغة أن الضمير إنما يستتر في فعل الأمر للواحد ، أو في المضارع المبدوء بتاء خطاب الواحد ، أو الهمزة ، أو النون ، أو فعل الاستثناء كخلا وعدا ولا يكون ، أو أفعل في التعجب أو التفضيل ، أو فعل الغائب أو الغائبة أو الصفات المحضة ، أو اسم الفعل الماضي [1].

ولكن من غرائب العربية أن يستتر الضمير في فعل الغائبِينَ ، وقد وقع ذلك في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة : ٧١] حيث اجتمعت الواو في الفعلين مع الاسم الظاهر المرفوع ، وقد تفاوتت آراء النحويين في تخريجها على وجوه متعددة ، ومنها أن تكون هاتان الواوان علامة جمع المذكرين ، كما في لغة طيء ، أو أزد شنوءة ، أو بلحارث ، فتكونان حرفين دالين على جمع المذكر [2].

فعلى هذا الوجه سيكون عندنا صورة غريبة لاستتار الضمير ، عبر عنها ابن هشام بجلاء حيث قال : « فإذا قدرت الواوان فيها علامتين فالعاملان قد تنازعا الظاهر ﴿كَثِيرٌ﴾ فيجب حينئذ أن تقدر في أحدهما ضميرا مستترا راجعا إليه ، وهذا من غرائب العربية ، أعني وجوب استتار الضمير في فعل الغائبِينَ " [3].

٢ -لحاق الضمير لاسم الفعل « هاء » :

من الأصوات المسمى بها فعل الأمر « ها » ومسماه « خذ » أو نحوه ، ومن العرب من يجعله ثنائيا مثل » صه ، ومه » فيلحقه كاف الخطاب ، فيقول : هاكَ ، يا رجل ، وهاكما يا رجلان ويا امرأتان ، وهاكم يا رجال ، وهاكِ يا امرأة ، وهاكن يا نسوة ، وعلى هذا فيكون فيه ضمير مستتر هو الفاعل ، ويكون مفردا أو مثنى أو جمعا بحسب حال المخاطبين ، والكاف حرف خطاب لا محل له من الإعراب ، ويختلف بحسب حال المخاطبين إفرادا وتثنية وجمعا ، وتذكيرا وتأنيثا .

ومن العرب من يقول : « هاء » فيجعله ثلاثيا ، كخاف وهاب ، ويفتح الهمزة مع المذكر ويكسرها مع المؤنث ، فيقول : هاءَ يا رجل ، وهاءِ يا امرأة ، ويكون فيه ضمير مستتر ، فإذا ثني

---

(١) انظر : أوضح المسالك ص ١٩.

(٢) انظر : مغني اللبيب ٢/٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧ .

(٣) المصدر السابق ٢/٣٦٦ – ٣٦٧ .

أو جمع برز ذلك الضمير، فيقال في تثنية المذكر: هاؤما، وجمعه: هاؤم، كما في قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾[الحاقة: ١٩] وفي جمع المؤنث هاؤنّ يا نسوة.

وقد كان القياس ألا يلحق هذه الأسماء ضمير تثنية ولا جمع، لأن هذه الأسماء إنما سميت بها الأفعال لضرب من الاختصار، ووجه الاختصار مجيئها للواحد والواحدة فما فوقهما على صورة واحدة، فيقال: هاء يا رجل، وهاء يا امرأة، وكذلك التثنية والجمع، وعلى هذه اللغة أكثر الاستعمال.

ولكن لما نابت عن الأفعال وقامت مقامها قويت الدلالة على معناها، فصارت كالمرادفة لها، لذلك برز الضمير في بعض الصور ليؤذن بقوة الشبه بهذه الأفعال في الدلالة على معناها، فصارت كالمرادفة لها [1].

ولكن بروز الضمير فيها جاء على صورة غريبة، قال ابن يعيش موضحا ذلك:

« ولما ظهر الضمير ظهر على صورة غريبة ليدل على أن الموضع ليس من مواضع ظهور الضمير، وإنما كانت غريبة لأنها ليست على حد افعل وافعلا وافعلوا [أي على قاعدة لحاق الضمير لفعل الأمر] وإنما ذلك: هاء، وهاءا، وهاؤا.

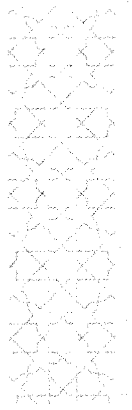
فأما هاؤم فغريب من نادر العربية، لأن الميم إنما توجد في ضمير المخاطب إذا كان غير أمر، نحو: قمتم، وقمتما، وضربتكم، وضربتكما. وهذا مما يؤكد كون هذه الألفاظ أسماء وليست أفعالا، وذلك أنه لما اتصل الضمير بما اتصل به منها اتصل على غير حد اتصاله بالفعل، إنما جاء على نحو: أنتما، وأنتم، فدل ذلك على أنها أسماء لا أفعال » [2].

٣-الملحق بجمع المذكر السالم

يوجد في العربية ألفاظ معينة تعرب كإعراب جمع المذكر السالم، فترفع بالواو، وتنصب وتجر بالياء، ولكن النحويين حكموا عليها بأنها ملحقة بهذا الجمع، وليست جموعا حقيقية، لفقدها بعض شروط هذا الجمع.

ومن هذه الملحقات التي وصفت بالغرابة ما ذكره تمام بن غالب، المعروف بابن التيّاني، أو بابن التيان، (ت ٤٣٣ هـ) من أن « فا » في قولك « فوك » ونحوه، قد تجمع بالواو والنون كجمع المذكر السالم، فيقال: فُونَ رفعا، وفِيْنَ نصبا وجرا.

(١) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٤٣.
(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٤.



وإنما كانت ملحقة بهذا الجمع لفقدها معظم شروطه، فليست علما ولا صفة، ولا عاقلا [1].

قال أبو حيان: « وهذا في غاية الغرابة، وكأن هذا الجمع عوض عما ذهب منه من لام الكلمة، وأما العين فإنها ذهبت لأجل واو الجمع ويائه » [2].

وذكر أبوحيان كذلك من غريب هذا الجمع قولهم في ثَدْي: ثِدُونَ، رفعا، وثِدِينَ نصبا وجرا [3]. كما في قول الشاعر [4]:

فأصبحتِ النساءُ مُسَلَّباتٍ　　　لها الويلاتُ يَمْدُدْنَ الثِّدينا

٤ -الضمير المتحرك (التاء):

يسند الفعل الماضي لضمير الرفع المتحرك التاء، بالضم للمتكلم، وبالفتح للمخاطب، وبالكسر للمخاطبة، نحو: قمتُ، وقمتَ، وقمتِ، وهي في هذه الحالات الثلاث ضمير، أي أنها اسم، والذي يعنينا هنا المفتوحة والمكسورة خاصة لأنهما لابد أن يكونا للمخاطب أو المخاطبة.

ولكن هذه التاء تأتي على صورة غريبة وهي التجرد عن الخطاب الذي هو شرط في هذا الضمير، قال ابن هشام: » ومن غريب أمر [هذه] التاء الاسمية أنها جردت عن الخطاب، والتزم فيها لفظ التذكير والإفراد في « أرأيتَكما » و « أرأيتَكم » و « أرأيتَكَ » و « أرأيتَكِ » و «أرأيتَكنّ » إذ لو قالوا: « أرأيتُماكما » جمعوا بين خطابين، وإذا امتنعوا من اجتماعهما في « يا غلامكم » فلم يقولوه كما قالوا: « يا غلامنا » و « يا غلامهم » مع أن الغلام طارٍ عليه الخطاب بسبب النداء، وإنه خطاب لاثنين لا لواحد، فهذا أجدر » [5].

وهذا بناء على الصحيح وهو مذهب سيبويه ت(١٨١) هـ [6] من أن التاء فاعل، الكاف حرف خطاب، أما على مذهب الفراء ت(٢٠٧) هـ [7] وهو العكس، حيث جعل التاء حرف خطاب، والكاف فاعل لكونها المطابقة للمسند إليه في المعنى المنقول إليه، فهو مردود بأنه يصح الاستغناء عن هذه الكاف، والفاعل لا يُستغنى عنه، وأنها لم يثبت وقوعها في محل رفع عند الجمهور [8].

---

(١) انظر: التذييل ١/ ٣٢٩.
(٢) التذييل ١/٣٢٩.
(٣) انظر: التذييل ١/٣٢٩.
(٤) من الوافر، وقائله غير معروف، انظر: جمهرة اللغة ٣ /٥١١، واللسان ١٤/ ١٠٩، والتذييل ١/ ٣٢٩.
(٥) مغني اللبيب ١/١١٦، وانظر: حاشية الدسوقي ١/ ١٢٥.
(٦) انظر: الكتاب ١/ ٢٤٥.
(٧) انظر: مغني اللبيب ١/ ١٨١.
(٨) انظر: مغني اللبيب ١/١٨١، والمنصف من الكلام ٢ /١٥، وحاشية الدسوقي ١/ ١٩٤

٥ - العَلَم:

جاء عن العرب أنهم كنوا عن علم المذكر العاقل نحو « زيد » بقولهم : فلان ، وعن علم المؤنث العاقل نحو « هند » بقولهم : فلانة ، وعلى هذا فيكون « فلان ، وفلانة » علمين ، ولذا لا يصح تثنيتهما ولا جمعهما .

ولكن عند النظر إليهما نجد لهما شأنا غريبا يخالفان فيه العلم ، وقد أوضح ذلك السيوطي ت (٩١١) هـ بقوله : « وأمرهما غريب في لحاق التاء للمؤنث وهو علم ، وإنما تلحق [هذه التاء] للفرق بين الصفات ، والدليل على أنه علم منْعُ مؤنثه من الصرف في قوله [١] :

[ألا لعن الله الوشاة وقولهم] فلانةُ أضحت خلة لفلان » [٢] .

٦ ـ اسم الإشارة:

ذكر ابن مالك ت (٦٧٢) هـ أنه قد يقال في اسم الإشارة « أُولاء » لغتان أخريان :

الأولى : أُوْلاءُ ، بضم الهمزة التي في أوله والتي في آخره .

والثانية : أُوْلاءِ ، بإشباع الضمة التي قبل اللام فتتولد واو ساكنة ، فتصير : أُوْلاءِ ، مثل : طُومار [٣] .

وقد ضبط محققا شرح التسهيل عبارة ابن مالك هكذا : « فلغتان عربيتان ذكرهما قطرب » [٤] .

ولكن أبا حيان في شرحه للتسهيل [٥] والدماميني ت (٨٢٧) هـ في شرحه [٦] كذلك والمحققان أيضا قد ضبطاه بأنهما لغتان غريبتان .

ويظهر أن هذا هو الأقرب ، لأنه لا فائدة كبيرة من وصفهما بالعربيتين .

٧ - اجتماع تعريفين :

تعد الموصولات الاسمية من أنواع المعارف ، وهي على قسمين : ما فيه «أل » وهو الذي والتي وفروعهما ، وما ليس فيه « أل » نحو « أيّ » .

وقد انقسمت آراء النحويين حول السبب المحدث للتعريف في ما فيه « أل » قسمين :

الأول : أن تعريف هذه الأسماء إنما هو بـ « أل » وهو رأي الأخفش ت (٢١٥ أو ٢٢١) هـ ومن وافقه [٧] .

---

(١) من الطويل ، وقائله : عروة بن حزام ، انظر : نوادر القالي ص ١٦٠ ، والدرر ١/١٢٣ .

(٢) الهمع ١/٢٤٢ .

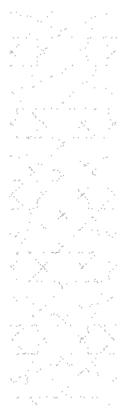
(٣) الطومار : الصحيفة ، انظر : اللسان ٤/٥٠٣ .

(٤) شرح التسهيل ١/٢٤١ .

(٥) انظر : التذييل ٣/١٩٠ .

(٦) انظر : تعليق الفرائد ٢/٣٢٠ .

(٧) انظر : تعليق الفرائد ٢/٢٠٨ ، والهمع ١/٢٦٧ .



والآخر : أن « أل » زائدة لازمة ، وليست للتعريف ، وإنما التعريف بالصلة ، والمراد بالتعريف تعريف اللفظ لا معناه ، أي أن الغرض من « أل » إصلاح اللفظ ، وذلك أن الذي وأخواتها تستعمل للوصول إلى وصف المعارف بالجمل ، والجمل نكرات ، ولا توصف المعرفة بالنكرة ، وهذا هو رأي المحققين [1].

وبناء على القول الثاني - وهو رأي المحققين - فإنه سيرد إشكال في « أي » لأنها لا تستعمل إلا مضافة إلى معرفة لفظا أو تقديرا ، ووجه الإشكال أن « أي » ستكون معرفة من طريقين مختلفين ، وهما التعريف بالإضافة ، والتعريف بالصلة .

وقد أجاب الدماميني عن ما يبدو من الإشكال ، ويكشف عن أمر من غرائب العربية ، حيث قال :

«والجواب أن أيا محتاجة إلى ما يعرف جنس من وقعت عليه ، وهو المضاف إليه ، وإلى ما يعرف عينه وهو الصلة ، بخلاف بقية الموصولات ، فإنها تفتقر إلى الثاني فقط ، وحاصله أن الموصولات ليس فيها ما معناه نسبي سوى « أي » فهي مفتقرة إلى المضاف إليه ليوضح المعنى الذي وقعت عليه بالنظر إلى جنسه ، ومفتقرة إلى الصلة لتوضحه بالنظر إلى شخصه ، وهذا من غرائب العربية ، أن اسما يحتاج إلى معرفين ولكن من وجهين مختلفين » [2].

٨ - « أل » :

ذكر بعض النحويين لـ « أل » أقساما كثيرة متفقا عليها ومختلفا فيها ، وقد تجاوزت هذه الأقسام أربعة عشر قسما [3].

ولكن هذه الأقسام عند التحقيق تعود إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، هي : المعرّفة ، والموصولة ، والزائدة [4].

إلا أن ابن هشام قد ذكر نوعا وصفه بالغريب ، وهو مجيئها للاستفهام ، قال : « من الغريب أن « أل » تأتي للاستفهام ، وذلك في حكاية قطرب ت (٢٠٦) هـ : أل فعلتَ ؟ بمعنى : هل فعلتَ ؟ وهو من إبدال الخفيف ثقيلا ... » [5].

ومعنى قوله : « وهو من إبدال الخفيف ثقيلا » أي من إبدال الخفيف الذي هو الهاء ، ثقيلا : أي الهمزة ، إذ الهمزة ثقيلة بالنسبة إليها ، وإن كان كل منهما مخرجه من الجوف [6].

(١) انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٤٠ – ١٤١ .
(٢) تعليق الفرائد ٢/ ٢٠٨ .
(٣) انظر : رصف المباني ص ١٥٨ – ١٦٥ ، والجنى الداني ص ١٩٢ – ٢٠٤ ، ومغني اللبب ١/ ٤٩ – ٥٤ .
(٤) انظر : الجنى الداني ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
(٥) مغني اللبيب ١/ ٥٤ .
(٦) انظر :تحفة الغريب بهامش المنصف من الكلام ١/ ١١٨ ، والمنصف من الكلام ١/ ٥٧ .

٩ ـ **وقوع خبر « كان » جملة قسمية :**

من المسلّم به أنه يجوز وقوع الجملة القسمية خبرا عن المبتدأ ، وأن ذلك كثير [١] كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ [النحل ٤١] .

إلا أن وقوعها خبرا لـ " كان " غريب ، كما نص على ذلك ابن مالك ، مع أن كان تدخل على الجملة الاسمية فتنسخ حكمها .

ومن شواهد ذلك ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لقد كان مَنْ قَبْلَكم لَيُمشَطُ بمشاط الحديدِ " [٢] .

قال ابن مالك : « وفي » ليمشط « شاهد على وقوع الجملة القسمية خبرا ، لأن التقدير : قد كان مَن قبلكم والله ليمشط ، وهذا في خبر » كان « غريب ، وإنما يكثر في خبر المبتدأ ، ... » [٣] .

١٠- **« وَنَى » و « رامَ » الملحقتان بـ « زال » :**

ذكر النحويون من الأفعال الناسخة العاملة عمل « كان » زال التي مضارعها يزال ، والتي تدل على ملازمة الصفة للموصوف منذ كان قابلا لها على حسب ما قبلها .

أما زال التي بمعنى تحول فمضارعها يزول ، فهي فعل لازم تام ، وكذلك التي بمعنى عَزَلَ الشيء ، فمضارعها يزيل ، وهي فعل تام متعد .

وقد ذكر ابن مالك فعلين آخرين يجيئان مرادفين لزال التي مضارعها يزال في المعنى ، وهما : وَنَى ، ورام ، وقد نص كذلك على أنهما غريبتان فقال :

« وهي [رامَ] ووَنَى بمعنى زال غريبتان ، ولا يكاد النحويون يعرفونهما ، إلا من عني باستقراء الغريب .

ومن شواهد استعمالهما قول الشاعر [٤] :

لا يني الخِبُّ شِيمَةَ الخَبِّ ما دا مر فلا تحسبنّه ذا ارعواء

وقال آخر في إعمال يريم العمل المشار إليه [٥] :

إذا رُمتَ ممن لا يَريمُ مُتيما سُلُوّاً فقد أَبْعدْتَ في رَوْمِك المرمى .

---

(١) انظر : شواهد التوضيح ص ١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣/ ١٣٨٩، ٩٢ كتاب الفتن، ١- باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ الأنفال : ٢٥.

(٣) شواهد التوضيح ص ١٥٦.

(٤) من الخفيف ، وقائله غير معروف . الخِبّ بكسر الخاء : الخداع والغش ، وبفتحها الذي يخدع [اللسان ٣٤١/١]. انظر : التذييل ٤/ ١٢٥، وتعليق الفرائد ٣/ ١٥٨، والهمع ٣٥٦/١ ، والدرر ٢٠٨/١ .

(٥) من الطويل ، وقائله غير معروف . انظر : التذييل ٤/ ١٢٦، والهمع ٣٥٦/١ ، والدرر ٢٠٩/١ .

والمسألة على كل حال خلافية ، وابن مالك ينص على أنه لا يكاد يعرفهما إلا القليل من النحويين .

ومن هؤلاء القليل ابن عصفور ت (٦٦٣ أو ٦٦٩) هـ ، فقد نص على أن بعض البغداديين زاد « وَنَى » لأن معناها كمعنى زال ، نحو ما ونى زيد قائما ، وقد رد ذلك بقوله :

« وهذا لا يلزم ، لأن الفعل قد يكون بمعنى فعل آخر ولا يكون حكمه كحكمه ، ألا ترى أن : ظل زيد قائما معناه : أقام زيد قائما النهار كله ، ولا تجعل العرب لـ » قام « اسما وخبرا كما فعلت ذلك بـ « ظل » .

ومما يدل على أنها ليست من أخوات « كان » أنه لا يقال : ما ونى زيد القائمَ ، فالتزام التنكير في قائم وأمثاله دليل على انتصابه على الحال »[1] .

وقد وافق أبو حيان ابن عصفور ، فقد خرج النصب في البيت على أنه على إسقاط الخافض أي : لا يني الخب عن شيمة الخب ، أي : لا يفتر عنها . وأيّد ذلك بأنه لا ينعقد من «شيمة الخَبّ » مع المرفوع بـ « يني » وهو « الخِبُّ » مبتدأ وخبر ، فلا يقال : الخبّ شيمة الخبّ . وخرج النصب في البيت الثاني على الحال[2] .

قلتُ : ويرد على من يشترط التزام التنكير بالبيت الأول الذي ذكره ابن مالك ، حيث جاء المنصوب « شيمةَ الخَبِّ » معرفا بالإضافة ، وقول أبي حيان إنه لا ينعقد من » شيمة الخَبّ « مع المرفوع بـ « يني » وهو « الخِبُّ » مبتدأ وخبر ، فلا يقال : الخبّ شيمة الخبّ ، غير مسلّم به فيما يظهر لي ، فإنه يصح أن يقال : الخداع طبيعة المخادع ، وهذا معنى : الخِبُّ شيمةُ الخَبِّ .

١١ -بعض أفعال باب أفعال المقاربة

أفعال هذا الباب تساوي باب « كان » وأخواتها في الدخول على الجملة الاسمية ، ورفع المبتدأ ونصب الخبر ، إلا أنها فصلت عنها لمخالفتها لها في أنها لا يجيء خبرها إلا جملة فعلية .

وتسمية أفعال هذا الباب بهذا الاسم من باب تسمية الكل باسم الجزء ، كتسميتهم الكلام كلمة ، وإلا فحقيقة الأمر أن أفعال هذا الباب ثلاثة أقسام ، وهذه الأفعال منها ما هو مشهور ، ومنها ما هو غريب ، كما نص على ذلك ابن مالك ، وهذه الأقسام :

أ – ما وضع للدلالة على قرب الخبر ، وهي : كاد . وهي أشهرها . وهلل ، وكرب ، وأوشك . أما أغربها فهو « أَوْلَى » .

---

(١) شرح جمل الزجاجي ، لابن عصفور ٣٦٠/١ ، وانظر التذييل : ١٢٦/١ ، الهمع ٣٥٧/١ .
(٢) انظر : التذييل ١٢٦/١ .

ب – ما وضع للدلالة على رجاء الخبر، وهي : عسى، واخلولق.

أما أغربها فهو « حَرَى ».

ج – ما وضع للدلالة على الشروع في الخبر، وهو كثير، ومنه : طَفِقَ، وطَبِقَ، وأنشأ، وجعل.

أما أغربها فهما « عَلِقَ » و « وهَبَّ » [1].

وقد وافقه على وصفها بالغرابة أبرز شراح التسهيل، كأبي حيان [2] والدماميني [3] وكذلك السيوطي [4].

١٢-عمل المصدر المنون الرفع:

يعمل المصدر عمل فعله إذا صح أن يحل محله فعلٌ مع « أنْ » المصدرية إذا كان الزمن ماضيا أو مستقبلا، أو مع « ما » المصدرية إذا كان الزمن حالا.

وللمصدر حالات لفظية ثلاث، الأولى : أن يكون مضافا، فيكون عمله أكثر، والثانية : أن يكون مقترنا بـ « أل » فيكون عمله قليلا ضعيفا، والثالثة : أن يكون منونا، فيكون عمله قياسيا [5].

هذا، ولا يلزم ذكر مرفوعه، بل إنه يضاف إلى مرفوعه أو إلى منصوبه، فيجره لفظا، ويرفعه أو ينصبه محلا [6].

والذي يهمنا هنا هو النوع الثالث، وهو المنون، فقد سمع رفعُه الفاعل، وقد حكم عليه ابن مالك بأنه غريب، فقال :

« ومنه قول بعض العرب : عجبْتُ من قِراءَةٍ في الحمام القرآنُ، بالرفع، أي : مِن أنْ قُرِيءَ. وهذا غريب، أعني وقوع الرفع بالمصدر المنون، فإن المستعمل النصب به، والقياس يقتضي وقوع الرفع وحده، أو مع النصب » [7].

١٣-أداة الاستثناء « سِواء » :

للاستثناء ثماني أدوات يستثنى بها، وهي : إلا، وحاشا، وليس، ولا يكون، وخلا، وعَدا، وغير، سوى.

وهذه الأخيرة « سوى » اسم، وفيها عدة لغات عن العرب، وهي :

---

(١) انظر : شرح التسهيل لابن مالك ١/٣٨٩، وأوضح المسالك ص ٥٣، ٥٤.
(٢) انظر : التذييل ٤/٣٢٩، ٣٣٠.
(٣) انظر : تعليق الفرائد ٣/٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤.
(٤) انظر : الهمع ١/٤١٠، ٤١١.
(٥) انظر : أوضح المسالك ص ١٥٦.
(٦) انظر : شرح العمدة لابن مالك ٢/ ٦٩٢.
(٧) المصدر السابق ٢/٦٩٦.

سُوى، مثل: هُدى.

سِوىً، مثل: رِضىً.

سَواء، مثل: سَماء.

سِواء، مثل: بِناء. وقد نص ابن هشام على أنها أغرب لغاتها [1] وقد أرجع خالد الأزهري ت (٩٠٥) هـ علة ذلك إلى قلة من ذكرها من النحويين [2].

١٤-بعض حروف الجر:

حروف الجر كثيرة، ومنها:

أ-الباء:

وهي تستعمل لمعان كثيرة، ومنها: الزيادة لأجل التوكيد في مواضع معينة، وهي: الفاعل والمفعول، والمبتدأ، وخبره، والحال، والتوكيد.

إلا أن من غريب زيادتها-كما نص على ذلك ابن هشام-في ما أصله مبتدأ وخبر، وهو اسم ليس، بشرط تأخيره إلى موضع الخبر [3] كقراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧] [4].

وكقول الشاعر [5]:

أليس عجيبا بأن الفتى يُصَاب ببعضِ الذي في يديه

ب – ومن غريب زيادة الباء أيضا أن تزاد في المجرور، كما نص على ذلك ابن جني ت (٣٩٢) هـ [6] والرضي ت (٦٤٦) هـ [7] والسيوطي [8] كقول الشاعر [9]:

فأصبحْنَ لا يسأَلْنَه عن بِما به أَصَعَّدَ في عُلْوِ الهوى أم تصَوّبا

وذهب كثير من أئمة النحويين إلى أن هذا ضرورة [10].

(١) انظر: أوضح المسالك ص ١١٠.
(٢) انظر: التصريح ٣٤٧/١.
(٣) انظر: المغني ١١٠/١.
(٤) وهي قراءة حمزة وحفص. انظر: حجة القراءات ص ١٢٣، والإقناع في القراءات السبع ص ٣٧٩.
(٥) من الرمل، وهو لمحمود الوراق، أو محمود النحاس في البيان والتبيين ١٩٧/٣، وانظر: المغني ١١٠/١، والتصريح ٢٠٤/١، وشرح شواهد المغني ٣٣٨/١.
(٦) انظر: سر صناعة الإعراب ١٣٦/١.
(٧) انظر: شرح الكافية ٣٢٨/٢.
(٨) انظر: الهمع ٣٣٨/٢.
(٩) من الطويل، وقائله: الأسود بن يعفر، ديوانه ص ٢١. صوّب: انحدر. انظر: سر صناعة الإعراب ١٣٦/١، وشرح الكافية للرضي ٣٢٨/٢، والهمع ٣٣٨/٢، والخزانة ٥٢٧/٩، ٥٢٩.
(١٠) انظر: شرح الجمل لابن عصفور ٣٢٠/١، شرح التسهيل لابن مالك ٣٠٤/٣، وأوضح المسالك ص ١٨٤، ١٨٥.

ب . حرف الكاف :

وهي تأتي لمعان متعددة منها : التشبيه ، والتعليل ، والاستعلاء ، والتوكيد ، والمبادرة .

والمبادرة معنى قد ذكره قليل من النحويين ، وذلك إذا اتصلت بها ما ، نحو : سَلِّمْ كما تدخلُ ، ونحو : صَلِّ كما يَدخُلُ الوقتُ [1] قال ابن هشام : « وهو غريب جدا » [2] .

باب الإضافة :

١٥ - إضافة « ذو » للضمير

الأسماء في باب الإضافة على أقسام ، فمنها ما يضاف لكل ظاهر ومضمر على السواء ، ومنها ما يلزم الإضافة للظاهر فقط ، ومنها ما يلزم الإضافة إلى المضمر فقط . على تفصيل في ذلك . ومنها ما يلزم الإضافة للجملة اسمية أو فعلية ، جوازا أو وجوبا . على تفصيل في كل ذلك . ومنها ما يمتنع إضافته [3] .

ومن جملة هذه الأسماء « ذو » بمعنى صاحب كذا ، فإنها لا تضاف إلا إلى اسم ظاهر ، ولا يكون إلا اسم جنس .

إلا أنه قد ورد في الشعر إضافتها للضمير في شواهد متعددة ، من نحو قول الشاعر [4] :

صَبَحْنا الخَزْرَجِيّةَ مُرْهفاتٍ   أَبارَ ذَوِي أَرومتها ذووها

وقد اختلفت أحكام النحويين في قوله : « ذووها » ، فقال الزمخشري ت (٥٣٨)هـ : إنه شاذ [5] وقال ابن مالك في شرح الكافية الشافية : إنه نادر [6] وقال في شرح التسهيل إنه قليل [7] .

ونقل أبو حيان عن بعض النحويين أنه لا يجوز إلا للضرورة الشعرية ، فقال : « والمنقول في كتب المتأخرين أنه لا يضاف إلى مضمر إلا في الشعر » [8] ثم ذكر أن بعض النحويين قالوا بجوازه [9] .

وقال ابن يعيش : هذا « غريب ، وحسنه قليلا عود الضمير إلى المرهفات ، وهي وإن كانت في الأصل صفة فالمراد بها هنا الموصوف وهو السيوف ، والسيوف جنس ، ولا يقاس عليه » [10] .

---

(١) انظر : مغني اللبيب ١/١٧٨ ، والهمع ٢/٣٦٣ ، وحاشية الدسوقي ١/١٩١ .
(٢) مغني اللبيب ١/١٧٩ .
(٣) انظر : أوضح المسالك ص ١٤٢ . ١٤٥ .
(٤) من الوافر ، وقائله : كعب بن زهير رضي الله عنه ، ديوانه ص ١٠٤ . انظر : شرح المفصل لابن يعيش ١/٥٣ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٣/٢٤٢ ، والدرر ٢/١٥٠ .
(٥) انظر : المفصل ص ١٤٠ .
(٦) انظر : ٢/٩٧٢ .
(٧) انظر : ٣/٢٤٢ .
(٨) ارتشاف الضرب ٤/١٨١٥ .
(٩) انظر : المصدر السابق .
(١٠) شرح المفصل ٣/٣٨ .

١٦ -**حكم آخر المضاف:**

إذا أضيف الاسم فإنه يجب كسر آخره ، ويجوز فتح الياء وإسكانها ، نحو : كتابِيْ ، وكتابِيَ . ويستثنى من هذا الحكم أربعة أشياء :

الاسم المقصور ، نحو : فتى ، والمنقوص ، نحو : قاضٍ ، والمثنى ، والجمع المذكر السالم ، فهذه الأربعة يجب إسكان آخرها ، والياء معها واجبة الفتح [١] .

إلا أنه قد اختلف في إسكانها بعد الألف في قراءة نافع [٢] : ﴿ وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِي ﴾ [سورة الأنعام ، ١٦٢] فقال الجمهور : هذا قليل أو نادر [٣] وقال الزمخشري [٤] وابن يعيش [٥] غريب لخروجه عن القياس .

١٧ -**مجيء التاء للتعجب :**

لأسلوب القسم أحرف معينة ، هي : الباء ، والواو ، واللام ، والتاء . والذي يعنينا من هذه الأحرف : التاء ، ومن استعمالها للقسم قوله تعالى : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾ [الأنبياء : ٥٧] .

إلا أن هذه التاء قد تدخل في أسلوب تعجب محض ، خالص من القسم ، كما نص على ذلك قطرب قال : " التاء لا تدخل إلا في موضع واحد بمعنى التعجب ، أو القسم ، فالتعجب : تاللهِ ما أَكرَمَ زيداً ! ، والقسم : تاللهِ ما عملت هذا " [٦] . وقال أحمد بن الأمين الشنقيطي ت (١٣٣١هـ) : « وهذا غريب جدا ، فإنه يفضي أن التاء تتمحض للتعجب ، وتخلو عن القسم ، ولهذا لم يجيء بعدها ما يصلح للجوابية ، وهو جملة القسم ، فإنها لا يقسم عليها » [٧] .

١٨ - **اسم التفضيل:**

نص النحويون على أن لصياغة « أَفْعَل » التفضيل شروطا ، وهذه الشروط هي نفسها الشروط التي تشترط لصياغة فعلي التعجب .

وقد نصوا كذلك على أن ما ورد شاذا في باب التعجب - لكونه فاقدا لبعض الشروط - فإنه يكون شاذا في باب التفضيل [٨] .

---

(١) انظر : أوضح المسالك ص ١٥٤ - ١٥٥ .
(٢) انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ص ٢٧٩ ، والإقناع ص ٤٠٠ .
(٣) انظر : الارتشاف ١٨٤٩/٤ ، وأوضح المسالك ص ١٥٥ ، والتصريح ٦٠/٢ .
(٤) انظر : المفصل ص ١٤٠ .
(٥) انظر : شرح المفصل ٣٤/٣ .
(٦) ارتشاف الضرب ١٧٦٦/٤ .
(٧) الدرر اللوامع ٧٣/٢ .
(٨) انظر - مثلا - : شرح التسهيل لابن مالك ٤٤/٣ - ٤٩ ، وارتشاف الضرب ، وأوضح المسالك ص ١٩٦ - ١٧٠ .

ومن أبرز تلك الشروط أن يكون اللفظ المصوغ فِعْلا ، لا اسما ، وعلى ذلك فإن ما ورد مصوغا مما لا فعل في التعجب يكون شاذا ، وكذلك ما ورد مصوغا مما لا فعل له في التفضيل فقد حكموا عليه بالشذوذ نحو قولهم : أَلَصّ من شِظاظ ، وهذا المكان أَشْجَرُ من غيره ، أي أكثر شجرا [1].

قال الدماميني : « وهذا الكلام منهم يقتضي اقتياس الشاذ الوارد هناك [في التعجب] في هذا ، وقد صرحوا بذلك فقالوا : ما شذوا فيه هناك شذوا فيه هنا ، وبالعكس .

فإن استندوا في ذلك إلى نقل أن السماع جاء بذلك فبعيد ، وإن قالوا ذلك بالقياس فالقياس على الشاذ غريب » [2].

وهنا نلحظ العلاقة بين الشاذ والغريب في استعمالهم ، حيث وصف قياسهم على الشاذ بأنه غريب !

إذاً فهل لفظ الشاذ مرادف للغريب ؟ أم أن هذا من التداخل في الاستعمال ؟ أم من عدم وضوح اللفظ بوصفه مصطلحا ذا دلالة محددة ؟ يبدو أن ذلك كله أمر محتمل .

١٩ -التوكيد بـ « جميع » و « عامة » :

للتوكيد المعنوي ألفاظ محددة ، وهي : النفس ، العين ، وكِلا ، وكلتا ، وكل ، وجميع ، وعامة . وهذه الألفاظ هنا على قسمين :

الأول : النفس ، العين ، وكِلا ، وكلتا ، وكل .

والثاني : جميع ، وعامة .

أما القسم الأول فإن التوكيد به كثير ومشهور .

وأما القسم الثاني فقد حكم ابن هشام بأن التوكيد بهذين اللفظين غريب [3] ووافقه خالد الأزهري [4].

والسبب في ذلك أن أكثر النحويين قد أهملوا ذكرهما إما سهوا وإما جهلا ، كما نص على ذلك ابن مالك وغيره [5].

---

(١) انظر : تعليق الفرائد ٧/ ٢٤٦.

(٢) تعليق الفرائد ٧/ ٢٤٦. ٢٤٧.

(٣) انظر : أوضح المسالك ص ١٨٢.

(٤) انظر : التصريح ٢/ ١٢٣.

(٥) انظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٢٩١ ، وشرح الكافية الشافية لابن مالك أيضا ٣/ ١١٧ ، والارتشاف ٤/ ١٩٥٠. والهمع ٣/ ١٣٧.



ومن شواهد ذلك قول امرأة من العرب ترقّص ابنها [1] :

فداك حيٌّ خَوْلانْ	جميعُهم وهَمْدانْ
وكل آلِ قحطانْ	والأكرمون عدنانْ

٢٠ - **عطف النسق:**

أ - عطف حرف على حرف :

وقع خلاف كثير بين النحويين في « إما » الثانية في نحو قولنا : جاءني إما زيد وإما عمرو .

فذهب فريق من النحويين إلى أنها عاطفة .

وذهبت طائفة أخرى إلى أنها غير عاطفة كالأولى ، وذلك لملازمتها للواو العاطفة غالبا .

ومما قيل في ذلك : إن إما عطفت الاسم على الاسم ، والواو عطفت إما على إما [2] .

قال ابن هشام : « وعطف الحرف على الحرف غريب » [3] .

ب - مجيء الفاء للغاية بمنزلة إلى والعكس :

ذهب ابن هشام إلى أن الفاء قد تجيء للغاية نيابة عن إلى ، كما في قول امريء القيس [4]:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

على أن التقدير : بين مواضع الدخول إلى حومل [5] قال : « وكون الفاء للغاية بمنزلة إلى غريب » [6] .

وأيد ذلك بأنه قد يستأنس لهذا القول بمجيء عكسه ، وهو مجيء إلى نائبة عن الفاء كما في قول الشاعر [7] :

وأنتِ التي حبّبْتِ شَغْبا إلى بَدَا	**إليَّ ، وأوطاني بلادٌ سِواهما**

ثم علل ذلك بأن معنى البيت : حببتِ شغبا فبدا ، وهما اسما موضعين . ثم بين أن الذي يدل على إرادة الترتيب قوله بعده :

حلَلْتِ بهذا حَلّةً ثم حَلّةً	**بهذا ، فطاب الواديان كلاهما**

(١) من مجزوء المنسرح ، انظر :شرح الكافية الشافية لابن مالك ٣/ ١١٧ ، وأوضح المسالك ص ١٨٢ ، والدرر ٣٨٢/٢ .

(٢) انظر : رصف المباني ص ١٨٣ ، ومغنى اللبيب ٥٩/١ ، والجنى الداني ص ٥٢٩ .

(٣) مغني اللبيب ٦٠/١ .

(٤) من الطويل . ديوانه ص ٨ .

(٥) انظر مغني اللبيب ١٦٢/١ .

(٦) مغني اللبيب ١٦٢/١ .

(٧) من الطويل ، وقد نسب لكثير في الحماسة بشرح التبريزي ٣/ ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وفي البكري (بدا) ص ٢٣٠ ، وشرح شواهد المغني ٤٦٤/١ ، وهو في ديوانه ص ٣٦٣ ، ونسب لجميل ، وهو في ملحق ديوانه ص ٢٤٥ .

قال : « وهذا معنى غريب ، لأني لم أر من ذكره » [1].

٢١ -النداء :

وصف المنادى المفرد العلم بابن أو ابنة :

إذا وصف المنادى المفرد العلم بابن أو ابنة كان حكمهما كحكم غيرهما من الأسماء المضافة إذ وصفت بهذين الاسمين ، وذلك الحكم استحقاقهما النصب ، نحو قولنا : يا زيدُ بنَ أخينا ، بضم زيد لأنه مفرد علم ، ونصب الصفة « ابنَ » لأنها مضافة .

إلا أنه إذا وصف بهما علم ، وكانا مضافين إلى علم أو كنية أو لقب ، نحو : يا زيد بنَ عمر ، ويا زيد بنَ أبي خالد ، ويا زيد بنَ بطة -مثلا- جاز في اسم المنادى وهو زيد وجهان :

الأول : الإتباع ، أي إتباع حركة الحرف الأخير منه وهو الدال لحركة النون في ابنَ ، فنكون بهذا قد أتبعنا حركة الدال فتحة النون ، مع أن حقها الضم .

وقد وصف ابن يعيش هذا الأمر بالغرابة ، فقال :

« وهو غريب ، لأن حق الصفة أن تتبع الموصوف في الإعراب ، وهنا قد تبع الموصوف الصفة » [2].

وأما الأمر الثاني : فهو بناء الاسم المنادى على الضم على الأصل .

٢٢ -توكيد الفعل :

ذكر النحويون أن الفعل المضارع إذا اجتمع فيه أربعة شروط فإن توكيده بإحدى النونين يكون واجبا .

وهذه الشروط :

أن يكون مثبتا ، مستقبلا ، جوابا لقسم ، غير مفصول من لام القسم بفاصل .

إلا أن ابن مالك ذكر أنه قد يقع المضارع مع هذه الشروط غير مؤكد بإحدى النونين ، واستشهد على ذلك [3] بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « **لَيَرِدُ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني** » [4].

ثم قال ابن مالك : « وفيه غرابة ، وهو مما زعم أكثر النحويين أنه لا يجوز إلا في الشعر » [5].

---

(١) مغني اللبيب ١/١٦٣.

(٢) شرح المفصل ٢/٥ .

(٣) انظر : شواهد التوضيح ص ١٦٥.

(٤)رواه البخاري في ٩٢ كتاب الفتن ، ١ .باب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ الأنفال : ٢٥ . انظر : عمدة القاريء ٢٤/١٧٧.

(٥)شواهد التوضيح ص ١٦٥.

٢٣ -**الممنوع من الصرف :**

لحاق التاء لـ « ثُلاث » :

نقل السيوطي عن ابن مكتوم ت (٧٤٩) هـ عن ابن خالويه ت (٣٣٧) هـ أنه قد جاء دخول التاء على« ثُلاث » المعدول عن : ثَلاثة ثَلاثة ، في قول الشاعر [١] :

فما حلَبَتْ إلا الثُلاثةَ والثُّنى ولا قَيَّلَتْ إلا قريبا مقالُها

قال السيوطي : « وهو حجة لأنه أدخل تاء التأنيث على ثُلاث المعدول ، وهو غريب » [٢] .

إلا أن صاحب اللسان فسره بأن معناه : ثَلاثة ، قال : « والثُلاثة ـ بالضم ـ : الثلاثة ، عن ابن الأعرابي ت (٢٣١) هـ ، وأنشد :

فما حَلَبَتْ إلا الثُلاثةَ والثّنَى ولا قُيِّلَتْ إلا قريباً مقالُها

هكذا أنشده بضم الثاء : الثُلاثة ، وفسره بأنه ثلاثة آنية ، وكذا رواه قُيِّلتْ بضم القاف ، ولم يفسره . وقال ثعلب ت (٢٠٧) هـ : إنما هو قَيَّلت ، بفتحها ، وفسره بأنها التي تُقَيِّل الناس ، أي تسقيهم لبن القيل ، هو شرب النهار ، فالمفعول عله هذا محذوف » [٣].

٢٤ -**إعراب الفعل :**

حذف الفعل وبقاء ناصبه :

اختلف النحويون في « كي » على ثلاثة أقوال :

أ –فذهب سيبويه [٤] والجمهور [٥] إلى أنها مشتركة بين النصب والجر .

ب –وذهب الأخفش إلى أنها جارة دائما [٦] .

ج – وذهب الكوفيون إلى أنها ناصبة دائما [٧] .

والذي يعنينا هنا مناقشة رأي الكوفيين ، حيث إنه يرد عليهم بقول العرب : كيمه ؟ كما يقولون : لمه ؟ حيث دخلت على الضمير ، مما يدل على أنها جارة .

وقد أجابوا عن هذا بأن الأصل : كي يفعل ماذا ؟ فيقال : إنه يلزمهم عدة محاذير ، منها : كثرة الحذف ، وإخراج ما الاستفهامية عن الصدر ، وحذف ألفها في غير الجر ، وحذف الفعل مع بقاء عامل النصب ، وكل ذلك لم يثبت .

---

(١) من الطويل ، وقائله غير معروف ، انظر : الأشباه ٧١/٢ ، والهمع ٧١/٢ .

(٢) الهمع ٧١/٢ .

(٣) اللسان ١٢٤/٢.

(٤) انظر : الكتاب ٥/٣ـ٧ ، ٢٢٢/٤.

(٥) انظر : الإنصاف ٩٩/٢ ، ورصف المباني ص ٢٩٠ ، والجنى الداني ص٢٦١ ، ٢٦٢ ، ومغني اللبيب ١٨٢/١.

(٦) انظر : مغني اللبيب ١٨٣/١ ، التصريح ٢٣٠/٢.

(٧) انظر : الجنى الداني ص٢٦٢ ، ومغني اللبيب ١٨٣/١ ، والتصريح ٢٣٠/٢.

فإن احتجوا بأن حذف الفعل وبقاء الناصب قد ورد في صحيح البخاري في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢] " فيذهب كيما فيعود ظهرُهُ طَبَقاً واحدا "[١] أي : كيما يسجد.

قال ابن هشام : « وهو غريب جدا لا يحتمل القياس عليه »[٢].

٢٥ - مجيء جواب لو ولولا ماضيا مقرونا بقد :

يجيء جواب لو إما مضارع منفي بلم ، أو ماض مثبت ، ، أو منفي بما .

إلا أنه قد جاء جواب لو ماضيا مقرونا بقد[٣] كقول الشاعر[٤] :

لو شئتِ قد نَقَعَ الفؤادُ بشربةٍ تَدَعُ الحوائمَ لا يَجُدْنَ غليلا

قال ابن هشام : « وهو غريب »[٥].

وقد نظّر ابن هشام هذا بوقوع جواب لولا ماضيا مقرونا بقد ، ولكنه حكم عليه بالشذوذ ، مما يدل على أن الشذوذ لديه مرادف للغريب ، قال :[٦] « ونظيره في الشذوذ اقتران جواب لولا بها [أي : قد] كقول جرير أيضا[٧] :

[كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية] لولا رجاؤك قد قتلتُ أولادي » .

٢٦ -العدد :

أ –تذكيره وتأنيثه :

من ظواهر اللغة العربية أن الأعداد من الثلاثة إلى العشرة إذا كانت مفردة فإنها تخالف المعدود تذكيرا وتأنيثا ، فتؤنث مع المذكر ، وتذكر مع المؤنث ، فيقال عشرة رجال ، وعشر نساء .

قال ضياء الدين بن العلج (ت) . فيما نقل عنه السيوطي . : « وهذا من غريب لغتهم ، لأن التاء علامة التأنيث ، وقد جُعلت هنا علما للتذكير ....

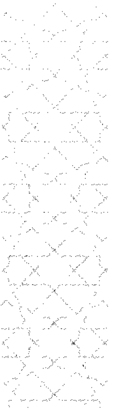
قال : ونظيره أنهم خصوا جمع « فِعَال » في المؤنث بأفْعُل ، كذِراع وأذْرُع . وفي المذكر بأفْعِلَة ، كعِماد وأَعْمِدة ، كإلحاقهم علامة التأنيث في عدد المذكر ، وحذفها من عدد المؤنث »[٨].

---

(١) رواه البخاري . انظر : البخاري مع الفتح ٤٢٨/١٣ .
(٢) مغني اللبيب ١٨٣/١، وانظر التصريح ٢٣٠/٢ .
(٣) انظر : مغني اللبيب ٢٧١/١، ٢٧٢.
(٤) من الكامل ، وقائله : جرير ، ديوانه ص ٧٤٥ .
(٥) مغني اللبيب ٢٧٢/١.
(٦) مغني اللبيب ٢٧٢/١.
(٧) من البسيط ، ديوان جرير . وقال قبله يصف حالة أولاده :

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لـم أحـص عدتهـم إلا بعداد

(٨) الأشباه والنظائر ٢٥٦/٢.



ب –صياغة لفظ العدد على وزن فاعل :

من خصائص ألفاظ العدد أنه يجوز أن يصاغ منها من لفظ اثنين وعشرة وما بينهما اسم على وزن فاعل، فيقال : ثان، ثالث، ...، إلى عاشر.

وقد ورد استعمال هذا الوصف المصوغ على وزن فاعل بحسب المعنى المراد على أوجه عدة تبلغ سبعة [1].

ومن هذه الأوجه : أن يستعمل مع ما دون أصله ليفيد معنى التصيير، فيقال : هذا رابع ثلاثة، أي : جاعل الثلاثة بنفسه أربعة.

إلا أنه قد اختلف في استعمال لفظ ثاني هذا الاستعمال، فذهب سيبويه [2] إلى أنه لا يصح، فلا يقال : ثاني واحدٍ، ولا ثانٍ واحدا.

وأجاز ذلك الكسائي ت (١٨٩) هـ وحكاه عن العرب [3] وكذا الجوهري [4].

إلا أن هناك صورة غريبة ذكرها خالد الأزهري، فقال : « ومن الغريب ما وقع في شرح موجز ابن السراج لأبي الحسن الأهوازي ت (٤٤٠) هـ : كان القوم عشرة فحدعشتهم إلى تسعشتهم، وهم محدعشون، وأنا محدعش، ومتسعش، قال : وكذا العقود، يقال : معشرن، ومثلثن. ومن المائة والألف : مُمْيء، ومُؤْلف، لأن فعلهما : أمأى وآلف أ هـ » [5].

٢٧ - أسلوب القسم :

أ – تجرد جواب القسم الماضي من اللام وقد :

ذهب جمهور النحويين إلى أن الفعل الماضي إذا وقع جوابا لقسم ولم يستطل الكلام فإنه يجب اقترانه باللام وقد إذا كان الزمن قريبا من الحال، أو باللام وحدها إن كان بعيدا من زمن الحال [6].

إلا أن ابن مالك ذكر أن الفعل الماضي بالصورة المذكورة قد ورد مجردا من اللام وقد، واستشهد لذلك [7] بقول النبي صلى الله عليه : « **والذي نفسي بيده ودِدْتُ أنْ أُقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل** » [8].

---

(١) انظر : الارتشاف ٧٦٧/٢ وما بعدها، وأوضح المسالك ص٢٥١-٢٥٣.
(٢) انظر : الكتاب ٥٥٩/٣.
(٣) انظر : الارتشاف ٧٧٠/٢، والتصريح ص ٢٧٧.
(٤) انظر : الصحاح (ثنى) ٢٢٩٥/٦.
(٥) التصريح ٢٧٧/٢.
(٦) انظر : شرح الجمل لابن عصفور ٥٥٣/١.
(٧) انظر : شواهد التوضيح ص ١٦٦.
(٨) رواه البخاري ٩٤- كتاب التمني ١- باب ما جاء في التمني ومن تمنى الشهادة، ٢٦٤١/٦.

قال ابن مالك : « وفيه غرابة ، لأن ذلك لا يكاد يوجد إلا في ضرورة أو كلام مستطال » [1].

ب - حذف نافي جواب القسم الماضي بقرينة :

ذهب ابن مالك في شرح الكافية إلى أن جملة جواب القسم إذا كانت منفية فإنها لا تنفى إلا بما ، أو بإنْ ، أوبلا ، ولا فرق في ذلك بين الاسمية والفعلية [2].

ثم ذكر أن نافي الفعل الماضي قد يحذف إذا دلت قرينة على إرادة النفي [3] واستشهد على ذلك بقول الشاعر [4]:

فإنْ شِئتِ آليتُ بين المقا ... مِ والركنِ والحجر الأسودِ

نَسيتُكِ ما دام عقلي معي ... أَمـدُّ به أَمـدَّ السّـرمد

والمعنى : لا نسيتك ، ولكنه حذف النافي ، لأن المعنى لا يصح إلا بتقديره ، ولو أنه أراد الإثبات لقال : لقد نسيتك [5].

ثم ذكر أنه قد يحذف نافي الجملة الاسمية إذا لم يستقم المعنى إلا بتقديره [6] كقول الشاعر [7]:

فوالله ما نِلتُم وما نِيلَ منكمُ ... بمُعتـدِلٍ وفْـقٍ ولا متقـارِبِ

قال ابن مالك : « أراد : ما ما نلتم ، وما نيل منكم بمعتدل ، فحذف ما النافية ، وأبقى الموصولة ، وجاز ذلك لدلالة الباء الزائدة في الخبر ، ودلالة العطف بلا ... .

[ثم قال :] وهذا البيت وبيت أمية غريبان » [8].

إلا أنه ذكر في شرح التسهيل رأيا يخالف رأيه هنا في البيت الأخير ، فقال : « وإذا كان الموصول اسما أجاز الكوفيون حذفه إن علم ، وبقولهم في ذلك أقول ، وإن كان خلاف قول البصريين إلا الأخفش ، لأن ذلك ثابت بالقياس والسماع .

---

(١) شواهد التوضيح ص٦٦.

(٢) انظر : شرح الكافية الشافية ٨٤٣/٢.

(٣) انظر : شرح الكافية الشافية ٨٤٥/٢.

(٤) من المتقارب ، وقائله : أمية بن أبي عائذ الهذلي . (شرح السكري ٤٩٣) ولا يوجد هذان البيتان في ديوان الهذليين ، لأن القسم الذي فيه شعر أمية بن أبي عائذ من رواية الأصمعي مفقود .

(٥) انظر : شرح الكافية الشافية ٨٦٤/٢.

(٦) انظر : المصدر السابق ٨٤٦/٢.

(٧) من الطويل ، وقد نسبه ابن مالك هنا في شرح الكافية ٨٤٦/٢ إلى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، ونسبه في شرح التسهيل ٢٣٥/١ إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه ، وليس في ديوانيهما .

(٨) شرح الكافية الشافية ٨٤٧/٢.

فالقياس : على أنْ ، فإنّ حذفها مكتفىً بصلتها جائز بإجماع ، مع أن دلالة صلتها عليها أضعف من دلالة الموصول من الأسماء عليه ، .... .

وأما السماع : فمنه قول حسان :

فوالله ....

أراد : ما الذي نلتم وما نيل منكم »[1] .

٢٨ ـ اللام الموطئة للقسم :

من مواضع استعمال اللام المهملة المفردة أن تقع موطئة للقسم ، وهي اللام الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها ، لا على الشرط ، ومن ثم تسمى اللام المؤذنة ، والموطئة ، لأنها وطّأت الجواب للقسم ، أي : مهدته له[2] .

وأكثر ما تدخل عليه هذه اللام « إنْ » الشرطية ، كقوله تعالى : â لَئِنْ أُخرِجوا لا يخرجون معهم ، ولَئِنْ قُوتِلوا لا يَنصُرونهم ، ولئن نصروهم لَيُولُنّ الأدبار á [الحشر ١٢] .

وقد تدخل على " متى " كقول الشاعر[3] :

لَمَتى صَلَحتَ لَيُقضَيَنْ لك صالح ولَتُجزيَنّ إذا جُزيتَ جزيلا

قال ابن هشام :[4] « وأغرب ما دخلت عليه « إذْ » وذلك لشبهها بـ « إنْ » ، وأنشد أبو الفتح [بن جني][5] :

غضِبَتْ عليّ وقد شرِبْتُ بِجزّةٍ فَلَإذْ غضبْتِ لأشربنْ بخروف »

٢٩ - بله :

تستعمل بَلْه على أربعة أوجه :

الأول : أن تكون اسم فعل بمعنى : دَعْ ، فيكون ما بعدها منصوبا .

والثاني : أن تكون مصدرا بمعنى التّرْك ، فيكون ما بعدها مجرورا .

والثالث : أن تكون اسم استفهام بمعنى كيف ، فيكون ما بعدها مرفوعا[6].

---

(١) شرح التسهيل ٢٣٥/١ .

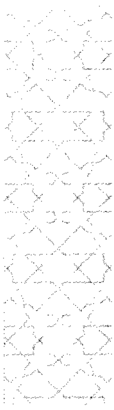
(٢) انظر : رصف المباني ص ٣١٦ ، والجنى الداني ص ١٣٦ـ١٣٧ ، ومغني اللبيب ٢٣٥/١ .

(٣) من الكامل ، وقائله غير معروف . انظر : الجنى الداني ١٣٧ ، ومغني اللبيب ٢٣٥/١ ، وشرح شواهد المغني ٦٠٧/٢ .

(٤) مغني اللبيب ٢٣٦/١ .

(٥) من الكامل ، وقائله غير معروف ، انظر : رصف المباني ص ٣١٦ ، والجنى الداني ص ١٣٧ ، ومغني اللبيب ٢٣٦/١ ، وشرح شواهد المغني ٦٠٧/٢ .

(٦) انظر : ارتشاف الضرب ٢٢٩٥/٥ـ٢٢٩٦ ، والجنى الداني ص ٤٢٤ـ٤٢٦ ، ومغني اللبيب ١١٥/١ .



وقد روي بهذه الأوجه الثلاثة قول الشاعر [1]:

تَذَرُ الجماجمَ ضاحيا هاماتها   بله الأكفِّ كأنها لم تُخْلَقِ

والرابع: ذهب الأخفش إلى أنها حرف جر [2].

إلا أن هناك صورة أخرى وهي دخول حرف الجر من عليها، وقد وصفه ابن هشام بالغريب، قال [3]: ومن الغريب أن في البخاري في تفسير ألم السجدة: يقول الله تعالى [4]: « أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشَر ذُخْراً مِن بَلْهِ ما اطلعتم عليه ».

وقد عد ابن مالك ما ورد في الحديث نادرا [5].

وقد نقل الرضي حكاية عن أبي زيد ت (٢١٥) هـ: « إن فلانا لا يطيق أن يحمل الفِهْر فمن بله أن يأتي بالصخرة [أي] كيف ومن أين ؟ » [6].

ولكنه لم يصفه بغرابة ولا غيرها.

٣٠- حتى:

ذكر النحويون أن « حتى » تأتي لأحد ثلاثة معان:

الأول: انتهاء الغاية، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [سورة طه ٩١].

والثاني: التعليل، كقولك: لأسيرن حتى أدخلَ المدينة.

والثالث: بمعنى « إلا أنْ » فتكون بمعنى الاستثناء المنقطع [7]. كقول الشاعر [8]:

ليس العطاء من الفضول سماحة   حتى تجود وما لديك قليل

والمعنى: إلا أنْ تجود.

(١) من الكامل، وهو لكعب بن مالك رضي الله عنه، ديوانه ص ٢٤٥. انظر: الجنى الداني ص ٤٢٥، ومغني اللبيب ١/١١٥، وشرح شواهد المغني ١/٣٥٣.

(٢) انظر: شرح الكافية للرضي ٢/٧٠، وارتشاف الضرب ٥/٢٢٩٦، والجنى الداني ص ٤٢٦.

(٣) مغني اللبيب ١/١١٥.

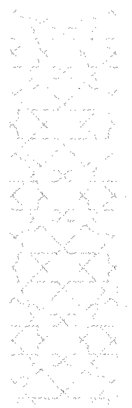
(٤) ولكن هذا اللفظ لم يثبت في البخاري كما قال ابن هشام، وإنما هو كذلك في مسند الإمام أحمد ٢/٤٩٥، وغيره.

(٥) انظر: شواهد التوضيح ص ٢٠٣، ٢٠٥.

(٦) شرح الكافية ٢/٧٠.

(٧) انظر: الجنى الداني ص ٥٥٤-٥٥٥، ومغني اللبيب ١/١٢٢، ١٢٥.

(٨) من الكامل، وقائله: المقنع الكندي، انظر: إتمام شرح التسهيل لابن الناظم ٤/٢٤، والجنى الداني ص ٥٥٤، والمغني ١/١٢٥، وشرح شواهد المغني ١/٣٧٢.



قال المرادي ت (٧٤٩) هـ : « وهو معنى غريب » [١] . وقال ابن هشام : « وهذا أقلها ، وقل من ذكره » [٢] .

قالوا : وهذا ظاهر من كلام سيبويه في تفسير قولهم : « والله لا أفعل إلا أن تفعل » [٣] إذ المعنى حتى أنْ تفعل [٤] وممن قال به أيضا أبو البقاء العكبري ت (٦١٦) هـ [٥] وابن مالك [٦] وابن هشام الخضراوي ت (٦٤٦) هـ [٧] .

٣١ - سوف :

سوف حرف يدل على التنفيس كما يسميه بعض النحويين ، ومعنى حرف تنفيس أي حرف توسيع ، وذلك لأنها تنقل المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال ، وبعضهم يسميه حرف استقبال وهو أوضح [٨] .

وقد ذكر ابن مالك أنه جاء عن العرب في سوف لغات ، وذلك حكاية عن صاحب المحكم ، ولكنها ليست موجودة في الأجزاء المطبوعة منه ، فقال :

« وجاء عن العرب : سَفْ أفعل ، وسَوْ أفعل ، وسَيْ أفعل ، وهي أغربهن ، حكاها صاحب المحكم ، واتفقوا على أن أصل : سف ، وسو ، وسي : سوف » [٩] .

٣٢- قد :

أ -مجيء قد للنفي :

ذكر ابن سيده ت (٤٥٨) ت هـ أن الحرف « قد » ورد مفيدا للنفي ، وقد حكى عن بعض الفصحاء : « قد كنتَ في خير فتعرّفَه » بنصب تعرف بأنْ مضمرة بعد الفاء ، على أن المعنى : ما كنت في خير فتعرفَه وقد وافقه ابن مالك وابنه [١٠] .

قال ابن هشام : « وهذا غريب » [١١] .

إلا أن ابن هشام ناقش ابن سيده وابن مالك فيما ذهبا إليه من أن قد في المثال جاءت

---

(١) الجنى الداني ص ٥٥٥ .
(٢) مغني اللبيب ١/١٢٢.
(٣) لم أهتد إليه في الكتاب .
(٤) انظر : الجنى الداني ص ٥٥٥ ، ومغني اللبيب ١/١٢٥ .
(٥) انظر : إملاء ما من به الرحمن ١/٥٥ .
(٦) انظر : التسهيل مع إتمام شرحه لابن الناظم ٤/ ٢٤ .
(٧) انظر : الجنى الداني ص ٥٥٥ ، ومغني اللبيب ١/١٢٥.
(٨) انظر : رصف المباني ص ٤٦١ ، والجنى الداني ص ٤٥٩ ، ومغني اللبيب ١/١٣٨ .
(٩) شرح التسهيل ١/٢٥.
(١٠) انظر : التسهيل مع تمام شرحه لابن الناظم ٤/ ٣٥ ، ومغني اللبيب ١/١٧٥ .
(١١) مغني اللبيب ١/١٧٥ ، وانظر : المنصف من الكلام ١/١٠ .

للنفي ، حيث رد ما ذهبا إليه من جهتين :

١– أنهما إن كانا إنما حكما بإفادة قد النفي بناء على ثبوت نصب الفعل بعد الفاء ، فإن هذا غير مستقيم ، لأن النصب قد جاء في الإثبات ، كما في قول الشاعر [١] :

سأترك منزلي لبني تميم　　　　وألحقُ بالحجاز فأستريحا

حيث نصب « فأستريحا » بأنْ المضمرة بعد فاء السببية شذوذا لعدم وقوعها بعد نفي ، أو أحد الأوجه الأخرى التي ذكرها النحويون .

٢ – أن ابن هشام حمل الكلام المذكور على أن « قد »غير نافية ، وإنما هي للإثبات ، والكلام معها إثبات على سبيل التهكم والاستهزاء ، كما يقال للكاذب : هو رجل صادق ، فمعنى الكلام نفي ، أي : ما كنت في خير فتعرفه ، ولكنه أبرزه في قالب الإثبات للتهكم ، ونصب الفعل بعد الفاء نظرا للمعنى وهو النفي ، وإن كان اللفظ مثبتا [٢] .

إلا أن ما ذهب إله ابن هشام يمكن أن يناقش فيه أيضا ، وذلك من عدة أوجه :

١ – لا يُسلم له أن ابن سيده ـ بخاصة ـ وابن مالك إنما ذكرا إفادة قد معنى النفي اعتمادا على مجيء الفعل منصوبا بعد الفاء ، لأن ابن سيده وسائر علماء اللغة كانوا يتحرون في بيان معاني الألفاظ تحريا شديدا مبنيا على السماع .

٢ – بناء على ما ذهب إليه ابن هشام فإن الفعل قد نصب بعد نفي غير محض صريح ، والنفي الصريح مما يشترطه النحويون لوجوب النصب ، إلا أنه قد يقال إن النفي هنا نفي معنوي ، وإنه مجوز للنصب لا موجب [٣] .

٣ – أن الفعل « فأستريحا » يحتمل أنه ليس منصوبا ، بل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة المبدلة ألفا في الوقف ، وتخريج البيت على هذا أحسن من التخريج على النصب لفقد شرطه وهو النفي [٤] .

ب ـ مجيء قد للتكثير :

ذكر النحويون أن قد تأتي للتكثير ، وأكثر ما يكون ذلك في مقام الافتخار [٥] كقول الشاعر [٦] :

---

(١) من الوافر ، وقائله : المغيرة بن حنباء ، انظر : الكتاب ٣ /٣٩ ، ٩٢ ، والخزانة ٨ /٥٢٢ ، والدرر ١/١٣٢ .
(٢) انظر : مغني اللبيب ١/١٧٥ ، وحاشية الدسوقي ١/١٨٦ .
(٣) انظر : المنصف من الكلام ٢ /١١ ، وحاشية الدسوقي ١/١٨٦ .
(٤) انظر : المنصف من الكلام ٢ /١١ ، وحاشية الدسوقي ١٨٧ .
(٥) انظر : الجنى الداني ص ٢٥٨ ، ومغني اللبيب ١/ ١٧٤ .
(٦) من البسيط ، وقد نسب لقائلين كثيرين ، انظر : الجنى الداني ص ٢٥٨ ، ومغني اللبيب ١/١٧٤ ، وشرح شواهد المغني ٢ /٤٩٦ ، والخزانة ١١ /٢٥٣ .

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني   جَرْداءُ معروقة اللحيين سُرحُوبُ

قال المرادي عن معنى التكثير : « وهو غريب » [1] .

٣٣-الجملة :

من الأمور المشتهرة لدى النحويين أن صلة الموصول لا محل لها من الإعراب . ولكن الدماميني ذهب إلى أن الأمر ليس على إطلاقه، بل أن يجب التفريق بين صلة (أل) وصلة غيرها فصلة غير (أل) لا محل لها من الإعراب قطعا، وذلك بناء على العلة المتقررة لديهم، وهي أنه لا يصح حلول المفرد محلها [2] .

أما صلة (أل) فلها شأن آخر في نظره ، حيث ذهب إلى أن لها محلا من الإعراب ، حيث قال : « وأما صلة (أل) حيث توصل بالفعلية ذات الفعل المضارع إما اختيارا كما يقول ابن مالك أو اضطرارا كما يقول غيره ، وحيث توصل بجملة غير المتقدمة على وجه الضرورة بالإجماع ، فيتبغي أن يكون لها محل من الإعراب : رفع وتصب وجر ، فيحكم بأنها في محل رفع في مثل قوله [3] :

لا تَبعثَنّ الحرب إني لك اليُنْـ   ـــتَرُ من نيرانها فـاتّقِ

وفي محل تصب في مثل [4] :

خالفْ ووالِ اليتّقي ربّه   وخالف اليَعْصيه و لا تَرْعَه

...... وفي محل جر في مثل قوله [5] :

ما أنت بالحكم التُّرضَى حكومته [ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل] » .

وهذا من الغرائب ، أن تكون جملة يثبت لها بحسب محلها أنواع إعراب الاسم ، لا بطريق التبعية في الأنواع الثلاثة ، ولا في شيء منها ، ويمكن أن يحاجى به .

وقد يعتذر عن تركهم ذلك بأن هذا لا يستعمل إلا في الضرورة ، أو فيها وفي قليل من الكلام ، وفيه ما لا يخفى » [6] .

---

(١) الجنى الداني ص ٢٥٨ .
(٢) انظر : تعليق الفرائد ٢/٢١٩ .
(٣) من السريع ، وقائله : غير معروف ، انظر : تعليق الفرائد ٢/٢١٩ ، الخزانة ١/٣٢ .
(٤) من السريع ، وقائله : غير معروف ، ولم أجده في مرجع آخر .
(٥) من البسيط ، نسب للفرزدق ، وليس في ديوانه . انظر : الإنصاف ٢/٥٥ ، واللسان ١٢/٥٦٥ ، والتصريح ١/٣٨ ، ١٤٢ ، والخزانة ١/٣٢ .
(٦) تعليق الفرائد ٢/٢١٩ – ٢٢٠ .

٣٤ -ما يقع في النثر دون الشعر :

ذكر ابن هشام في الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها الجهة السادسة ، وهي أن لا يراعي المعرب الشروط المختلفة بحسب الأبواب المختلفة [١] وذكر من ذلك :

« تجويزهم في الشعر ما لا يجوز في النثر ، وذلك كثير ، وقد أفرد بالتصنيف . وعكسه ، وهو غريب جدا ، وذلك بدلا الغلط والنسيان . زعم بعض القدماء أنه لا يجوز في الشعر ، لأنه يقع غالبا عن ترو وفكر » [٢] .

* * *

(١) انظر : مغني اللبيب ٢/٥٦٩ ، ٥٧٠ .

(٢) ف مغني اللبيب ٢/٥٩٢ .

الفصل الثالث :الغريب من الأقوال والآراء:

في هذا الفصل سأتحدث عن الأقوال والآراء التي أدلى بها أصحابها ، ثم وصفت بالغرابة ، والفرق بين هذا الفصل والذي قبله أن الغريب في الفصل الأول هو بعض الألفاظ ، والأحكام التي وصفت ذاتها بالغرابة ، فالغريب على هذا بعض مكونات اللغة ، أما في هذا الفصل فالذي يوصف بالغريب هو القول أو الرأي على ما سيتبين - إن شاء الله - .

١ -باب التثنية وجمع المذكر السالم :

أ -حد المثنى وجمع المذكر السالم :

ذهب الجمهور إلى أن حد المثنى - كما ذكر الفاكهي ت (٩٧٢) هـ - : « بأنه ما دل على اثنين بزيادة في آخره ، صالحا للتجريد عنها وعطف عليه مثله دون اختلاف معنى » [١] .

فعلى هذا يخرج كلمة « اثنان » ونحوها مما لا يصح تجريده عن التثنية ، ولا عطف عليه مثله ، وليس فيه زيادة في آخره .

وجمع المذكر السالم هو : « ما دل على أكثر من اثنين بزيادة في آخره ، مع سلامة بناء واحده ... ولا بد فيه من صلاحية عطف مثليه أو أمثاله عليه دون اختلاف معنى » [٢] .

فعلى هذا تخرج بعض الألفاظ كألفاظ العقود لعدم صلاحية عطف مثليه أو أمثاله على واحدها ، لأنه لا واحد لها من ألفاظها .

إلا أن الرضي قد حدهما بحد آخر أوسع من حد الجمهور ، وقد وصفه الدماميني بالغرابة حيث قال : « وأغرب الرضي الإستراباذي حيث قال [٣] :

« ولنا أن نحد المثنى بأنه اسم دال على مفردين ، في آخره ألف أو ياء ونون مزيدتان ، فيدخل فيه : اثنان ، وثنايان ، ومذروان ، واللذان ، وهذان . بخلاف : كِلا فلا تحتاج إلى إفراد هذه المثنيات بالذكر .

ونحد جمع المذكر السالم بأنه اسم دال على أكثر من اثنين في آخره واو أو ياء ونون مزيدتان ، فيدخل فيه : أُلو ، وعشرون وأخواته » [٤] .

ب- كيفية تثنية العلم وجمعه :

من شروط تثنية العلم عند جمهور النحويين أنه لا يثنى حتى ينكر ، فيقال في زيد : الزيدان ، فتدخل الألف واللام . ولو كان باقيا على علميته بعد التثنية لم تدخلا عليه .

---

(١) شرح كتاب الحدود في النحو ، للفاكهي ص ١٠٨ - ١٠٩ .
(٢) المصدر السابق ص ١١٤ .
(٣) تعليق الفرائد ١/٢٤١ .
(٤) شرح الكافية ١/٣٣ .

وكذلك الأمر عند جمعه.

إلا أن أبا حيان حكى عن صاحب البديع خلافا في تثنية العلم وجمعه، فقال: « ومنهم من يلحقه الألف واللام عوضا عما سُلبه من التعريف، فيقول: الزيدان، والزيدون، وهم الأكثر. ومنهم من لا يدخلهما عليه، ويبقيه على حاله قبل التثنية والجمع فيقول: زيدان، وزيدون » (١).

قال أبوحيان: « وهذا القول الثاني غريب جدا لم أقف عليه إلا في هذا الكتاب » (٢).

٢-الضمير:

أ – قسما المستتر:

قسم ابن مالك الضمير المستتر إلى واجب الخفاء، وجائز الخفاء. ويعني بواجب الخفاء ما كان فعله لا يمكن أن يرفع ظاهرا ولا ضميرا بارزا مكانه. ويعني بجائز الخفاء إذا أمكن ذلك فيه (٣).

قال أبو حيان: « وهذا اصطلاح غريب لا نعرفه إلا منه، وإنما يقول أصحابنا: الضمير المرفوع ينقسم إلى مستكن وبارز، ويقولون أيضا: ينقسم إلى متصل ومنفصل، ويجعلون المستكن من المتصل » (٤).

ب –إياك وأخواته:

اختلف النحويون في « إيّا » في إياك وأخواته على مذاهب تصل إلى ستة أجملها فيما يأتي:

الأول والثاني: أن إيا اسم مضمر، واللواحق ـ الياء والكاف والهاء ـ حروف تبين أحوال الضمير من تكلم وخطاب وغيبة، أو أن اللواحق ضمائر وهو مضاف إليها، ولا يعلم ضمير أضيف غيره.

والثالث: أن إيا اسم ظاهر، واللواحق مجرورة بالإضافة إليه.

والرابع: أنه بكماله اسم مضمر واحد.

والخامس: أن إيا دعامة تعتمد عليها اللواحق لتفصل عن المتصل.

والسادس: أنه بكماله اسم ظاهر مبهم واحد (٥).

قال المرادي: « حكاه بعضهم وهو غريب » (٦).

---

(١) التذييل ١/٢٢٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر: شرح التسهيل ١/١٢٠.
(٤) التذييل ٢/١٣٠.
(٥) انظر: الجنى الداني ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧.
(٦) المصدر السابق ص ٥٣٧.

٣ - اسم الإشارة :

أ- علة بنائه :

ذكر ابن معط ت (٦٢٨) أن أسماء الإشارة بنيت لشبهها بالحروف [١].

قال ابن إياز ت (٦٨١) في شرحه : « وتعليله بناءها بشبهها بالحروف غريب ، لم أر أحدا ذكره غيره » [٢].

ب – الكاف الحرفية :

الكاف الحرفية هي التي تتصل ببعض الألفاظ وهي :

أ – أسماء الإشارة ، وهذا هو الأصل ، وذلك لتدل على أحوال المخاطب ، فيقال : ذاكَ للمشار إليه المفرد المذكر ، وذاكِ للمؤنث ، ..... ، وهكذا .

ب – بعض الأفعال نحو : أرأيتَ إذ اضُمن معنى أخبرني ، فيقال : أرأيتك ، وحيّهل : حيّهلك ، أي : ائت ، والنجاء ورويد . اسما فعلين . : النجاءك ، أي : أسرع ، و ورويدك ، أي : أمهلْ ، وأبصِرْ : أبصِرْكَ زيدا ، أي : أبصِرْ زيدا ، وهذا قليل جدا ، وكذلك ليس ، ونِعْمَ ، وبئس ، وحسب .

ج – بعض الحروف وهي : بلى ، وكلاّ ، وهو قليل جدا [٣].

ومن شواهد اتصالها بالفعل قول الشاعر [٤] :

لسان السـوء تهـديه إليها ... وحِنْتَ ، وما حسِبْتُكَ أنْ تحينا

قال ابن مالك : « وأجاز [أبو علي الفارسي] أن تكون الكاف حرف خطاب ، وحمله على ذلك ... » [٥].

قال أبو حيان : « وهو غريب » [٦].

وقد علل ابن مالك رأي أبي علي بوجود « أنْ » بعدها ، فلو لم يكن الأمر كذلك لزم الإخبار بالمصدر المؤول عن اسم عين ، وهذا لا يصح في موضع يخبر عنه فيه بمصدر صريح نحو : زيد رضاً ، فكيف في موضع بخلاف ذلك [٧].

ومع وصف أبي حيان له بالغريب فقد ذكر أنه يجوز فيه تخريج آخر ، وهو أنه يحتمل أن تكون

---

(١) الأشباه والنظائر ٣/٧ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) انظر : شرح التسهيل لابن مالك ٢٤٥/١ ، ٢٤٦ ـ ٢٤٨ .
(٤) من الوافر ، وقائله غير معروف . انظر : شرح التسهيل لابن مالك ٢٤٨/١ ، والتذييل ٣/٢٠٦ ، والدرر ١٣٢/١ .
(٥) شرح التسهيل ٢٤٨/١ .
(٦) التذييل ٣/٢٠٦ .
(٧) انظر : شرح التسهيل ٢٤٨/١ .

الكاف ضميرا في محل نصب مفعول أول، و « أنْ » زائدة، و « تحين » في موضع المفعول الثاني، فلا تكون أنْ مصدرية، وهذا على مذهب الأخفش في إجازته أنّ « أنْ » الزائدة تنصب »[1].

٤ - **المبتدأ والخبر :**

أ – وقوع المبتدأ ضمير شأن :

اختلف النحويون في ذلك، فأجازه الجمهور، نحو: هو زيد قائم[2].

ومنعه الفراء[3] والأخفش[4] فلم يجوزاه إلا إذا كان معمولا لناسخ.

قال أبو حيان: » وهذا غريب مع كثرته في كلام الله تعالى، وكلام العرب، كقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الحج ٤٦] و ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا ﴾ [طه ٧٤] و (**قل هو الله أحد**) [الإخلاص١]، إلى غير ذلك مما كثر في كلامهم في [النثر] والنظم، وإنْ تُؤول بعضُه "[5].

ب – وقوع المبتدأ نكرة :

لا يصح الابتداء بنكرة إلا بمسوغ، وهذه المسوغات أوصلها بعضهم إلى نيف وأربعين[6].

وقد جعل من ذلك ابن الطراوة (ت) أن تكون للمفاجأة، ومثله بقولهم: شيءٌ ما جاء بك، وجعل منه المثل: ليس عبدٌ بأخ لك[7].

قال السيوطي: « وهذه زيادة غريبة »[8].

ج – متعلق الظرف إذا كان خبرا :

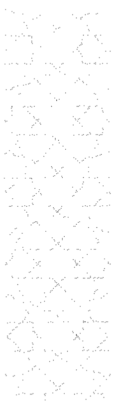
اختلف في الخبر في شبه الجملة في نحو: زيد في الدار، والراجح قول جمهور البصريين أنه محذوف مقدر باستقر، أو مستقر محوفا وجوبا[9].

إلا أن ابن جني وابن يعيش لهما رأيان آخران :

قال ابن يعيش: « واعلم أنك لما حذفت الخبر الذي هو استقر أو مستقر وأقمت الظرف مقامه على ما ذكرنا صار الظرف هو الخبر والمعاملة معه، ...، ونقلت الضمير الذي كان في الاستقرار، وصار أصلا مرفوضا لا يجوز إظهاره للاستغناء عنه بالظرف.

---

(١) انظر: التذييل ٢٠٦/١.
(٢) انظر: التذييل ٢٨٠/٢.
(٣) انظر: معني القرآن ٢٩٩/٣.
(٤) انظر: التذييل ٢٨٠/٢.
(٥) التذييل ٢٨٠/٢.
(٦) انظر الأشباه والنظائر ١٢٤/٢-١٣٢.
(٧) انظر: مجمع الأمثال ٢٠٩/٢، والمستقصى ٣٠٦/٢.
(٨) الأشباه والنظائر ١٣١/٢.
(٩) انظر: الإنصاف ٢٢٥/١، وشرح التسهيل لابن مالك ٣١٨/١، والتذييل ٥٤/٤، والهمع ٣٢١/١.



وقد صرح ابن جني بجواز إظهاره .

والقول عندي في ذلك أنه بعد حذف الخبر الذي هو الاستقرار ونقل الضمير إليه لا يجوز إظهار ذلك المحذوف لأنه قد صار أصلا مرفوضا ، فإن ذكرته أولا وقلت : زيد استقر عندك لم يمنع منه مانع »[1] .

قال ابن هشام : « وهو غريب »[2] .

د - تقديم الخبر :

قال أبو حيان : « ذهب أبو الحسن بن الطراوة إلى مذهب غريب في تقديم الخبر ، بناء على مذهب له في الواجب والجائز والممتنع .

فالواجب عنده : رجل وقائم ونحوهما مما يجب أن يكون في الوجود ، ولا ينفك الوجود عنه .

والممتنع : لا قائمَ ، ولا رجلَ ، إذ يمتنع في الوجود أن يكون لا رجلَ فيه ولا قائم . والجائز مثل : زيد وعمرو ، لأنه جائز أن يكون وجائز أن لا يكون .

قال : فكلام مركب من واجبتين لا يجوز ، نحو : رجلٌ قائمٌ ، لأنه لا فائدة فيه ، وكلام مركب من ممتنعين أيضا لا يجوز ، مثل : لا رجلٌ لا قائمٌ ، لأنه كذب ، ولا فائدة فيه ، وكلام مركب من واجب وجائز صحيح ، نحو : زيد قائم ، وكلام مركب من ممتنع وجائز لا يجوز ، ولا من واجب وممتنع ، نحو : زيد لا قائم ، ورجل لا قائم ، لأنه كذب ، إذ معناه : لا قائمَ في الوجود ، وكلام مركب من جائزين لا يجوز ، نحو : زيد أخوك ، لأنه معلوم ، لكن بتأخيره صار واجبا ، فصح الإخبار به لأنه مجهول في حق المخاطب ، فالجائز يصير بتأخيره واجبا .

وإذا ثبت هذا كله انبنى عليه أن لا يجوز : قائمٌ زيد ، لأنه صار بتأخيره واجبا ، فصار الكلام مركبا من واجبتين ، فصار بمنزلة : قائمٌ رجلٌ ، فلا يجوز عنده تقدم الخبر إذا كان واجبا »[3] .

قال أبو حيان : « وأما قوله : (إن الجائز بتأخيره يصير واجبا) فرُد عليه بأنه لا يصير الجائز بالتأخير واجبا ، ومعناه مقدما ومؤخرا واحد ، أي : هو مخبر عنه قدمته أم أخرته ، كما لا يصير الفاعل بتأخيره عن المفعول مفعولا ، ولا المفعول بتقديمه فاعلا »[4] .

---

(١) شرح المفصل ٩٠/١ .
(٢) مغني اللبيب ٤٤٦/٢ .
(٣) التذييل ٣٥٣/٣ . ٣٥٤ ، والهمع ٣٣٤/١ ، والاقتراح في علم أصول النحو ص ٦٣ - ٦٤ .
(٤) التذييل ٣٥٤/٣ .

٥- **المفعول فيه :**

أ ـ وقوع « بين » ظرف زمان :

ذهب ابن مالك إلى أن (بين) كما يكون ظرف مكان فإنه قد يكون ظرف زمان ، وجعل منه حديث ساعة الجمعة [١] : « وهي ما بين خروج الإمام وانقضاء الصلاة » [٢] .

قال الدماميني : « وهو غريب » [٣] .

ب – حذف تنوين « كل » :

قال أبو حيان : « ومن غريب المنقول ما ذهب إليه محمد بن الوليد [ت ٢٩٨ هـ] من جواز حذف التنوين من كل ، فتقول : كل منطلق ، جعله غاية مثل : قبل ، وبعد . حكاه عنه أبو جعفر النحاس [ت ١٣٧أو ١٣٨هـ] .

وأنكر عليه علي بن سليمان [الأخفش الصغير ت ٣١٥ هـ] لأن الظروف قد خُصت بعلة ليست في غيرها » [٤] .

جـ – ناصب الظرف :

أورد الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة رأيا لابن الشجري في ناصب الظرف ، ووصف بالغريب ، فقال : « لابن الشجري رأي غريب في ناصب الظرف ، قال في أماليه : » والناصب للظرف أحد شيئين :

الأول : فعل ظاهر أو ما قام مقامه من اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدر . فالفعل كقولك : خرجت يوم الجمعة أمام زيد . وما قام مقام الفعل ..... .

وقد يعمل ظرف المكان في ظرف الزمان ، كقولك : زيد في داره اليوم ، وتقدمه عليه فتقول : الساعة زيد خلفك . فتعمل فيه معنى الفعل مقدما ، كما أعملته فيه مؤخرا ، فمن إعماله فيه مقدما قولهم : كل يوم لك ثوب ، ومثله في التنزيل : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف : ٤٤] ألا ترى أن (هنالك) مشاربة إلى يوم القيامة .

فإن كان المبتدأ اسم حدث وجئت بعده بظرفين : زماني زمكاني ، كقولك : القتال يوم السبت خلف المدينة ، جاز أن يعمل كل واحد منهما في الآخر ، فإذا أعملت ظرف الزمان فالتقدير : القتال واقع يوم السبت خلف المدينة ، فإذا أعملت ظرف المكان فالتقدير : القتال واقع خلف المدينة يوم السبت .

---

(١) انظر : شرح التسهيل ٣/ ٢٣١ . ٢٣٢ .

(٢) الحديث بهذا اللفظ لم يثبت ، وإنما الذي ثبت عند مسلم ٢/ ٥٨٤ . وغيره . : « هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة » والشاهد فيه لا يزال كما هو .

(٣) تعليق الفرائد ٥/ ٢١٤ .

(٤) الهمع ٢/ ١٤٦ .

وإنما جاز أن تعمل كل واحد من هذين الظرفين في الآخر لأن الكلام يتم بظرف الزمان خبرا، كما يتم بظرف المكان ... "[1].

٦ - الحال :

من المسائل المشهورة لدى النحويين المسألة الزنبورية، وهي قولهم : قد كنتُ أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، وقالوا أيضا : فإذا هو إياها . وهذا هو الوجه الذي هو أنكره سيبويه كما تذكر الروايات، وكذلك البصريون [2].

وقد ذكروا في توجيه ذلك عدة أوجه، منها :

ما ذكره ابن الحاجب : أن الضمير منصوب على الحال من الضمير في الخبر المحذوف، والأصل : فإذا هو ثابت مثلها، ثم حذف المضاف فانفصل الضمير، وانتصب في اللفظ على الحال على سبيل النيابة، كما قالوا : قضيّةٌ ولا أبا حسن لها، على إضمار مثل [3].

قال ابن هشام :« وهو وجه غريب، أعني : انتصاب الضمير على الحال » [4].

٧ - الاستثناء :

تعد إلاّ أصل أدوات الاستثناء، إلا أنه مع ذلك يجوز أن تخرج عن الاستثناء فتقع صفة، أي : يوصف بها وبما يليها .

وقد ذكروا للوصف بها شرطين وقع الخلاف فيهما خلاف كثير، وسأذكرهما باختصار :

الأول : ألا يحذف موصوفها .

والثاني : أن لا يوصف بها إلا حيث يصح الاستثناء [5].

إلا أن ابن الحاجب اشترط شرطا وصفه السيوطي بالغرابة، فقال : « وأغرب ابن الحاجب فشرط في وقوع إلا صفة أن يتعذر الاستثناء » [6].

وقد جعل من الشاذ قول الشاعر [7]:

وكلُ أخٍ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدان

حيث إن الشاعر هنا لم ينصب (الفرقدان) بعد الكلام التام الموجب، فتعين أنه صفة، ولم يتعذر الاستثناء، إذ إنه يمكنه أن يقول : إلا الفرقدين .

---

(١) أمالي ابن الشجري ٥٧٣/٢ – ٥٧٤، وانظر :حاشية المقتضب ٢٣٩/٤.

(٢) انظر : الإنصاف ١٠٩/٢، ومغني اللبيب ٨٨/١ – ٩٢.

(٣) انظر : أمالي ابن الحاجب ٨٧٤/٢، ومغني اللبيب ٩٢/١.

(٤) مغني اللبيب ٩٢/١.

(٥) انظر : رصف المباني ص ١٧٣، ومغني اللبيب ٧٢/١، والهمع ٢٠١/٢.٢٠٣.

(٦) انظر : الإيضاح في شرح المفصل ٣٧٠/١ – ٣٧١، والهمع ٢٠٣/٢.

(٧) من الوافر، وقد نسب لعمرو بن معدي كرب، وهو في ديوانه ص ١٨٧، ونسب لغيره . انظر : مغني اللبيب ٧٢/١، والهمع ٢٠٣/٢، وحاشية الدسوقي ٧٧/١ – ٧٨، والدرر ٤٩٤/١.

٨ -**الجر بالحرف :**

الجر بلعل :

ذكر النحويون أن من العرب من يجر بلعل بفتح اللام الأخيره وكسرها ، وأنها لغة بني عقيل .

وقد تأول بعض النحويين ما ورد من ذلك بما يجعل لعل على أصلها من النصب [1] .

قال أبو حيان : « ولا يخفى ما في هذه التأويلات من التكلف ، وحكاية الأخفش وأبي زيد وغيرهما أنها لغة لبعض العرب مانع من هذه التأويلات ، ومرجح جواز الجر بها على مذهب من منع ذلك وهم الجمهور » [2] .

إلا أن أبا حيان أورد رأيا غريبا للفراء في ما ورد فيها من الجر ، فقال : « ومن غرائب المنقول أن الفراء ذهب إلى جواز الخفض بلعل ، وإجازة نصب الخبر ورفعه ، قال : والأصل : لعاً لِعبد الله قال : فمن نصب قال : لا يكون الاسم مخفوضا وفعله مرفوع . ونصْبه عنده على التفسير ، كقولك : ما أظرفَك رجلاً ! ومن رفعه رفعه باللام . قال الفراء : فمن قال : لعاً لِعبد الله قائما ، أو قائم ، ثم كنى عن عبد الله قال :لعلّه ، فنصب لامه .

وهذا عند البصريين خطأ ، لأنه إن أراد أنْ يخفض بلعل جاء بخلاف ما جاء به القرآن ، وما نقله أهل اللغة ، وإن أراد (لعاً) التي تقال لمن عَثَرَ ، بمعنى : نَعَشَك الله [أي : أقامك] ضدّ تعساً ، فلا معنى لها هنا ، ولا لذكرها مع (أنّ) وأخواتها ، .... .

وقد قيل : إن لعا مقلوب من علا ، وهو دعاء في موضع : أعلاه الله . فلا ينون على هذا لأنه فِعْل ، ولا يدغم لأنه لا تنوين فيه » [3] .

٩ -**المصدر :**

أ –إعماله :

نقل الدماميني عن أبي حيان أنه قال : « ومن النقول الغريبة قول ابن الخباز في النهاية في (أتيته ركضا) : إنْ فرعنا على قول البصريين : إن ركضا بمعنى : راكضا جاز إعماله ، فتقول : ركضا فرسي ، أو على قول الكوفيين . وهو قول أبي علي في الإيضاح [4] . إن التقدير : اركضْ ركضا ، لم يجز ؛ لأنه بمنزلة : ضربت ضربا .

---

(١) انظر : التذييل ٥/ ١٨٠ – ١٨٢ ، والارتشاف ٣/ ١٢٨٢ .
(٢) التذييل ٥/ ١٨٣ .
(٣) التذييل ٣/ ١٨٣ – ١٨٤ .
(٤) إيضاح الشعر ص ١٧٢ .

قلتُ : « هذا أمر جار على القواعد فلا غرابة فيه ، وعلى الأول يمكن أن يستأنس به للمصنف [1] في قوله : إن لنا مصدرا عاملا مع أنه لا يقدر بحرف مصدري وصلته . ويقال عليه : إن الكلام في المصدر الباقي على معناه المصدري بلا تأويل ، وليس ركضا في قولك : أتيته ركضا فرسي كذلك ، لأنه إنما عمل هنا من حيث كونه في تقدير اسم الفاعل ، لا من حيث كونه مصدرا » [2] .

ب – تقديم معمول المصدر :

المصدر العامل مقدر بحرف مصدري موصول بالفعل بإجماع النحويين ، وهذا التقدير غالب لا لازم ، لذلك لا يجوز تقديم معموله عليه ولا الفصل بينهما ، وما جاء موهما بخلاف ذلك فإنه يقدر له عامل ، أو يعد نادرا [3] .

وقد نقل المرادي رأيا غريبا عن الأخفش فقال : « ونقل عن الأخفش أنه يجيز تقديم المفعول به على المصدر ، نحو : يعجبني عمرا ضربُ زيدٍ ، وهو نقل غريب » [4] .

١٠ -الصفة المشبهة :

للصفة المشبهة مع معمولها عدة حالات ، منها الكثير ، ومنها القليل ، ومنها الممتنع . فمن القليل نحو : زيد حسنُ وجهِه ، بإضافة الصفة إلى معمولها ، ووجه قلته : أن فيه زيادة ضمير غير محتاج إليه [5] .

قال الدماميني : «ووقع لابن الحاجب ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح المفصل [6] كلام غريب هنا ، فإنه قال :

لم يمنع (حسنُ وجهِه) ـ يعني بالإضافة ـ إلا صاحب الجمل [7] فظن أن الناس يمنعونها ، فقال : وخالف سيبويه [8] فيها جميع الناس ، وعلل المنع بإضافة الشيء إلى نفسه ، وبأن الوجه مضاف إلى ضمير الموصوف ، فكأن إضافة الصفة إلى الوجه إضافة الشيء إلى نفسه .

ويرد الأول جواز : حسنُ وجهٍ باتفاق ، وأن الحسن دال على معنى في الوجه لا نفسه ، فليس بمنزلة : حبس ومنع .

(١) أي : ابن مالك .
(٢) تعليق الفرائد ٨ / ٥٧ .
(٣) انظر : شرح التسهيل لابن مالك ٣ / ١١٣ ، وتعليق الفرائد ٨ / ٦٠ ـ ٦١ .
(٤) تعليق الفرائد ٨ / ٦١ .
(٥) انظر : تعليق الفرائد ٨ / ٢٩ – ٣٠ .
(٦) انظر : الإيضاح في شرح المفصل ١ / ٦٤٩ .
(٧) انظر : الجمل في النحو ص ٩٤ .
(٨) الصواب أن سيبويه ذكر أن هذا الوجه جاء في الشعر فقط ، وأنه رديء ، فقال : » وقد جاء في الشعر : حسنةُ وجهِها ، شبهوه بحسنةِ الوجهِ ، وذلك رديء « الكتاب ١ / ١٩٨ – ١٩٩ .

ويرد الثاني جواز : زيد ضارب غلامِه باتفاق » [١] .

قال الدماميني : « وفيه أمور :

منها أن سيبويه منع المسألة كما منع الزجاجي ، ولكنه جوزها في الشعر فقط ، صرح بذلك في كتابه ، والمبرد منعها مطلقا في الشعر والنثر ، ووافق سيبويه جماعة من البصريين والمتأخرين ، ووافق المبرد جماعة على المنع مطلقا في الشعر والنثر » .

١١ ـ العطف على الموضع :

من أنواع العطف : العطف على الموضع ، أو العطف على المحل ، وله عند المحققين ثلاثة شروط :

الأول : إمكان ظهوره في الفصيح .

والثاني : أن يكون الموضع بحق الأصالة .

والثالث : وجود المحرز ، أي الطالب لذلك المحل ، مع وجود تفصيل وخلاف في ذلك كله [٢] .

وقد ذكر أبو حيان شرطا مخالفا لما ذكر ، وصفه ابن هشام بالغريب ، فقال : « ومن الغريب قول أبي حيان : إن من شرط العطف على الموضع أن يكون للمعطوف عليه لفظ وموضع .

فجعل صورة المسألة شرطا لها ، ثم إنه أسقط الشرط الأول الذي ذكرناه ، ولا بد منه » [٣] .

١٢ ـ ما لا ينصرف :

من الألفاظ الممنوعة من الصرف ما كان على وزن (فُعَل) المستعمل لتوكيد المؤنث ، وهي : جُمَع ، وكُتَع ، وبُصَع ، وبُتَع ، وهي جمع : جمعاء ، وكتعاء ، وبصعاء ، وبتعاء . وهي ممنوعة من الصرف للعدل والعلمية [٤] .

وقد اختلف النحويون في تفسير ذلك ، والذي يعنينا من ذلك ما ذهب إليه أبو حيان ، حيث قال : « الذي نختاره أنها معدولة عن الألف واللام ، لأن مذكرها جمع بالواو والنون ، فقالوا : أجمعون ، كما قالوا : الأخسرون ، فقياسه أنه إذا جمع كان معرفا بالألف واللام ، فعدلوا به عما كان يستحقه من تعريفه بالألف واللام [٥] .

قال السيوطي : « وهذا يقتضي أن يكون جمع المذكر فيه أيضا ممنوع من الصرف ، لوجود العدل المذكور فيه ، وتكون التاء فيه علامة الجر على أنها نائبة عن الفتحة .

وهو غريب » [٦] .

---

(١) تعليق الفرائد ٨/٣٠ .
(٢) انظر : مغني اللبيب ٢/٤٧٣ ـ ٤٧٤ .
(٣) مغني اللبيب ٢/٤٧٦ .
(٤) انظر : الهمع ١/٩٧ .
(٥) الهمع ١/٩٨ .
(٦) الهمع ١/٩٨ .

١٣ - حبذا :

تستعمل حبذا في مقام المدح ، فيقال : حبذا العلم . وقد يستعمل قبل المخصوص أو بعده نكرة منصوبة ، نحو : حبذا رجلين الزيدان ، ورجالا الزيدون . وقد اختلف في إعرابه ، فقيل : إن كان مشتقا فهو حال ، وإن كان جامدا فتمييز ، وقيل : حال مطلقا ، وقيل تمييز مطلقا ، وقيل : المشتق إن أريد تقيّد المدح به فهو حال ، والجامد والمشتق الذي لم يرد به ذلك ، بل تبيين حسن المبالغ في مدحه تمييز [١] .

قال السيوطي « وقيل : إنه منصوب بفعل مقدر تقديره : أعني ، مضمرا ، فهو مفعول لا حال ولا تمييز ، قاله أبو حيان ، وهو غريب » [٢] .

١٤-إعراب الفعل :

أ – جزمه بلعل :

ذكر ابن مالك أن الفعل قد يجزم في جواب لعل عند سقوط الفاء منه ، واستشهد بقول الشاعر [٣] :

لعلّ التفاتا منكَ نحوي مُقــــدر ... يَمِلْ بكَ من بعد القساوة للرّحم

قال ابن هشام : « وهو غريب » [٤] .

ب – الجزم بلا :

قال أبو حيان : ومن غريب الخلاف في « لا » التي للنهي والدعاء ما ذهب إليه أبو القاسم السهيلي من أنها « لا » التي للنفي ، قال : لأن الناهي يطلب نفي الفعل وتركه ، كما يطلب الآمر وجوده ، وقد تدخل « لا » النافية بين الجار والمجرور ، نحو : جئت بلا زادٍ ، وبين الناصب والمنصوب ، نحو : أخشى أن لا تقومَ ، فكذلك دخلت بين الجازم والمجزوم ، وهو لام الأمر ، لكنها أضمرت كراهة اجتماع لامين في اللفظ ، قالوا : ظلْتُ يريدون : ظلَلتُ ، فكان الأصل إذا نهيت : لَلا تذهب ، كما تقول : ليذهب ، فأضمرت اللام لِما ذُكر .

قال أبو حيان : وهذا الذي قاله في غاية من الشذوذ ، لأن فيه ادعاء إضمارٍ لم يلفظ به قط ، ولأن فيه إضمار الجازم وهو لا يجوز إلا في ضرورة ، ..... .

(١) انظر : الهمع ٣/ ٣٢ .
(٢) الهمع ٣/ ٣٢ .
(٣) من الطويل ، وقائله غير معروف ، انظر شرح العمدة ص ٣٤٧ ، ومغني اللبيب ١/ ١٥٥ .
(٤) مغني اللبيب ١/ ١٥٥ .

وأيضا فقد سبق إجماع النحويين كوفيهم وبصريهم على أن « لا » تفيد معنى النهي عن الفعل، وأن الجزم بها نفسها، لا نعلم أحدا خالف في ذلك قبل هذا الرجل، وهذا الرجل كان شاذ المنازع في النحو، وإن كان غير مدفوع عن ذكاء وفطنة ومعرفة، وإنما سرى إليه ذلك من شيخه أبي الحسين بن الطروة، فإنه لم يأخذ النحو إلا عنه، وابن الطراوة كما علمه النحاة كثير الخلاف لما عليه النحويون، وقد صنف كتبا في الرد على سيبويه وأبي علي الفارسي، وعلى الزجاجي، وردّ الناس عليه ورموه عن قوس واحدة »[1].

١٥ -إذا :

قال أبو حيان : « ومن غريب ما يحكى في« إذا » أن أبا عبيدة معمر بن المثنى زعم أنها تأتي زائدة، فتكون حرفا على هذا، وأنشد[2] :

حتى إذا أسْلَكوهم في قُتَائدةٍ   شلاّ كما تَطْردُ الجمّالةُ الشُّردَا

قال : زادها لعدم الجواب، كأنه قال : حتى أسلكوهم ... ، وقد يؤول البيت على حذف الجواب »[3].

١٦ - كلا وسوف :

قال أبو حيان : « ذهب الفراء وأبو عبد الرحمن اليزيدي ومحمد بن سعدان إلى أن كلاّ بمنزلة سوف، وهذا مذهب غريب »[4].

* * *

(١) الأشباه والنظائر ٣/ ٢١ – ٢٣.

(٢) من البسيط، وقائله : عبد مناف بن ربع الجُربي. قتائدة : اسم جبل، الشل : الطرد، الشرد : جمع شرود وهو الإبل النافرة. الجمالة : أصحاب الجَمال. انظر : شرح أشعار الهذليين ٦٧٥، والإنصاف ٤١١/١، ومعجم ما استعجم ١٠٤٨، والأشباه والنظائر ٣/ ٢٣ – ٢٤.

(٣) الأشباه والظائر ٣/ ٢٣ – ٢٤.

(٤) المصدر السابق ٣/ ٢٧ – ٢٨.

الخاتمة :

وفي نهاية المطاف فإنه يمكننا أن نسجل النتائج التالية لهذا البحث ، والذي أحسب أنه من الأبحاث اللطيفة ، وهذه النتائج :

١ – أن الظواهر التي يلحظها الدارس في التراث النحوي كثيرة جدا ، وكل ظاهرة من هذه الظواهر تستحق الوقوف عندها بالنظر والتأمل ، ومن تلك الظواهر ظاهرة القول بالغريب في النحو ، وذلك لاستجلاء حقائق هذه الظواهر ، وبيان ارتباطها بذات اللغة ، لكونها تكشف بجلاء كثيرا من خصائصها القيمة الكثيرة ، وكذلك فإنها تلقي الضوء على منهج النحويين في تناول تلك القضايا ، ومنها ظاهرة : الغريب في النحو، فلقد جاء عنهم وصف كثير من الأنماط النحوية بالغريب ، وكذلك أثر عنهم وصف كثير من الأقوال المأثورة عن بعض النحويين بالغريب ، إما صراحة بهذا اللفظ ، وإما بألفاظ مقاربة له في المعنى ، وقد كثر ذلك كثرة إلى الحد الذي يسترعي انتباه الباحث ، حيث أحصيتُ أكثر من مائة وأربعين موضعا ورد فيها هذا اللفظ صراحة ؛ مما يرشد إلى أن هذه الظاهرة جديرة بالدراسة لتجليتها بصورة تبين حقيقتها ، ومدى عمقها وعلاقتها ببنية اللغة العربية ، وبطبيعة الدراسات النحوية ، والبحث فيه .

٢ – من أبرز القضايا التي تناولها هذا البحث هذا السؤال المهم ، وهو : هل الغريب قد عُد أحد الأحكام النحوية أم لا ؟

فنقول إنه قد ورد في مواطن متعددة استعمال لفظ الغريب حكما نحويا في بعض المسائل ، حيث استعمله بعض النحويين في مقابل بعض المصطلحات التي وضعت للتعبير عن حكم نحوي معين .

إلا أنه مع ذلك كله نجدهم لا يذكرونه مع سائر الأحكام النحوية: الواجب ، والكثير ، والغالب ، والقليل ، والنادر - عند الحديث عنها - والذي يظهر أن العلة في عدم ذكره مع ألفاظ الأحكام النحوية الأخرى أنه لم يشع استعماله كشياع الشاذ والنادر ونحوهما ، فكانا أكثر منه شهرة واستعمالا .

٣– أن لفظ الغريب لم يرتق إلى أن يكون مصطلحا ذا دلالة محددة ، حيث تبين من خلال البحث أن لفظ الغريب يرد عند بعض النحويين دون بعض ، وهذا بلا شك مرتبط بقضية وضع المصطلحات عامة واستعمالها ، ففي كثير من الأحوال يتفرد نحوي بمصطلح نحوي معين ، أو يقتصر استعمال مصطلح ما على عصر معين ، وهذا قد يلتمس له بعض العذر ، وذلك لطول المدة الزمنية لتاريخ النحو العربي ، واتساع الرقعة الجغرافية للعالم العربي والإسلامي

، وكذلك تفاوت آلية الدرس النحوي ، فليس النحويون - مثلا - جمعية تتخذ قراراتها بالأغلبية ، ونحو ذلك ، إذاً فلا عجب أن يوجد تفرد بمصطلح أو أكثر لدى نحوي معين ، أو في عصر من العصور .

وبناء على هذا فإن لفظ الغريب جاء مؤديا معاني متعددة تبعا لمراد من يستعمله من النحويين ، ولم يرتق - من وجهة نظري - إلى أن يستعمل مصطلحا ذا دلالة محددة متفق عليها .

٤ – أنهم كثيرا ما يذكرون لفظ الغريب من دون بيان الموقف الذي يتخذ منه ! هل يقبل ويؤخذ به أم يرد ؟ أم يكون من المسكوت عنه ؟ أم ماذا ؟

إننا كثيرا ما نراهم يختمون كلامهم بعبارة : وهو غريب ، ونحوها ، ثم يتركون الكلام غفلا من أي إشارة تشير إلى القبول أو الرد مطلقا ، أو بشروط ، أو غير ذلك .

٥ – ظهر من خلال النظر في مسائل الغريب أن هناك أسبابا أدت إلى القول بالغريب ، فمن هذه السباب :

أ – عدم مراعاة اختلاف لغات العرب (لهجاتهم) .

ب – أن القول بالغريب ربما كان منهجا لبعض النحويين ، وإن كان يمكن النظر إليه على أنه نوع من التفكير الجاد في محاولة لتخريج بعض ما أشكل من بعض مسائل النحو .

ج – أن القول بالغريب قد يكون مرجعه إلى عدم تعدد مصادر التلقي للنحوي ، فربما لم يعتمد بعضهم إلا على شيخ واحد فقط ، أو اعتمد على القراءة في الكتب دون الدراسة على أيدي العلماء ، مما يسلم إلى القول ببعض الآراء الغريبة .

د – أن القول بالغريب قد يكون مرده إلى استعمال مصطلحات وقانون من غير واقع العربية ، كاستعمال مصطلحات منطقية بعيدة في معانيها عن طبيعة اللغة العربية ونحوها ، وخلط ذلك بالمصطلحات والقواعد النحوية العربية المستقاة من واقع العربية ونحوها .

هـ – ومن أسباب القول بالغريب الإبعاد في تفسير بعض المسائل ، والتماس معان بعيدة عن الذهن ، بل وربما عن مقصود المتكلم .

و – من أسباب القول بالغريب تفاوت الفهم لكلام العلماء ، أو نقص الاستقراء له .

هذا ، وبالله التوفيق ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١- **الاقتراح في علم أصول النحو وجدله ، للسيوطي** ، ت / د محمود فجال ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

٢- **الإقناع في القراءات السبع** ، لأحمد بن علي الأنصاري ، ت / الشيخ : أحمد فريد المزيدي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

٣- **أمالي ابن الحاجب** ، ت / فخر صالح قدارة ، دار عمار ، عمّان ، ودار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م .

٤- **أمال ابن الشجري** ، ت / محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة (بدون طبعة وتاريخ) .

٥- **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، للأنباري ، عناية / حسن محمد ، بإشراف / د إميل يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٦- أوضح **المسالك**، لابن هشام الأنصاري ، ومعه كتاب : بغية السالك ،لعبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز .

٧- **الإيضاح العضدي** ، لأبي علي الفارسي ، ت / كاظم بحر المرجان ، عالم الكتب بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

٨- **الإيضاح في شرح المفصل** ، لابن الحاجب ، ت / د موسى بناي العليلي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الجمهورية العراقية (بدون طبعة وتاريخ) .

٩- **البيان والتبيين** ، للجاحظ ، ت / عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر (دون ط أو تاريخ) .

١٠- **تحفة الغريب بهامش المنصف من الكلام على مغني ابن هشام** ، للشمني ، المطبعة البهية ، بمصر ، بدون تاريخ .

١١- **التذييل والتكميل في شرح التسهيل** ، لأبي حيان ، ت : أ ، د / حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٨هـ .

١٢- **التصريح بمضمون التوضيح** ، لخالد الأزهري ، دار الفكر .

١٣- **تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد** ، **للدماميني** ، ت : د / محمد المفدى ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ .

١٤- **الجامع الصحيح** ، **للبخاري** ، ت / مصطفى ديب البغا ، ط ٣ ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

١٥- **الجمل في النحو** ، **للزجاجي** ، ت / د علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، دار الأمل ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

١٦- **الجنى الداني** ، للمرادي ، ت د / فخر الدين قباوة ، والأستاذ / محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤١٣هـ .

١٧- **حاشية الدسوقي على مغني اللبيب** ، لمصطفى محمد عرفه الدسوقي ، ملتزم الطبع والنشر / عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر .

١٨- **حجة القراءات** ، لابن زنجلة ، ت / سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

١٩- **الدرر اللوامع** ، تأليف / أحمد بن الأمين الشنقيطي ، وضع حواشيه / محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

٢٠- **ديوان الأسود بن يعفر** ، صنعة نوري حمودي القيسي ، وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية ، ط ١، (بدون تاريخ) .

٢١- **ديوان امرىء القيس** ، جمع / حسن السندوبي ، مطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٣٤٩هـ ، ١٩٦٤م .

٢٢- **ديوان جرير** ، ت /نعمان أمين طه ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ (بون تاريخ) .

٢٣- **ديوان جميل بثينة** ، جمع وتحقيق وشرح / إميل يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٢هـ .

٢٤- **ديوان عمرو بن معديكرب (شعر عمرو بن معديكرب)** جمعه / مطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجلة اللغة العربية ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٥م .

٢٥- **ديوان الفرزدق** ، **دار صادر** ، بيروت (بدون طبعة وتاريخ) .

٢٦- **ديوان كثير عزة** ، ت / إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ١، ١٩٧١م .

٢٧- **ديوان كعب بن زهير** ـ رضي الله عنه ـ ت / علي فاعور ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٢٨- **ديوان كعب بن مالك** ـ رضي الله عنه ـ دراسة وتحقيق / سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط ١، ١٩٦٦م .

٢٩- **رصف المباني في شرح حروف المعاني** ، للمالقي ، ت / د أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٣٠- **سر صناعة الإعراب** ، **لابن جني** ، ت / حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط ١، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

٣١- **شرح أشعار الهذليين** ، للسكري ، ت / عبد الستار أحمد فراج ، وراجعه : محمود شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، (بدون طبعة وتاريخ) .

٣٢- **شرح التسهيل لابن مالك** ، ت د / عبد الرحمن السيد ، و د / محمد بدوي المختون ، دار هجر ، ط ١، ١٤١٠هـ .

٣٣- **شرح الجمل لابن عصفور**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فواز الشعار، إشراف: د / إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م.

٣٤- **شرح شواهد المغني**، للسيوطي، تصحيح وتعليق / محمد محمود التركزي الشنقيطي، لجنة الترث العربي.

٣٥- **شرح العمدة (عمدة الحافظ وعدة اللافظ)** لابن مالك، ت / عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

٣٦- **شرح الكافية في النحو، للرضي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

٣٧- **شرح الكافية الشافية**، لابن مالك، ت د / عبد المنعم هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، دار المأمون للتراث، ط، ١٤٠٢هـ.

٣٨- **شرح كتاب الحدود في النحو، للفاكهي**، ت / المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٣٩- **شرح المفصل**، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت.

٤٠- **شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح**، لابن مالك، ت / محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون طبعة وتاريخ).

٤١- **الصحاح، للجوهري**، ت / أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م.

٤٢- **صحيح مسلم**، ت / محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣- **عمدة القاري**، شرح صحيح البخاري، للعيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤- **فتح الباري**، شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ت / محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٤٥- **الكتاب، لسيبويه**، ت / عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٨هـ.

٤٦- **مجمع الأمثال**، للميداني، ت / محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٧م.

٤٧- **المسائل الحلبيات**، لأبي علي الفارسي، ت / حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، دار المنارة، بيروت (بدون طبعة، وتاريخ).

٤٨- **المستقصى في أمثال العرب**، للزمخشري، حيدر أباد الدكن بالهند، ١٩٦٢م.

٤٩- **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة دار قرطبة، مصر.

٥٠- **معاني القرآن ، للأخفش** ، ت / د فائز فارس ، الكويت ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

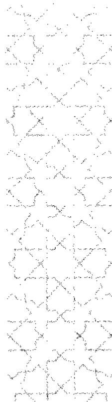
٥١- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لعبد الله البكري** ، ت / مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٣م .

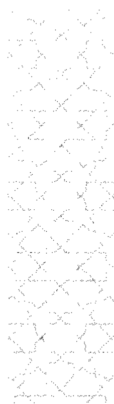
٥٢- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، لابن هشام ، ت / محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٥٣- **المنصف من الكلام للدماميني** ، بهامش المنصف من الكلام على مغني ابن هشام ، للشمني ، المطبعة البهية ، بمصر ، بدون تاريخ .

٥٤- **همع الهوامع ، للسيوطي** ، ت / أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ .

* * *

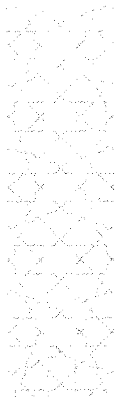


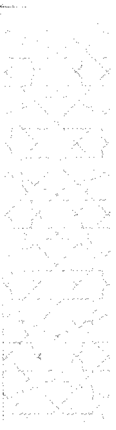


سورة القيامة

دراسة بلاغية تحليلية

د.إبراهيم بن منصور التركي
كلية العلوم العربية و الاجتماعية
جامعة القصيم





سورة القيامة : دراسة بلاغية تحليلية

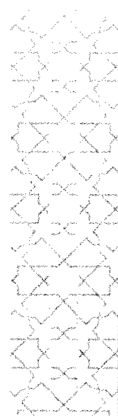
د.إبراهيم بن منصور التركي
كلية العلوم العربية و الاجتماعية
جامعة القصيم

ملخص البحث :

لقد كان من أجمل الرؤى البلاغية في تراثنا العربي تلك الرؤى التي قامت على أكتاف رجالات جنّدوا كتاباتهم لخدمة كتاب الله الخالد. وأهمها تلك الدراسة الرائعة التي سكها باقتدار ورسمتها ببراعة ريشة الإمام جار الله الزمخشري. ثم سارت المحاولات تترى مروراً بالبيضاوي ثم الشهاب ثم الشيخ زاده ثم الغزنوي وآخرين هنا وهناك. وأولئك كلهم لم يدرسوا النص القرآني دراسة بلاغية مستقلة، وإنما جاءت ملاحظاتهم البلاغية مبثوثة في ثنايا تفسيرهم للقرآن. وهذا البحث المتواضع يزعم أنه يحاول إضافة قطرة زلال إلى هذا البحر البلاغي المتلاطم، فلعلها تكون قطرة غيث نافعة في هذا السياق.

ولتحقيق ذلك رأيت أن أتناول إحدى سور القرآن الكريم تناولاً بلاغياً للوقوف عند البيان القرآني الباهر الذي عبّرت به السورة عن موضوعها. وقد اخترتُ سورة (القيامة) لتكون ميدان هذه الدراسة التطبيقية.





اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

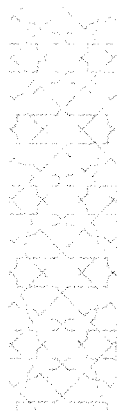
لا يشعر بحجم الانبهار الذي وقفه كفار قريش أمام الأسلوب القرآني إلا من استطاع أن يتلمس بعضاً من مواطن الإعجاز البلاغي في التعبير القرآني. والدرس البلاغي المعاصر حريٌّ به أن يمتح من هذا المعين العذب.

لقد كان من أجمل الرؤى البلاغية في تراثنا العربي تلك الرؤى التي قامت على أكتاف رجالات جنّدوا كتاباتهم لخدمة كتاب الله الخالد. وأهمها تلك الدراسة الرائعة التي سكها باقتدار ورسمتها ببراعة ريشة الإمام جار الله الزمخشري. ثم سارت المحاولات تترى مروراً بالبيضاوي ثم الشهاب ثم الشيخ زاده ثم الغزنوي وآخرون هنا وهناك. وأولئك كلهم لم يدرسوا النص القرآني دراسة بلاغية مستقلة، وإنما جاءت ملاحظاتهم البلاغية مبثوثة في ثنايا تفسيرهم للقرآن. وهذا البحث المتواضع يزعم أنه يحاول إضافة قطرة زلال إلى هذا البحر البلاغي المتلاطم، فلعلها تكون قطرة غيث نافعة في هذا السياق.

ولتحقيق ذلك رأيت أن أتناول إحدى سور القرآن الكريم تناولاً بلاغياً للوقوف عند البيان القرآني الباهر الذي عبّرت به السورة عن موضوعها. وقد اخترتُ سورة (القيامة) لتكون ميدان هذه الدراسة التطبيقية.

وقد حرصتُ أثناء البحث على ما يلي:

- بدأت البحث بذكر موضوع السورة وخطوطها العريضة قبل الدخول إلى تحليل الآيات بلاغياً. وفي التحليل البلاغي حرصتُ على الوقوف عند الآيات مفردة، أو مجتمعة إذا كانت تشكّل وحدة معنوية شبه مستقلّة.
- قمت بتبيان معنى الآية أو الآيات قبل الحديث عن بلاغتها إلا في تلك الحالات التي يكون فيها المعنى واضحاً بيناً. ثمّ أَتْبَعْتُ ذلك بتناول وجوه البلاغة في الآية، مع محاولة التنبيه في تلك المواضع إلى الاسم البلاغي لتلك الأساليب، بذكر المصطلح البلاغي المعروف له عند البلاغيين.
- استعنت بكلام علماء التفسير من القدامى والمعاصرين في التعرّف إلى الوجوه البلاغية التي تضمنتها الآيات، واجتهدت في بعض المواضع في شرح كلامهم. كما حرصت في مواضع أخرى على الاجتهاد للوقوف على أسرار بلاغية لم يذكروها.



- حتى لا أُثقِل على القارئ أو أطيل في النقول والإحالة إلى كتب العلماء حرصتُ على دمج الكلام المنقول عن أولئك العلماء في نص واحد متماسك، بحيث يبدو للقارئ كأنه كلام متّصل، مع التزامي في كل ذلك بما تقضيه أصول التوثيق العلمي.

أولاً : موضوع السورة وخطوطها العريضة :

تجيء السور المكية ينتظم موضوعاتها في الغالب خيط رفيع يلتف حول المحور العقدي لتجليته وبيانه. والإيمان باليوم الآخر والبعث والجزاء أحد المعتقدات الرئيسة التي يلزم المسلم تصديقها والإيمان بها، وهو الموضوع الذي تتحدّث فيه سورة القيامة.

ويظهر الارتباط بين هذه السورة والسورة التي قبلها «سورة المدّثر» من حيث إن كلتيهما تضمّنت الحديث عن اليوم الآخر، ذلك «أن في آخر ما قبلها قوله: ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾ [1]. وفيها كثير من أحوال القيامة، فذكر هنا يوم القيامة وجملاً من أحوالها» [2].

والسورة التي بين أيدينا سورة مكية تحتشد آياتها للحديث عن يوم القيامة. فهي تبدأ في أولى آيتين منها بالحديث عن ذلك اليوم وبالحديث عن النفس الإنسانية، ولا يُكتفى بهذه الإشارة العابرة بل «يستطرد الحديث فيها متعلقاً بالنفس ومتعلقاً بالقيامة من المطلع إلى الختام، تزاوج بين النفس وبين القيامة حتى تنتهي» [3].

والحديث الذي أفضى إلى ذكر القيامة – كما سيأتي – هو إنكار المشركين ليوم البعث، إنكار أن يجمع الله العظام بعد أن تكون رميماً. ولذا جاء الرد القرآني مقرراً تلك الحقيقة عبر عدد من الآيات التي تجلّي تلك القضية وتوضّحها.

حيث تصف الآيات الأولى من السورة هول القيامة وشدة بأسائه، فيخسف القمر ويبرق البصر، فيبحث الإنسان عن مكان يفر إليه. ولكن هيهات فالمستقر والرجوع إلى الله ينبئه بأعماله، فلا تنفعه المعاريض والمعاذير وقد شهدت عليه نفسه.

وإذا كان الحديث هنا عن القيامة وأهوالها، فإن ها هنا تخويفاً وتحذيراً ضمنياً للإنسان أن يدركه ذلك اليوم المهول وهو مصرّ على ضلاله وإنكاره وتكذيبه. لهذا ينتقل الحديث في الآيات التالية إلى إيثار الإنسان العاجل ونسيان الموعود الآجل. فتذكر الآيات جزاء من ابتغى بعمله

---

(١) سورة المدثر ٥٣ – ٥٤.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، المكتبة التجارية، مكة، د.ت ١٠/ ٣٤٣.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار العلم، جدة، ١٤٠٦/ ١٩٨٦، ٦/ ٣٧٦٦.

وجه الله، وتعرض عقوبة من لم تجاوز نظرته حدود حياته الدنيا. وفي هذا السياق يأتي الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم الاستعجال في تلقي الوحي، فجمع القرآن وحفظه أمرٌ قد تكفل الله به.

وهذا يعني أنه إذا كانت الآيات الأولى قد قررت حقيقة يوم القيامة وجلّتها لمن لا يعلمها أو يتجاهلها، فإن الآيات التالية تأتي لتوضّح الجزاء الذي أعده الله لمن صدّق بتلك الحقيقة وعمل للآجل الذي ادخره الله للمؤمنين، وعقوبة من كذب فعمل لحياته العاجلة.

ثم تتحدث الآيات فيما بعدُ عن جانبين متقابلين : أحدهما، جانب الموت ومفارقة الحياة الدنيا يوم تبلغ الروح الحلقوم ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾[1]. والآخر: جانب النشأة الأولى التي خُلق فيها الإنسان من العدم: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾[2]. فهنا حديث عن نهاية حياة الإنسان وبدايتها، نهايتها بالموت وبدايتها بالولادة. ويأتي ارتباط هذه الآيات بموضوع السورة من حيث تأكيده على أن مَنْ بدأ الخلق، وأعطى الحياة وسلبها قادر على إعادة البعث بعد الموت. ولهذا تنتهي السورة بتساؤل مدوٍّ مفاده: أيعجز من هو قادر على سلب الإنسان حياته، ومن هو قادر على إنشائه بعد أن كان عدماً، أيعجز من هو قادر على ذلك عن إعادة بعثه وجمع عظامه؟!.

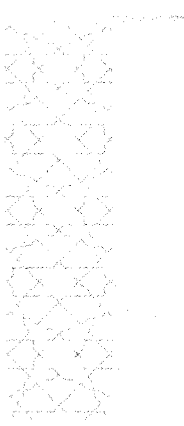
وبهذا يتّضح كيف أن الآيات تصبّ جميعها في إثبات قضية البعث وحقيقة يوم القيامة. وكل آيةٍ منها تُسلِم إلى جارتها، وتُفضي إليها عبر تسلسل منطقي، يمكن للذهن تتبّعه وملاحقته. فجميع آيات السورة تصب في موضوعها الرئيس، وتجليه أشد جلاء. غير أن ما يبدو للوهلة الأولى بعيداً عن جو السورة وموضوعها هو قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾[3].

فهذه الآية وما بعدها تبدو وكأنها بعيدة عن جو السورة وموضوعها، ولكن الواقع أنها شديدة الارتباط بهما. وهو ما سيتم بيانه أثناء الحديث التفصيلي عن الآيات.

ثانياً: التحليل البلاغي لآيات السورة :

تبدأ آيات السورة بقوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾[4]، وتختلف آراء المفسرين حول توجيه دخول «لا» على القسم. وأفضل ما يقال فيها مايذكره العلماء من أنها نافية تفيد تأكيد القسم.

(١) سورة القيامة، ٢٦.
(٢) سورة القيامة، ٣٧.
(٣) سورة القيامة، ١٦.
(٤) سورة القيامة، ١.



إذ «الوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاماً له، يدلك عليه قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾[1]، فكأنه بإدخال حرف النفي يقول إنّ إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك[2]. » ذلك أن »إنشاء القسم يتضمن الإخبار عن تعظيم المقسَم به. فهو نفي لذلك الخبر الضمني على سبيل الكناية. والمراد أنه – أي المقسَم به – لا يَعْظُم بالقسم لأنه في نفسه عظيم أُقسِم به أو لا»[3]. ذلك أن القسم يفيد تعظيم المقسم به عادة، ولكن هذه الصياغة تشير إلى عظم المقسم به في ذاته، حتى كأنه لا حاجة لأن يقسم به لتعظيمه. والآية بهذا تشير إلى أن يوم القيامة لا يُفترَض أن يُقسَم به، ولا يحتاج لذلك، لأنه من الأمور البدهية التي لا يحتاج المتحدّث عنها إلى تأكيد وقوعها بالقسم أو نحوه.

ومن الكلام السابق يظهر أن في الآية خبراً خرج إلى الإنشاء، حيث دلّ على القسم، كما أن في كون القسم بيوم القيامة براعة استهلال؛ لأن غرض السورة وصف يوم القيامة[4].

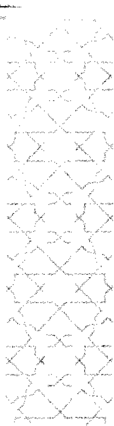
ثم يقول جلّ وعلا مستعملاً ذات الأسلوب: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[5]، فهنا أيضاً خبرٌ خرج إلى القسم، حيث يُقسِم تعالى بالنفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفعل المنكرات[6]. ولابد من تساؤل هنا عن مناسبة الجمع بين يوم القيامة والنفس اللوامة في سياق واحد حتى أقسم الله بهما معاً. فيذكر البيضاوي أن المراد من هذا الجمع مجازاة تلك النفس التي عملت ليوم القيامة[7]. ذلك أن المقصود من البعث وإقامة القيامة مجازاة تلك النفوس، وتمييز المطيعة من العاصية منها[8].

ولعلّ فيه أيضاً تنبيهاً على أن النفس الغافلة اللاهية لا يمكنها أن تتذكّر يوم القيامة، ولكن النفس اللوامة التي تُكثِر من محاسبة نفسها هي التي تعلم وتعمل ليوم القيامة.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾[9] المراد بالإنسان الجنس والهمزة للإنكار[10]،

---

(١) سورة الواقعة، ٧٥، ٧٦.
(٢) الكشاف، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، ٤/ ٦٥٩، ٦٦٠ وانظر: تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ٥/ ٤١٩.
(٣) روح المعاني، الألوسي، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٩/ ١٣٦.
(٤) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ٢٩/ ٣٣٧، ٣٣٨.
(٥) سورة القيامة، ٢.
(٦) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، جزء تبارك / ص ٧٥.
(٧) انظر: تفسير البيضاوي، ٥/ ٤١٩.
(٨) انظر: حاشية محيي الدين الشيخ زاده على البيضاوي، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا، ٤/ ٥٧٨.
(٩) سورة القيامة، ٣.
(١٠) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ، دار إحياء التراث، بيروت، ٥/ ٣٣٦.



وبهذا يصبح في الآية مجاز مرسل، حيث أطلق الكل وهو يريد البعض، حيث إن فيهم من يحسبُ ذلك، وهو ما يدلّ عليه سبب نزول الآية، حيث يذكر الإمام الواحدي أن عدي بن أبي ربيعة أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: حدثني عن يوم القيامة؟. فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. فقال: أوَ يجمع الله هذه العظام؟! فأنزل الله تعالى آية: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾[1].

وجواب القسم هو ما يدل عليه هذا الكلام، حيث أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة «ليجمعن العظام للبعث» فهذا جواب القسم، والمعنى أن الله سبحانه يبعث جميع أجزاء الإنسان وإنما خص العظام لأنها قالب الخلق[2]، وعلى هذا يصبح في استعمال (العظام) مجاز مرسل، أطلق الجزء وأراد الكلّ.

وتلك كانت مشكلة في عقولهم، أنها لا تتصوّر إمكانية جمع العظام البالية. فيردّ عليهم القرآن رداً قاطعاً: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾[3].

وتعبير القرآن بـ (البنان) إما أن يراد بـ«البنان» الحقيقة أو المجاز. فإذا كان المقصود هو حقيقة البنان، فإن التركيب (نسوّي بنانه) يعدّ كناية عن صفة، ذلك أن تعبير القرآن بتسوية البنان وتركيبه -كما يقول الأستاذ سيد قطب- كناية عن إعادة التكوين الإنساني بأدق مافيه، وإكماله بحيث لا تضيع منه بنان، ولا تختل عن مكانها. بل تسوى تسوية لا ينقص معها عضو ولا شكله مهما صغر أو دقّ[4].

ولهذا جاء تخصيص البنان بالذكر، لتشير الآية بذلك إلى «بصمة الأصابع التي يتميّز بها الإنسان عن كل إنسان سواه، إذ أن الله تعالى ليس بقادر على إعادة خلق الإنسان وحسب، بل إنه قادر حتى على تسوية بنانه الذي يتفرّد به عن آلاف الملايين، بل عن الناس أجمعين[5]».

إن البنان يدلّ على دقةٍ في الخلق يراها الإنسان ويُبصرها في تلك الخطوط الرفيعة التي في باطن أصابعه، وبهذا فالآية تشير إلى أن الله ليس قادراً على جمع العظام فحسب، بل هو -سبحانه- قادرٌ على إعادة خلق الإنسان بكل التفاصيل الدقيقة الصغيرة، بما في ذلك الخطوط الرفيعة في باطن يديه.

وقد يكون لفظ «البنان» مراداً به المجاز، بحيث يكون البنان هنا مجازاً مرسل، أطلق فيه الجزء مع إرادة الكلّ، أي: قادرين على خلق جسم الإنسان كله. قال الإمام البيضاوي: «قادرين

(١) انظر: أسباب النزول، الواحدي، عالم الكتب، بيروت، ص٣٣١.
(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٦٣٣.
(٣) سورة القيامة، ٤.
(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٨٦٧٣.
(٥) أسرار خلق الإنسان، د.داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ ط٣، ص٢١٠.

على أن نسوّي بنانه: بجمع سلامياته وضمّ بعضها إلى بعض، كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام[1]». وهذا هو الصحيح والله أعلم.

ثم يُضربُ السياق القرآني عما سبق من حديث لتقرير أمر آخر، فيقول تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾[2].

أي أن الإنسان يريد مداومة الفجور في مستقبل أيامه، فلا يترك المعاصي ولا يتوب عنها[3] وفي الآية وضع الاسم الظاهر «الإنسان» موضع الضمير لغرضٍ بلاغي، ذلك أن في «إعادة المظهر – أي الإنسان – ما لا يخفى من التهديد، ونعي قبيح ما ارتكبه، وأن الإنسانية تأباه»[4].

ثم يقول تعالى: ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾[5]، وقد فصَلَ الآية عن الآية السابقة لأنها «استئناف أو حال أو تفسير لقوله "يفجر"، أو بدلٌ منه والاستئناف بياني، كأنه قيل: "لم يريد الدوام على الفجور؟" قيل: "لأنه أنكر البعث واستهزأ به"»[6].

وفي هذه الآية يسأل الكافر هذا السؤال «أيان يوم القيامة؟»، لا على سبيل الاستفهام الحقيقي أو السؤال المجرّد، وإنما على سبيل الاستبعاد: استبعاده حصول ذلك.

إلا أن النظم القرآني يعدل إلى الأسلوب الحكيم، كأنه حمل كلامهم على خلاف الاستهزاء[7]. حيث ينتقل إلى وصف أهوال ذلك اليوم، يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ ﴾[8].

إذا برق البصر واندهش وتحير لما يرى، أي: «تحيّر فزعاً، من بَرِقَ الرجلُ إذا نظر إلى البرق»[9]، والأصل في هذا أن يكثر الإنسان من النظر إلى لمعان البرق، فيؤثر ذلك في ناظره ثم استعمل ذلك في كل حيرة وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق كما قالوا قمر بصره إذا فسد من النظر إلى القمر، وبهذا فهو كناية عن الذهول والحيرة[10].

وخسف القمر فأظلم وبهت ضوءه، وجُمِع الشمس والقمر فتلاشى نورهما. وقد جاء الفعلُ مذكّرا لأنه متقدّم، إذ يجوز فيه التذكير والتأنيث إذا تقدّم، ولتغليب المذكور الآخر

---

(١) تفسير البيضاوي ٥ / ٤٢٠.
(٢) سورة القيامة، ٥.
(٣) انظر: تفسير الخازن وبهامشه البغوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ٦ / ١٥٢.
(٤) حاشية الشهاب على البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧/ ١٩٩٧، ٩/ ٣٤٠.
(٥) سورة القيامة، ٦.
(٦) حاشية الشهاب، ٩/ ٣٤٠.
(٧) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ٣٤٤.
(٨) سورة القيامة، ٧ – ١٠.
(٩) تفسير الكشاف ٤/ ٦٦١.
(١٠) انظر: التفسير الكبير، الإمام الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٣٠/ ٩٣.

«القمر» المعطوف على نائب الفاعل[1]. في ذلك اليوم يبحث الإنسان عن المفر والمهرب ولكن هيهات.

ويُلحظ استخدام الأسلوب القرآني تناسب الفواصل في هذه الآيات. كما يلحظ البعد بين الشرط وجوابه، ومجيء الشرط أكثر من جملة كل منها تعمّق سابقتها، لتطويل الشرط من أجل تشويق السامع واستثارة ذهنه وتهيئته لسماع جواب الشرط الذي سيترتب على هذه الأحداث المهولة.

ويلحظ كذلك حذف الفاعل في الآيات التي تتكلم عن يوم القيامة إما على سبيل بناء للمفعول أو الإسناد المجازي. وتلك ظاهرة أسلوبية مطّردة « قلّ أن نخطئها في الحديث عن اليوم الآخر، وهي أن القرآن يصرف الحدث عن محدثه فلا يسنده إليه . وإنما يأتي به مبنياً للمجهول أو مسنداً إلى غير فاعله على المجاز أو المطاوعة » [2]. ففي «البناء للمجهول تركيز للاهتمام بالحدث بصرف النظر عن محدثه، وفي الإسناد المجازي أو المطاوعة تقرير لوقوع الأحداث في طواعية تلقائية، إذ الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخير، والأحداث تقع تلقائياً لا تحتاج إلى أمر أو فاعل»[3].

عندها سيتساءل الكافر: «أين المفرّ؟»، بهذا الاستفهام الذي يحتمل السؤال الحقيقي والمجازي، فإذا كان مجازياً فهو دليل على يأسه من الفرار، فهو من باب « قول الآيس، لعلمه بأنه لا فرار حينئذ. وحمله على حقيقته على توهّمه ذلك لدهشته »[4].

ويَرُدُّ السياقُ القرآني على هذا التساؤل بقوله:﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾[5]. بهذه الكلمة: كلا!، كلمة ردع في طلب المفر وتمنيه، فـ« لا وزر» أي لا ملجأ يُتخلّص به من هذا اليوم[6]، وهو « مستعار من الجبل، واشتقاقه من الوزر وهو الثقل»[7]. فالمستقر يومئذ إلى الله تعالى. وتقديم الجار والمجرور « إلى ربك » للاختصاص[8]. أي لا مستقر في ذلك اليوم إلا إلى الله. وفي إضافة «رب» إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم إيماء إلى أنه ناصره يومئذ بالانتقام من الذين لم يقبلوا دعوته[9].

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي ٥ / ٤٢٠.
(٢) التفسير البياني للقرآن، د.عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، القاهرة، ١/ ٨٠.
(٣) التفسير البياني للقرآن، ١/٨١.
(٤) حاشية الشهاب ٩/ ٣٤٢.
(٥) سورة القيامة، ١١– ١٢.
(٦) انظر: تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث، بيروت، ٨ / ٣٢٨.
(٧) تفسير البيضاوي ٥/٤٢١.
(٨) انظر: حاشية الشيخ زاده، ٤/٥٨٠.
(٩) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ٣٤٦.

ثم يقول تعالى: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [١]، في ذلك اليوم يُخبَر الإنسان بكل ما قدم وأخر، يُخبر عن جميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها[٢]. ويخبر بما قدمه في حياته من الخير والشر، وبما أخر بعد موته من سنة سنها أو سيئة ابتدعها[٣]. وإنباء الإنسان بما قدم وأخّر كناية عن مجازاته على ما فعله إن خيراً فخير وإن شراً فشر[٤].

وتؤكّد الآية على أن هذا الإنباء يشمل كلّ ما فعله الإنسان، ولهذا يأتي التعريف بالاسم الموصول «ما» للدلالة على العموم، ويُستعمَل الطباق «قدّم» و«أخّر» لشمول جميع أعماله التي عمِلها في حياته من بدايتها إلى نهايتها، ويُحذَف المفعول من الفعلين: «قدّم وأخّر» ليعمّ كلّ فعلِ خيرٍ أو شرٍّ عمِله الإنسان.

ثم يقول تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [٥]، حيث يكون الإنسان هو نفسه بصيراً على نفسه، أي أن جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه[٦]. والوصف بالبصارة مجاز بناء على هذا التفسير، والتاء في «بصيرة» للمبالغة. وتفيد «بل» الترقي، أي أن الإنسان ينبأ بأعماله، بل هو يومئذ عالم بتفاصيل حاله شاهد على نفسه[٧].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [٨] أي: ولو اعتذر وجادل عن نفسه[٩]. وهذه الآية تأكيد لما يفهم من مجموع قوله تعالى: ينبأ الإنسان..[١٠]. ويلحظ في آيات هذا المشهد أن كل شيء سريع قصير: الفقر – والإيقاع – والفواصل – والمشاهد الخاطفة، وكذلك عملية الحساب «ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر» هكذا في سرعة وإجمال؛ ذلك أنه ردٌّ على استطالة الأمد والاستخفاف بيوم الحساب[١١].

ثم تُخاطِبُ الآياتِ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [١٢].

---

(١) سورة القيامة، ١٣.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ٤/ ٤٤٩.
(٣) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، طبعة خاصة بالمؤلف، ١٤١٤/١٩٩٣، ٥/٤٧٦.
(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ٣٤٧.
(٥) سورة القيامة، ١٤.
(٦) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل الطبرسي، دار مكتبة الحياة، ١٣٨٠/١٩٦١، ٢٥/ ١٢٧.
(٧) انظر: تفسير أبي السعود ٧/ ٦٦.
(٨) سورة القيامة، ١٥.
(٩) انظر: تفسير الثعالبي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٠/ ٨٦.
(١٠) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٢٩/١٤١.
(١١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٧٦٩.
(١٢) سورة القيامة، ١٦– ١٩.

وفي سبب نزول هذه الآيات يذكر الإمام السيوطي ما ينسبه إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه يريد أن يحفظه، فأنزل الله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾[1].

إن هذه الآيات تبدأ بتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم إعنات نفسه في شأن الوحي وتلقي هذا القرآن، وفي هذا دلالة على أنه لشدة حرص الرسول على استيعاب ما يوحى إليه، كان يحرك لسانه عند الوحي فنهي عن ذلك[2].

ولا بد من سؤال يطرح عن الصلة بين هذا التوجيه للرسول وبين الحديث عن يوم القيامة. يحاول أبو حيان في البحر المحيط أن يلتمّس الرابطة بين هذه الآيات وما قبلها. حيث يقول بأنه تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضاً عن آيات الله تعالى ومعجزاته وأنه قاصر شهوته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه، ذكر حال من يثابر على تعلم آيات الله وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها، فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها[3].

ويحاول الإمام الزمخشري ربط هذا المقطع بما بعده، حيث يذهب إلى أن الارتباط يجيء من جهة هذا التخلص منه إلى التوبيخ بحب العاجلة – في الآيات التي تلي هذا المشهد – وترك الاهتمام بالآخرة[4]. فهذا النهي عن التعجّل في الحفظ –في نظره– هو مدخل إلى النهي عن حبّ العاجلة.

ويعدّ الإمام البيضاوي هذا النهيَ اعتراضاً بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة، لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين، فكيف بها في غيره[5].

وهو ما يومئ إليه الإمام ابن حجر في فتح الباري عندما يلتمس الرابط بين هذا المقطع وغرض السورة ككل؛ ذلك أنه تعالى لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حبّ العاجلة، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبّه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجلُّ منه وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهّم ما يرد منه. والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك فأمر أن لا يبادر إلى التحفظ لأن تحفيظه مضمون على ربه، وليصغ إلى

(١) انظر: لباب النقول، جلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٢٤.
(٢) انظر: أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، طبع رئاسة البحوث والإفتاء، الرياض، ١٤٠٣– ١٩٨٣، ٨/ ٦٢٩.
(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٠/ ٣٥٠.
(٤) انظر: الكشاف، ٤/ ١٦٥.
(٥) انظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٤٢٢.

ما يَرِد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه[1].

وكأن ابن حجر يريد أن يقول إنه لما ذكرت القيامة وأن دافع من لم يعمل لها استعجال الطيبات في الدنيا وغفلة منه عن يوم القيامة، فكذلك كان تحريك الرسول للسانه استعجالاً منه على حفظه وغفلة منه عما يتوجب عليه من الفهم والإصغاء. فلما ذكر أن التشاغل بالدنيا عن القيامة نابع من محبة العاجل على الآجل، ناسب أن يذكر أن تشاغل الرسول بتحريك لسانه تشاغل منه بالحفظ العاجل عن الفهم والإصغاء.

والنهي للرسول بعدم تحريك اللسان نهي رحمة وشفقة لما كان يلاقيه في ذلك من الشدة[2]. والتقديم في الجار والمجرور «به» للاهتمام بشأن الكتاب، وجاز إضماره وإن لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه[3]. وكذلك التقديم في «علينا» إنما هو للاختصاص في الآيتين «إن علينا جمعه»، و« إن علينا بيانه».

وفصَل جملة «إن علينا جمعه وقرآنه» لأنها تعليلٌ للنهي[4].

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾، أي قرأناه بلسان جبريل عليك[5]، وعلى هذا يكون الإسناد مجازياً هنا[6]. حيث أسند القراءة إلى الآمِر بها وسببها وهو الله جلّ جلاله.

ثم يرجع السياق القرآني إلى ذكر ما كان عليه من الحديث، فيذكر حبهم للعاجلة وتركهم الآخرة، يقول تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾[7]. والخطاب هنا إما أن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ردعاً عن عادة العجلة، أو للإنسان عن الاغترار بالعاجلة، وتعميم الخطاب إشعار بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال[8]. وكونه للإنسان أولى. وهذا الكلام يشعر بالتوبيخ ، ومناط التوبيخ هو حب العاجلة مع نبذ الآخرة. كما أن فيه التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب في موعظة المشركين، مواجهة لهم بالتقريع لأن ذلك أبلغ فيه[9].

ثم يصف بعد هذا ما يكون يوم القيامة من انقسام الخلق فريقين وجزاء كل فريق[10].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تبويب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ٨ / ٦٨٠.
(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩ / ٣٥٠.
(٣) انظر: حاشية الشيخ زاده ٤ /٥٨١.
(٤) انظر: تفسير البيضاوي ٥ / ٤٢٢.
(٥) انظر: تفسير البيضاوي ٥ / ٤٢٢.
(٦) حاشية الشهاب ٩ /٣٤٣ .
(٧) سورة القيامة، ٢٠ -٢١.
(٨) انظر: تفسير البيضاوي ٥ / ٤٢٢.
(٩) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩ /٣٥١.
(١٠) انظر: تجريد البيان، عبد الله إبراهيم الأنصاري، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢ /٨٠١.

يقول تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾[1]، فوجوه تكسوها النضارة والبهاء، والنضرة كناية عن البهجة والمسرّة، وتعبير عما هي فيه من النعمة[2].

واختلف المفسرون في تقديم المعمول في قوله «إلى ربها ناظرة» أهو للاختصاص أم للاهتمام. حيث يذهب الإمام البيضاوي إلى دلالته على الاختصاص، يقول: «مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه، ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره»[3].

وذهب بعض المعاصرين إلى أنه للاهتمام بهذا العطاء العجيب وليس للاختصاص؛ لأنهم يرون بهجات كثيرة في الجنة. وجعل الوجوه تنظر إلى الله إعلان بتشريف تلك الوجوه أنها تنظر إلى جانب الله نظراً خاصاً لا يشاركها فيه من هو دون رتبهم[4].

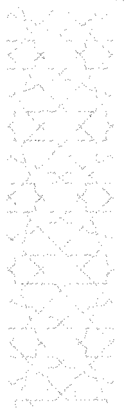
والصحيح ما رآه البيضاوي، حيث يشير في كلامه إلى دلالته على قصْرِهم أنظارَهم على الله تعالى، ولكن ليس في جميع الأوقات، وإنما في وقت النظر إليه جل جلاله فقط. وهو ما لم يدركه الباحث المعاصر الذي ظنّ أن المقصود هو قصر نظرهم على الله تعالى في كل الأوقات، وليس الأمر كذلك.

وفي مقابل هذه الوجوه المبتهجة التي تنظر إلى ربها عياناً بلا حجاب، توجد وجوه أخرى باسرة شديدة العبوس، تظنّ أن يُفعل بها فاقرة، أي: «تعلم أنه يفعل بها داهية والفاقرة الداهية»[5]. وفي هذا مقابلة بين حال المؤمنين والكافرين يوم القيامة. ويُلحظ دقة اختيار اللفظ في قوله: «وجوه يومئذ باسرة»، فلم يقل: «باسلة»، لأن «باسل» أبلغ في التعبير من «باسر»؛ وقد غلب إطلاقه على الشجاع، فعدل عن الأبلغ لإيهامه غير المراد[6]. وتنكير «وجوه» في الآية للتنويع والتقسيم.

ثم يقول تعالى: ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) ﴾، ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) ﴾ ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) ﴾ تبدأ هذه الآيات بـ: «كلا»، وهي ردع صريح للإنسان في إيثاره العاجلة على الآخرة. إن هذه الكلمة بمثابة صرخة تحذير تقول للناس: ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت[7]. ثم

---

(١) سورة القيامة، ٢٢ – ٢٥.
(٢) انظر: الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣، ٨/ ٣٤٩.
(٣) تفسير البيضاوي ٥/ ٤٢٣.
(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/ ٣٥٢.
(٥) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ ٢٩/ ١٩٤.
(٦) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٢٩/ ١٤٦.
(٧) انظر: تفسير أبي السعود، ٧/ ٦٨.



يضمر السياق القرآني لفظ «النفس» حين يتحدث عن بلوغها أعالي الصدر ساعة الاحتضار، وذلك لدلالة الكلام عليها. وفي قوله «بلغت التراقي» كناية عن الإشفاء على الموت[1].

وفي قوله «مَنْ راق؟» استفهام، وهذا «الاستفهام يحتمل أن يكون بمعنى الطلب كأنهم طلبوا له طبيباً يشفيه وراقياً يرقيه، ويحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى الإنكار، كما يقول القائل عند اليأس من الذي يقدر أن يرقي هذا الإنسان المشرف على الموت»[2].

ثم يقول تعالى: «وظنّ أنه الفراق»، عبّر النظم القرآني بـ (الظنّ)، وقد «سُمّي اليقين ههنا بالظن لأن الإنسان ما دام يبقى روحه متعلقاً ببدنه فإنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة على ما قال: (كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)، ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة، أو لعله سماه بالظن على سبيل التهكم»[3].

وفي قوله تعالى: (والتفّت الساق بالساق) يُحتمَل أن تكون الآية كناية عن الشدة والكرب، أو أنها تصف التفافاً حقيقياً للساقين عند الموت. يقول الإمام الرازي:

"وفي الساق قولان القول الأول أنه الأمر الشديد قال أهل المعاني لأن الإنسان إذا دهمته شدة شمّر لها عن ساقه، فقيل للأمر الشديد "ساق"، وتقول العرب: "قامت الحرب على ساق" أي: اشتدت.... والمراد بقوله: (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) أي التفت شدة مفارقة الدنيا ولذاتها وشدة الذهاب، أو التفت شدة ترك الأهل وترك الولد وترك المال وترك الجاه وشدة شماتة الأعداء وغم الأولياء وبالجملة فالشدائد هناك كثيرة كشدة الذهاب إلى الآخرة والقدوم على الله، أو التفت شدة ترك الأحباب والأولياء وشدة الذهاب إلى دار الغربة. والقول الثاني: أن المراد من الساق هذا العضو المخصوص، ثم ذكروا على هذا القول وجوهاً (أحدها) قال الشعبي وقتادة هما ساقاه عند الموت أما رأيته في النزع كيف يضرب بإحدى رجليه على الأخرى (والثاني) قال الحسن وسعيد بن المسيب هما ساقاه إذا التفتا في الكفن (والثالث) أنه إذا مات يبست ساقاه والتصقت إحداهما بالأخرى"[4].

ويُلحَظ في هذه الآيات التصوير القرآني البديع لحالة الموت ووصف أدق لحظاته وأبرز أبعاده في الداخل والخارج. تصوير للحالة النفسية التي عليها المحتضر. اليقين والظن الأكيد بالفراق والمغادرة. اليأس الكاتم على أنفاسه، هذه صورته من داخل نفسه. وتصوير لهيئته الخارجية،

(١) انظر: التفسير المنير، د.وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٠٩هـ ٢٩/ ٢٧٠.
(٢) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٠٤.
(٣) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٠٤، ٢٠٥.
(٤) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٠٥.

هيئته الجسمية.تلتف الساق على الساق وتعتصره كرب الموت وسكراته. تصوير للذهول والفزع الذي يخبط فيه أهل المحتضر في بحث دائب وتساؤلات حيرى وتشبث بأوهى الأسباب. كل هذا بأوجز العبارات وأقصر الألفاظ.

وجواب «إذا» في جملة الشرط محذوف، تقديره: وجد ما عمله في الدنيا من خير أو شر[1]. ويمكن أن يقال عن غرض الحذف هنا إنه ينطبق عليه ما يذكره الخطيب القزويني في حذف جواب الشرط من أن ذلك للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه[2]. أي أن هذا الحذف يأتي لزيادة تهويل تلك اللحظات وذلك اليوم.

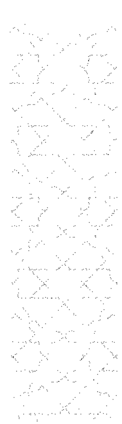
ثم يقول تعالى بعد ذلك: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾[3]. يصف النظم القرآني في هذه الآيات حال الكافر يوم أن يساق إلى الله تعالى، وهو لم يصدّق ولم يصلّ في حياته الدنيا، بل كذب وأعرض عن الطاعة، يتبختر في مشيته.

وفي الآيتين إيجاز بحذف المتعلّقات، أي: فلا صدّق ما يجب تصديقه، أو فلا صدق ماله أي لم يدفع زكاته، ولا صلى ما فرض عليه، ولكن كذب وتولى عن الطاعة[4].

وفي قوله «يتمطّى» كناية عن التبختر. قال الإمام البيضاوي: «ثم ذهب إلى أهله يتمطّى»: يتبختر افتخارا بذلك من المطّ، فإن المتبختر يمد خطاه، فيكون أصله «يتمطط»[5]. وبهذا القول يظهر العدول في الآية عن أصل كلمة «يتمطط» إلى كلمة «يتمطى». وذلك لما يحققه صوت المد من تصوير لحالة التبختر التي يتمطى فيها الإنسان ويتميّع. هذا بالإضافة إلى تحقيق تناسب الفواصل بين الآية وما قبلها، والآية وما بعدها.

ثم يأتي قول الله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾[6]، وهي آية يذكر السيوطي في سبب نزولها عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنه لما نزلت آية ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾[7] قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم يخبركم ابن أبي كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٠/ ٣٥٢.
(٢) انظر: الإيضاح، الخطيب القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ص ١٧٩.
(٣) سورة القيامة ٣١ – ٣٣.
(٤) انظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٤٢٤.
(٥) انظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٤٢٤.
(٦) سورة القيامة ٣٤ – ٣٥.
(٧) سورة المدثر، ٣٠.



وأنتم ألدّهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟. فأوحى الله لرسوله أن يأتي أبا جهل فيقول له: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى»[1].

وهذه الآيات تهديد من الله للكافر عموماً، ولأبي جهل خصوصاً. ويأتي التهديد مستفاداً من تكرير القرآن للّفظة التي تدل على التهديد مرتين، وهي قوله: «أولى لك فأولى». «وقيل بل كررها أربع مرات، فإن قوله «أولى» تامّ في الذم. بدليل قوله:﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[2]. فإن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أنه للتهديد»[3].

ثم يقول تعالى:﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[4].

إن هذه الآيات تأتي بعد أن وصف القرآن فيما مر ساعة الاحتضار والموت، حيث الإقبال على الآخرة، فينتقل الحديث بهذه الآيات إلى الجهة المقابلة وهي ساعة الولادة حيث الدخول إلى عالم الدنيا. يتحدث القرآن عن الإنسان يوم كان نطفة من مني يمنى عبر عدد من الاستفهامات تتتابع، ابتداء بالاستفهام الإنكاري: «أيحسب الإنسان أن يترك سدى؟»، ومروراً بالاستفهام التقريري: «ألم يك نطفة من مني يمنى؟». وانتهاء بآخر الاستفهامات: «أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟». وكل هذه الاستفهامات تنفي أن يُترَك الإنسان «هملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يحاسب ولايعاقب»[5]. وذلك للتأكيد على إثبات حقيقة البعث والجزاء يوم القيامة.

وفي قوله تعالى: «ثم كان علقة فخلق فسوّى» حُذِف المفعول به في: «خلق» و«سوّى». والمعنى: أي كان علقة ثم مضغة ثم شكّل ونفخ فيه الروح، فصار خلقا آخر سويا سليم الأعضاء ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره[6]. وتقدير الكلام: كان نطفة ثم علقة ثم سواه بشرا سويا ناطقا سميعا بصيرا[7].

إن القرآن هنا يقرّر حقيقة النشأة الإنسانية يوم كان نطفة من ماء مهين، ثم علقة أي قطعة من دم غليظ، ثم خلقه الله في أجمل صورة فجعله صنفين: الذكر والأنثى. هذا هو أصل الإنسان وتركيبه، وهذا التذكير بهذا الأصل لبيان ضعف الإنسان وحقارة حاله، لأجل أن

---

(١) انظر: لباب النقول، السيوطي، ص٢٢٥.
(٢) سورة محمد، ٢٠. وتمام الآية: (فَأَوْلَىٰ لَهُمْ. طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ..).
(٣) أسرار التكرار في القرآن، محمد بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، مصر، ص ٢١٢.
(٤) سورة القيامة ٣٦ – ٤٠.
(٥) فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٣٤٢.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري ٢٩/ ٢٠١.

يخلّص من ذلك إلى هذا التساؤل الحادّ: كيف يليق بمثل هذا الضعيف أن يتكبر على طاعة الله. هذا هو الغرض الأول الذي أراده القرآن لذكر أصل النشأة والله أعلم.

أما الغرض الثاني فتنص عليه الآية الأخيرة عبر تساؤلها الاستنكاري: «أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟!!». أي أليس من أنشأ الإنسان في أحسن صورة – بعد أن كان مهين الأصل حقير النشأة، وبعد أن كان عدماً لاوجود له – قادراً على إعادته ثانية؟.

هكذا تنتهي السورة بهذا التساؤل المدوي الذي سار فيه الأسلوب القرآني متدرّجاً بما لا يماري فيه أحد، حتى وصل إلى طرح هذا السؤال الأخير، ليترك الفرصة لمن كان له قلب أن يعيد النظر في أصل خلقته، فيتفكر أوَ عبثاً يمكن أن يكون كل هذا؟. أم أن وراء الحياة حياة أخرى؟!!.

ثالثاً : الظواهر التعبيرية في الآيات:

يظهر في آيات السورة ظواهر تعبيرية تكرّرت أكثر من مرة، وسأقف في هذه السطور عند بعض تلك الظواهر محاولاً الكشف عن قيمتها البلاغية. وتلك أبرزها:

– تلجأ الآيات إلى الصورة الكلية التي تتضمّن عدداً من الجمل تشكّل في مجموعها صورة يتأمّلها الخيال ويرتسم في الذهن بعض ملامحها. ويظهر هذا النوع من الصور في ثلاثة مواضع من السورة. الموضع الأول هو وصف ما يحصل في الكون عند قيام الساعة في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ ﴾[1]. حيث تُصوّر الآيات حال البصر وهو يبرق حيرة وفزعاً مما يحدُث في الكون، وصورة القمر وقد خسف واجتمع مع الشمس، ثم ردّ فعل الإنسان على هذه التغيّرات حيث يُصاب بحالٍ من الرعب والخوف أن يصيبه البلاء والأذى، فيصرخ: أين المفر؟.

والموضع الثاني قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، حيث تصوّر الآيات وجوه المؤمنين وقد علاها النضرة والبهاء والجمال، وهي تستمتع بلقاء ربها والنظر إليه، ووجوه الكافرين وهي في غاية العبوس، واليقين مما ينتظرها من آلام وعذاب.

والموضع الثالث قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾ ، حيث تُصوّر هذه الآيات حال الإنسان عند احتضاره، حيث تبلغ الروح الحلقوم، ولا ينجيه من الموت راق ولا غيره، وقد التفّت الساق بالساق من شدة ما يعاني من سكرات الموت.

---

(١) الآية : ٧ – ١٠.

(٢) الآيات ٢٢ – ٢٥.

إن تأمّل هذه المواضع يكشف كيف أنها تتضمن ترغيباً أو ترهيباً، ترغيباً بحال المتّقين، وترهيباً من أهوال القيامة ولحظة الاحتضار وحال الكافرين، ولاشكّ أن الإنسان يكون أكثر امتثالاً وانقياداً واستجابة إذا كان الأمر المرغوب أو المرهوب مرئياً مشاهداً، ولهذا جاء التصوير القرآني هنا لإبراز هذه الأمور في عيني الإنسان كأنما يراها رأي العين، ليكون أكثر ارتداعاً واستعداداً واستجابة لما تتضمنه الآيات.

– تعتمد الآيات أيضاً على الاستفهام المجازي كثيراً، سواء أكان ذاك الاستفهام في كلام الله الخالق جلّ وعلا، أو في كلام الإنسان المخلوق. وهذه الاستفهامات في كلام الله جلّ وعلا تدور حول حال الإنسان منذ فترة الميلاد: «ألم يكُ نطفة من منيّ يمنى؟»، ومروراً بفترة البعث: «أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظامَه؟ – أليس ذلك بقادرٍ على أن يحيي الموتى؟»، وانتهاءً بفترة الحساب: «أيحسب الإنسان أن يُترك سُدى؟».

واستعمالها مع بدهية خلق الإنسان من نطفة، ثم مع البعث والحساب، يدلّ على أن ما استفهمت عنه الآيات هو من البدهيّات، البدهيات التي جاءت الأديان السماوية كلّها للتأكيد عليها، وهي ضرورة بعث الإنسان من قبره، ثم محاسبته على ما عمل، إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ.

كما أن هذه الاستفهامات المجازية جاءت أيضاً في كلام الإنسان لتكشف عن استكباره واستهتاره عندما يسأل في حياته الدنيا وفي حال القدرة والقوة والنشاط: (أيان يوم القيامة؟). ثم يأتي الاستفهام المجازي عند نزول الموت به والناس في فزَع يبحثون عن شفاء ودواء، فيسألون: (مَنْ راقٍ؟). ثم يومَ القيامة إذا انقلب الكونُ وتغيّرت مظاهره ونواميسه يصيبه الهلع والرعب فيتساءل: (أين المفر؟).

– يُلحظ في الآيات أيضاً تكرار بعض الألفاظ. فمثلاً لفظ (يوم القيامة) تكرّر أكثر من مرّة، إما بلفظه (مرّتين) كما في قوله تعالى: «لا أقسم بيوم القيامة»، وقوله: «يسأل أيان يوم القيامة»، أو بلفظ «يومئذ»، وقد ورَدت خمس مرات في الآيات التالية: «يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر» – «يُنبّأ الإنسانُ يومئذٍ بما قدّم وأخّر» – «وجوه يومئذ ناضرة» – «ووجوه يومئذ باسرة» – «إلى ربّك يومئذٍ المساق». وهذا التكرير يراد به التأكيد على حضور يوم القيامة وتصور أهواله حتى يتزلزل كيان السامع مع كل مرة يذكر فيها ذلك اليوم لعله يتّعظ أو يعتبر.

كما يَرِد لفظُ «الإنسان» في السورة ست مرّات، وذلك في الآيات التالية: «أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه» – «بل يريد الإنسان ليفجر أمامه» – «يقول الإنسان يومئذ أين المفر» – «ينبّأ الإنسان يومئد بما قدّم وأخّر» – «بل الإنسان على نفسه بصيرة» – «أيحسب الإنسان

أن يُترَك سُدى». وإذا كان تكرار لفظ القيامة صريحاً أو غير صريح لأنه موضوع السورة، فإن تكرار الإنسان يأتي لأنه هو الذي ينكر ذلك اليوم، ويكذّب وقوعه. ولهذا جاء الإسناد إليه صريحاً بلفظه الظاهر أكثر من مرة لتأكيد وقوع تلك الأشياء التي أشارت إليها الآيات مع ذلك الإنسان المستكبر المعاند.

- يُلحظ في الآيات أيضاً تغييب الفاعل كثيراً، إما بحذفه مع الفعل المبني للمعلوم، أو ببناء الفعل للمفعول. حيث يُحذَف الفاعل مع ما تحته خط في الآيات التالية: «كلاّ إذا بلغت التراقي - وقيلَ مَنْ راقٍ - وظنّ أنه الفراق - فلا صدّق ولا صلّى - ولكن كذّب وتولّى - ثم ذهب إلى أهله يتمطّى». ويأتي الحذفُ في هذه المواضع جميعاً، للتركيز على الفعل ذاته بغض النظر عن فاعله، فليس مهماً مَنْ يقع منه الحدث، بقدر الأهمية التي تريد الآيات من خلالها إبراز الحدث نفسه.

وقد يُحذَف الفاعل للعلم به، كما يظهر في الآيات التالية: «جُمِع الشمس والقمر - يُنبّأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر - فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى». فهذه الأفعال يُعرَف بأن فاعلها هو الله جلّ جلاله، فلم تحتجْ لذلك إلى ذكر الفاعل معها، فحذف الفاعل لتعيّنه وعدم احتمال غيره.

وكذلك حُذِف الفاعل في قوله تعالى: «تظنّ أن يُفعَل بها فاقرة». حيث استعملت الآيةُ الفعلَ المبني للمجهول: « يُفعَل »، وذلك جرياً على عادة الأسلوب القرآني في عدم إسناد المعاني السلبية إلى الله جل وعلا. وهو ما قرّره الإمام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: «لا يجيء في كلام الله ولا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم إضافة الشرّ وحده إلى الله، بل لا يُذكَر الشرّ إلا على ثلاثة وجوه: إما أن يدخل في عموم المخلوقات، وإما أن يضاف إلى السبب الفاعل، وإما أن يُحذَف فاعله»[1]. فالمعنى السلبيّ إما أن يأتي داخلاً في العموم، أو مسنداً إلى سببه على المجاز العقلي، أو محذوف الفاعل كما في قوله تعالى: «أن يُفعَل بها فاقرة»، فحذف الفاعل تأدّباً مع الله جلّ وعلا بعدم إسناد هذا الفعل إليه، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾[2]. حيث ذكر الفاعل مع الفعل الإيجابي (إرادة الرشد)، وحذفه مع الفعل السلبي (إرادة الشرّ).

- اعتمدت الآيات كثيراً على التقديم والتأخير، وهذا التقديم إما أن يكون للدلالة على الاختصاص كما في قوله تعالى: « إلى ربك يومئذ المستقر - إن علينا جمعه وقرآنه - إن علينا بيانه - إلى ربها ناظرة - إلى ربك يومئذ المساق». فهذه المواضع (التي تحتها خط) تدلّ على اختصاص المتقدّم بما بعدها.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ٨/ ٩٤.
(٢) سورة الجن، ١٠.

وإما أن يأتي التقديم لإبراز المقدّم والاعتناء بشأنه، وهو مايظهر فيما تحته خط في الآيات التالية: «يقول الإنسان يومئذ أين المفرّ - إلى ربك يومئذ المستقر- بل الإنسان على نفسه بصيرة - لا تحرّك به لسانك- وجوه يومئذ ناضرة - ووجوه يومئذ باسرة - إلى ربك يومئذ المساق- ثم ذهب إلى أهله يتمطّى - فجعل منه الزوجين».

- تأتي فواصل السور القرآنية إما مبنية على رويّ واحد، أو أن يتنوع رويّ الفواصل ويختلف. وبهذا فالفواصل ذات الروي الواحد تسير وفق قانون «النظام» الواحد، في حين أن تنوّع الفواصل يسير وفق قانون »التغيّر«. وفي كلا الطريقين جمال لا يخفى، ذلك »أن العامل الأساسي الذي يقوم عليه قانون «النظام»... هو إثارة التوقع وإشباع هذا التوقّع. بعكس العامل الذي ينهض عليه قانون «التغيّر»، ألا وهو إحداث الصدمة للتوقّع عن طريق المفاجأة السارّة... إن التأثير الذي تولّده المفاجأة يعتمد على ما إذا كان العنصر الجديد يمكن استيعابه في الاستجابة الكلية، أو إذا كان الذهن مضطرّاً إلى أن يبدأ بداية جديدة كلية عند وصول هذا العنصر الجديد، وبعبارة مألوفة نقول: إن التأثير يعتمد على ما إذا كانت هناك علاقة تربط بين الأجزاء التي تؤلّف الكلّ»[1].

وإذا نظرنا إلى فواصل سورة القيامة سنجدها تسير وفق القانون الثاني، قانون «التغيّر»، وهذا التغيّر يربط الأجزاء ببعضها، لتحقّق الهدف والمعنى الكلي للسورة. حيث يُلحظ استعمال رويّ موحّد في تلك الآيات التي تحمل فكرة مستقلة تقريباً، بحيث تكون هذه الفواصل المتّفقة بمثابة خيط يصل الجمل التي تدور حول معنى واحد، فتكون بذلك الوحدة المعنوية الواحدة متّصلة في المعنى والمبنى.

ولننظر مثلاً في بعض الآيات للتحقّق من ذلك، فعند الحديث عن التأكيد على وقوع يوم القيامة، يأتي رويّ الفاصلة تاءً مربوطة تتحوّل عند الوقف إلى هاء â لا أقسم بيوم القيامة... إلخ (وعند وصف أمارات يوم القيامة يتحوّل رويّ الفاصلة إلى حرف الراء) فإذا برق البصر... إلخ (، وعند الحديث عن حفظ القرآن وجمعه يأتي رويّ الفاصلة هاءً) إن علينا جمعه وقرآنه.. إلخ.. وهكذا تسير السورة إلى نهايتها، بحيث تأتي الفواصل لتعطي الذهن انطباعاً بالانتقال من فكرة إلى أخرى.

أخيراً ،، تلك كانت أبرز الوقفات البلاغية التي تمكّنت من رصدها، وما قلناه هنا ليس إلا غيضاً من فيض، وقطرة من بحر البلاغة القرآنية، إذ لا شكّ أن بلاغة القرآن تنطوي على الكثير

---

(١) الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ ط٢، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

والكثير من الأسرار والدقائق واللطائف، ولكن لعلّ هذه الصفحات استطاعت أن تقف ولو على شيء يسير من بيان القرآن وبلاغته.

في الختام أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علّمنا، وأن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن يزيدنا علماً، إنه هو العليم الحكيم، وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١. **القرآن الكريم.**

٢. **أسباب النزول** ، الواحدي، عالم الكتب ، بيروت ، دون تاريخ.

٣. **أسرار التكرار في القرآن**، محمد بن حمزة الكرماني تحقيق: عبد القادر أحمد عطا دار الاعتصام – مصر رقم الإيداع ٧٧/١٧٩٤.

٤. **أسرار خلق الإنسان**، د.داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ، ط٣.

٥. **أضواء البيان**، محمد الأمين الشنقيطي، طبع رئاسة البحوث والإفتاء، الرياض، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

٦. **أيسر التفاسير** ، أبو بكر جابر الجزائري طبعة خاصة بالمؤلف ١٤١٤/١٩٩٣.

٧. **الإيضاح** ، الخطيب القزويني دار إحياء العلوم – بيروت دون تاريخ.

٨. **البحر المحيط**، أبو حيان الأندلسي المكتبة التجارية مكة – د.ت.

٩. **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤.

٠١. **تجريد البيان لتفسير القرآن**،عبد الله إبراهيم الأنصاري، مكتبة الملك عبد العزيز – الرياض – د.ت.

١١. **تفسير ابن كثير**، أبي الفداء إسماعيل بن كثير دار الفكر – بيروت دون تاريخ.

١٢. **تفسير أبي السعود**،أبو السعود محمد بن محمد العمادي دار إحياء التراث– بيروت.

١٣. **تفسير البيضاوي**، الإمام البيضاوي، دار الفكر، بيروت.

١٤. **التفسير البياني للقرآن الكريم** ، د.عائشة عبدالرحمن دار المعارف القاهرة .

١٥. **تفسير الثعالبي**، عبدالرحمن بن محمد الثعالبي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ، د.ت.

١٦. **تفسير الخازن وبهامشه البغوي** المكتبة التجارية الكبرى – مصر، د.ت.

٧١. **تفسير الطبري** ، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

٨١. **التفسير المنير**،د.وهبه الرحيلي دار الفكر المعاصر – بيروت ١٤٠٧.

٩١. **حاشية الشهاب على البيضاوي** ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٧/ ١٩٩٧.

٢٠. **حاشية محيي الدين الشيخ زاده على البيضاوي**. المكتبة الإسلامية – ديار بكر – تركيا.

٢١. **الدر المنثور** ، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣، ٨/ ٣٤٩

٢٢. **روح المعاني**، شهاب الدين محمود الألوسي دار إحياء التراث – بيروت

٢٣. **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني دار القرأن الكريم – بيروت.

٢٤. **الفاصلة في القرآن**، محمد الحسناوي ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ ط٢.

٢٥. **فتح الباري** ، ابن حجر العسقلاني، تبويب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٢٦. **فتح القدير** ، محمد بن علي الشوكاني دار إحياء التراث – بيروت .

٢٧. **في ظلال القرآن** ، سيد قطب دار العلم ، جدة، ١٤٠٦/١٩٨٦.

٢٨. **الكشاف** ، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة ، بيروت.

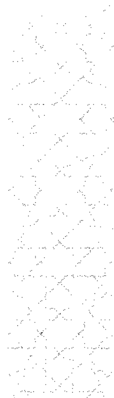
٢٩. **لباب النقول** ، جلال الدين السيوطي ، دار إحياء العلوم – بيروت ١٩٧٩.

٣٠. **مجمع البيان في تفسير القرآن**، أبو على الفضل الطبرسي – دار مكتبة الحياة ١٣٨٠/١٩٦١.

٣١. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.

* * *

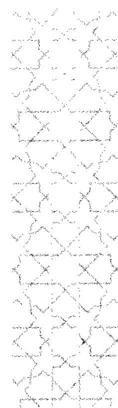




من أساليب التشويق في قصص القرآن الكريم
دراسة تحليلية

د . علي بن محمد الحمود
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





من أساليب التشويق في قصص القرآن الكريم دراسة تحليلية

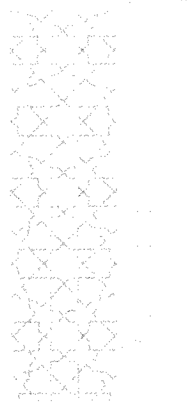
د. علي بن محمد الحمود
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

اتجهت هذه الدراسة إلى تقديم النموذج الفريد المعجز في تحقيق عنصر التشويق في القصة ، ودعت القاصين إلى شحذ طاقاتهم التعبيرية واستثمار أدواتهم الفنية المتنوعة في بعث الحياة في قصصهم من خلال النظرة العميقة المتأنية إلى القصص القرآني المعجز الفريد في جميع جوانبه الموضوعية والفنية .

وقد عملت على إبراز الإعجاز القصصي القرآني من خلال تقديم المنهج الصحيح في التعامل مع العناصر الفنية المختلفة، ومنها عناصر التشويق؛ وذلك لتقويم مسار واقع قصتنا المعاصر التي انحرفت في كثير من نماذجها عن جادة الصواب .

ونظراً لأن عناصر التشويق في قصص القرآن الكريم أكثر من أن تحصى اقتصرت الدراسة على الوقوف عند بعضها؛ لتكون بمثابة نماذج لبراعة القرآن الكريم في عرض موضوعاته بصورة مشوقة ماتعة ، والعناصر هي : تقديم الأحداث المعجزة الخارقة للعادة ، وتنوع الشخصيات ، وعنصر المفاجأة ، وبراعة التصوير ، وفنية الحوار ، والاقتصار على تقديم الجوانب المهمة .



المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن الفن القصصي من أكثر الأجناس الأدبية شيوعاً وانتشاراً في عصرنا هذا ؛ لما يقدّمه للقارئ من متعة وتسلية وفائدة ، فهو يعمق فهمنا للحياة عن طريق تقديمه نماذج بشرية متنوعة أثناء تعرضها لمواقف وأحداث مشابهة لتلك التي نعيشها في حياتنا الواقعية ، فالقارئ يجد في تلك الحياة تشابهاً مع حياته أو حياة بعض معارفه ، ويتعرف إلى شخصيات مشابهة له أو لأحد معارفه .

أما الكتّاب – وبخاصة أصحاب الدعوات والفكر – فوجدوا في الفن القصصي وسيلة ناجعة لنشر آرائهم ودعواتهم في المجتمعات .

والقصة كانت من الأساليب التي استثمرها القرآن الكريم في الإقناع والتأثير لنشر الدعوة ، وإقامة الحجة على المعاندين ، وتصحيح الجوانب العقدية والخُلقية لدى الناس ، والإصلاح والتوجيه والتربية ، وغيرها من المقاصد التي سعت القصة القرآنية إلى تحقيقها .

وبما أن القصة أسلوب محبب إلى الناس : كباراً وصغاراً ، فلا بد أن تُستثمر في نشر القيم الصحيحة في المجتمع ، وتكون وسيلة من وسائل الدعوة والتربية . ومن هذا المنطلق فإن هذه الدراسة تدعو إلى اتخاذ القصص القرآني أنموذجاً يحتذى ؛ لأنه أحسن القصص ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف : ٣) .

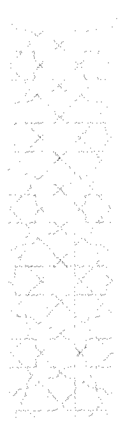
فالقصة القرآنية هي أحسن القصص بموضوعاتها المتميزة وبطريقة عرضها الفنية التي جاءت حافلة بالإثارة والتشويق . والفن الإسلامي « في حاجة شديدة لأن يراجع القرآن ، فهو الذخيرة الموحية لهذا الفن ، كما هو الذخيرة الموحية للحياة » [١] .

ونحن هنا – بطبيعة الحال – لسنا بصدد الموازنة والمقارنة بين قصص القرآن الكريم والقصة البشرية ، فهذا الأمر غير مطروح ، فبداية لا بد من التأكيد على « أنه لا مفاضلة ولا معادلة ولا موازنة بين قصص القرآن وغيره بأي حال وعلى أي اتجاه . فإذا قلنا – أو قال غيرنا – إن قصص القرآن يتميز عن قصص الناس بكذا وكذا فإنه من باب ذكر بعض وجوه الإعجاز ؛ للعظة والاعتبار ، بغض النظر عن المقارنة والمفاضلة والموازنة ، وما إلى ذلك ، فأين الثرى من الثريا ! » [٢] .

---

(١) نظرات في قصص القرآن : محمد قطب عبد العال : ١٠ .

(٢) قصص القرآن (من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل) : د . محمد بكر إسماعيل : ٩ – ١٠ .



وفي هذا المقام لا بد أن أشير إلى أنه في قصتنا العربية الحديثة اعتمد بعض الكتّاب على وسائل مبتذلة ؛ بهدف منح قصصهم مزيداً من التشويق والإثارة ، وقد تحقق لهم ما أرادوا ، فبدت قصصهم مشوقة مثيرة جاذبة لجمهور عريض من المتلقين ، وبخاصة من فئة الشباب ، لكن التشويق في تلك القصص كان تشويقاً رخيصاً مبتذلاً مقحماً على أحداث تلك القصص . وكان في مقدمة تلك الوسائل الرخيصة الخروج على قيم المجتمع الدينية والأخلاقية ، من خلال السخرية من المعتقدات والقيم الدينية ، وتقديم الشخصيات الدينية بصورة ساخرة ، وإقحام المشاهد الجنسية المسفة الممجوجة على أحداث تلك القصص ، دون أن يكون لها أي أثر فني أو موضوعي في بنائها ، والإسراف في الاعتماد على اللهجات العامية في أسلوب تلك القصص ، وغيرها من وسائل التشويق الرخيصة التي – ومع الأسف – حققت لأصحابها شهرة واسعة مؤقتة وانتشاراً عريضاً زائفاً ، وقدّمت للقراء قصصاً تخاطب الغرائز ، فأقبلوا عليها – وبخاصة فئة الشباب – وفي الوقت ذاته تخلو من القيم الموضوعية والفنية ، ويؤكد ذلك أن ما حققته تلك القصص من رواج وانتشار سرعان ما زال واندحر ، وهذا مصداق لقوله تعالى :﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الرعد: من الآية ١٧).

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتقدم النموذج الفريد المعجز في تحقيق عنصر التشويق في القصة ، وتدعو القاصين إلى شحذ طاقاتهم التعبيرية واستثمار أدواتهم الفنية المتنوعة في بعث الحياة في قصصهم من خلال النظرة العميقة المتأنية إلى القصص القرآني المعجز الفريد في جميع جوانبه الموضوعية والفنية .

إن هذه الدراسة تهدف– فيما تهدف – إلى إبراز الإعجاز القصصي القرآني من خلال تقديم المنهج الصحيح في التعامل مع العناصر الفنية المختلفة ، ومنها عناصر التشويق ، وذلك لتقويم مسار واقع قصتنا المعاصر التي انحرفت في كثير من نماذجها عن جادة الصواب .

ومن خلال تتبعي لكثير من الدراسات التي اتجهت إلى دراسة القصص القرآني لم أقف على دراسة مستقلة عُنيت بإبراز جانب التشويق في تلك القصص ، على الرغم من كثرة تلك الدراسات ، وهذا لا يعني – بطبيعة الحال – خلوها من إشارات ووقفات مستنيرة أضاءت لي الطريق ومهدته في أثناء إعداد هذه الدراسة ، وقد ذكرت بعضها في مصادر الدراسة ومراجعها .

ونظراً لأن عناصر التشويق في قصص القرآن الكريم أكثر من أن تحصى رأيت أن أقتصر في هذه الدراسة على ذكر بعضها ؛ لتكون بمثابة نماذج لبراعة القرآن الكريم في عرض موضوعاته بصورة مشوقة ماتعة . ومنعاً للتكرار تجاوزت الحديث عن بعض عناصر التشويق المهمة ، مثل : الجوانب البلاغية ؛ لأن هناك دراسات كثيرة جداً أبرزت هذا الجانب ، وتجنبت الحديث عن عنصر البداية والنهاية في قصص القرآن ؛ لأن هناك دراسة مستقلة عنيت بهذا الجانب المشوق في تلك القصص [1] .

وجاء البحث في مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع .

وأسأل الله تعالى أن تسهم هذه الدراسة في تسليط الضوء على بعض جوانب الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ، وأن تسهم في إبراز بعض عناصر التشويق الموضوعية والفنية في ذلك القصص المعجز الفريد .

التمهيد : مفهوم التشويق في الفن القصصي :

الشوق لغة : نزاع النفس وحركة الهوى ، وشاقني حبُّها هاجني ، وشاق الطُّنب إلى الوتد شدّه وأوثقه به [2] .

والتشويق في ميدان القصة يعني « ترقب القراء أو النظارة لما ستكون عليه نهاية الأحداث في رواية أو قصة أو تمثيلية ، وهي صفة من صفات التوتر تحتفظ باهتمام الجمهور ، وتجعله يتساءل ما الذي سيحدث بعد ذلك ؟ » [3] .

ويعدّ التشويق من السمات التي تميز أسلوب الفن القصصي عن غيره من الأساليب في الأجناس الأدبية الأخرى . وهو عنصر مهم من عناصر نجاح أي قصة ، وافتقاده يؤدي إلى تسرب الملل إلى القارئ ؛ مما يدفعه إلى ترك متابعة الأحداث .

ولا بد أن يتصف القاص بالموهبة التي تمكنه من جعل التشويق جزءاً لا يتجزأ من بناء القصة ، وألا يفتعل التشويق افتعالاً ، بحيث يبدو دخيلاً على أحداث القصة [4] .

وإذا ما وُظِف عنصر التشويق بالصورة المناسبة فهو الذي يمنح القصة القدرة على لفت انتباه القارئ ، ودفعه إلى متابعة القراءة ، متلهفاً متشوقاً لمعرفة ما ستنجلي عنه الأحداث ، وكيف سيواجه البطل مصيره ؟ ومن هنا فإن الأحداث تستحوذ على عقل القارئ ووجدانه

(١) ينظر : الدرعية (مجلة) السنة العاشرة ، العددان : السابع والثامن والثلاثون (ربيع الأول – جمادى الآخرة ، ١٤٢٨هـ) ، بحث (جمالية البداية والنهاية في القصة القرآنية : د . عبد الله العريني : ١٩٥ – ٢٣٠) .
(٢) ينظر : القاموس المحيط : الفيروز أبادي : مادة (شوق) ..
(٣) معجم المصطلحات الأدبية : إبراهيم فتحي : ٨٨ ..
(٤) ينظر : دراسات في القصة العربية الحديثة : د . محمد زغلول سلام : ٣١ – ٣٢ .

، حتى يفرغ من قراءة القصة ، بل ربما استمر ذلك الأثر حتى بعد الانتهاء من القراءة ، وربما أعاد قراءتها مرة أو مرات عدة.

والتشويق عنصر من عناصر الحبكة الفنية في القصة [1] التي تشمل عناصر عدة،هي: البداية والصراع والعقدة والتوقيت والإيقاع والنهاية بالإضافة إلى عنصر التشويق ، وهذه العناصر مجتمعة هي التي تقوم بربط أحداث القصة من بدايتها إلى نهايتها ، ويكون التأكيد فيها على مبدأ السببية .

والحبكة الفنية هي التي تفرق بين القصة الفنية وغيرها ، فكل قصة تقوم على أحداث ، لكن في القصة الفنية تجري الأحداث وفق نظام معين تقوده الحبكة الفنية التي تعمل على أن تكون الأحداث والشخصيات « مرتبطة ارتباطاً منطقياً يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محددة » [2] .

ولعنصر التشويق أهميته في بناء الحبكة القصصية، فهو من العناصر الرئيسة في تطوير الموضوع إلى مشكلة، وإيجاد مواقف جديدة تضفي على القصة مزيداً من الحيوية والإثارة [3] .

ويختلف عنصر التشويق باختلاف عرض الكتّاب له ونظرتهم إليه ومعالجتهم إياه ، ويتمثل في كل ما يعمد إليه القاص من حيل ، وما يعرضه من مواقف تسهم في تطور أحداث القصة، وتشد القارئ إليها ، ومن ذلك : إخفاء سر معين عن القارئ [4] ، والغموض ، والإبهام، والإلغاز ، والتناقض ، وأسلوب المماطلة في الكشف عن الأحداث والشخصيات وحل العقدة القصصية ، وإحداث مفاجأة تعمل على تغيير مسار الأحداث [5]، ووحدة الصراع ، والمفارقة الجزئية والكلية ، ولغة القصة ، وسرعة الإيقاع ، والحركة والحيوية ، وطبيعة الموضوع ، وغيرها من الوسائل الفنية والموضوعية التي يستثمرها القاص في إثارة القارئ وتشويقه ودفعه إلى متابعة قراءة القصة بلهفة وشغف ؛ لمعرفة مصير الشخصيات والأحداث .

وبعد توضيح مفهوم التشويق في القصة الفنية التي مصدرها البشر سيتم الحديث عن التشويق في قصص القرآن الموسوم بأحسن القصص .﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ الْغَٰفِلِينَ ﴾ (يوسف : ٣) .

---

(١) الحبك في اللغة بمعنى الشد والإحكام ، وتحسين أثر الصنعة في الثوب.ينظر : القاموس المحيط : مادة (حبك) . والحبكة في الاصطلاح « هي سلسلة من الأفعال التي تصمم بعناية ، وتتشابك صلاتها عبر صراع قوي بين الأضداد ذروة وانفراجاً » . معجم المصطلحات الأدبية : ١٣٥ .

(٢) الأدب وفنونه : د . عز الدين إسماعيل : ١١٢ .

(٣) ينظر : فن كتابة القصة : حسين قباني : ٤٠ . و القصص في الحديث النبوي : د . محمد الزير : ٢٠٧ .

(٤) ينظر : دراسات في القصة العربية الحديثة : ٢٨ – ٢٩ .

(٥) ينظر : فن كتابة القصة : ٤٠–٤١ . وفن القصة : د . محمد يوسف نجم : ٤٠ – ٤٣ .

إن القصص القرآني هو أحسن القصص بما اشتمل عليه من الموضوعات المتنوعة ، والعرض المعجز، وقوة الأداء والتأثير، وبراعة الوصف، وغيرها من العناصر الفنية والموضوعية ، وعلى الرغم من أنه يساق لتحقيق أغراض عقدية وتربوية، وينطلق من منطلقات دينية بحته ،إلا أنه يفي بمتطلبات الفن القصصي أبرع ما يكون الاستيفاء، لكن على طريقته الخاصة [1].

ومع أن القصص القرآني قائم على الحقائق المطلقة، وخاضع في موضوعه وطريقة عرضه، وبناء أحداثه إلى مقتضى الأغراض الدينية – إلا أنه حافل بألوان الإثارة والتشويق التي يفتقدها غيره من القصص [2]. فالقصص القرآني « يثير في النفس الانفعال، ويحرك في القلب العواطف ، ويجذب القارئ أو السامع إلى متابعة الموقف القصصي إلى النهاية، فيبدو الموضوع القصصي – الذي يحمل الغرض الديني – عالقاً في الذهن، وحيّاً في النفوس ؛ مما يؤدي إلى حالة من التطهير أو من التحول أو من الثبات، ولكنه في كل الحالات يبقى شيئاً مؤثراً » [3] .

وينبغي ملاحظة أن قصص القرآن الكريم تختلف عن غيرها من القصص في موضوعاتها ومقاصدها ومنهجها وطريقة عرضها، لكنها تشترك معها في بعض الجوانب الفنية ، مثل : تحقيق التشويق والإثارة والإبهار والإدهاش، فقصص القرآن تحقق هذا العنصر المهم بطريقتها المعجزة، وبيانها الفريد ؛ مما يجعل التشويق فيها يبدو جزءاً حيوياً مهماً في سياق القصص ، يسهم مع غيره من العناصر الفنية والموضوعية في تحقيق مقاصدها الدينية والتربوية .

ومن هذا المنطلق ينبغي النظر إلى قصص القرآن بوصفها وسيلة فنية استثمرها القرآن الكريم « لعرض مبادئه، والدعوة إليها، والتربية على أساسها، وتثبيت حقائقها في قلوب المؤمنين. فلا تهدف القصة القرآنية إلى التاريخ ، لا تاريخ الرسالات والرسل ، ولا تاريخ الأمم والأشخاص، إنما تأخذ من الواقع التاريخي ما يفي بتحقيق هدفها الأصيل، كما لا تهدف إلى المعرفة الثقافية، ولا إلى المتعة والتسلية ... » [4] . ومع هذا نجدها حافلة بالتشويق الذي كان أداة من أدوات القرآن الكريم المتعددة في تحقيق مقاصده المتنوعة .

* * *

(١) ينظر : القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن) : محمد قطب عبد العال : ٨ .
(٢) ينظر : البيان القصصي في القرآن الكريم : د . إبراهيم عوضين : ١٧٠.
(٣) القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن) : ٢٤٦.
(٤) منهج القصة في القرآن : محمد شديد : ٦١ .

المبحث الأول : تقديم الأحداث المعجزة الخارقة للعادة :

من سمات أحداث قصص القرآن الكريم اشتمالها على مجموعة كبيرة من المعجزات الخارقات للعادة ولمظاهر الحياة الطبيعية التي نطالعها عبر قراءة تلك القصص المعجزة الفريدة في موضوعها وأسلوبها وبيانها وطريقة عرضها.

ومما لا شك فيه أنّ جميع ما جاء في القرآن الكريم من قصص وأخبار وأحداث هو من الحقائق الثابتة التي لا مجال للشك فيها، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(فصلت: ٤٢).

إنّ قصص القرآن الكريم تقوم على وقائع حقيقية تاريخية ثابتة، لا عمل للخيال القصصي فيها، ولا صلة للأساطير والخرافات بها، إنما هي من تدبير الله سبحانه وتعالى ومن تقديره[1].

والقرآن الكريم يبعث أحداث قصصه « على الصورة التي كانت عليها لحظة وقوعها، بحيث لو رآها الذين شهدوها أو شاركوا فيها لأيقنوا أنهم ما زالوا حيث هم لحظة وقوع الحدث »[2].

والأحداث الخارقة التي جاءت في قصص القرآن « تدخل في باب الإعجاز الذي أيّد به الله رسله وأنبياءه. فقد جرت حكمة الله الأزلية أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات والدلائل الواضحات والحجج والبراهين الدامغة التي تدل على صدقهم وعلى أنهم أنبياء مرسلون من عند الله العزيز القدير. وهذه المعجزات معجزات حسّية تتناسب مع العصر والزمان والموقف الذي حدثت فيه »[3].

وتعدُّ تلك الأحداث من العناصر الفاعلة في قصص القرآن الكريم لما تثيره من انفعالات تملك على الإنسان أحاسيسه، وتسيطر على فئة المؤمنين مشاعر متباينة، تمتزج فيها الدهشة والانبهار بتلك الأحداث، والإعجاب والإيمان بقدرة الخالق تعالى، فيظل الإنسان المؤمن مترقباً لما ستسفر عنه الأحداث. أما غير المؤمنين فتكون تلك المعجزات بمثابة القوى الغيبية التي تعمل على إظهار عجزهم عن العودة إلى الحق، والإصرار على العناد والمكابرة، على الرغم من وضوح الحقيقة التي لا مجال للشك فيها، لكنهم يستمرون في غيهم وحيرتهم وترددهم، فتكون تلك المعجزات سوطاً مسلطاً عليهم، يؤنبهم ويوبخهم ويهددهم من مصير عنادهم وتكبرهم.

---

(١) ينظر: البيان القصصي في القرآن الكريم: ١١٢، والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب: ١٤٨.
(٢) القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور: عبد الكريم الخطيب: ٧ – ٨.
(٣) القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن): ٦٢.

وورود تلك الأحداث المعجزة بالصورة التي وردت عليها يمنح القصص مزيداً من الإثارة والتشويق، ويحدث فيها دوياً هائلاً يعمل على تغيير مسار الأحداث ؛ « ولهذا فإن هذا العنصر يدخل دخولاً مفاجئاً مباغتاً، لا يتوقعه أحد ممن يشتركون في الصراع المحتدم على مسرح الأحداث، أو الذين يشهدون هذا الصراع »[1]

وحينما نصف تلك الأحداث التي حفلت بها قصص القرآن بأنها معجزة وخارقة للعادة ولمظاهر الحياة الطبيعية ، فإننا ننظر إليها من خلال العقل البشري القاصر الذي يقيس الأشياء ويحاكمها بالمقاييس البشرية المحدودة العاجزة عن تصورها ، لكن الإيمان بقدرة الله تعالى غير المحدودة تدفع المؤمنين إلى الإيمان إيمانا يقينياً أنها من معجزات الله تعالى المادية التي أيدّ بها رسله ، وتحدى المنكرين . فورودها وأشباهها في قصص القرآن الكريم « موافق لطبيعتها، فالذي يقص علينا هو أحكم الحاكمين ، وهو القادر على كل شيء ، ووقوع تلك الأحداث أمر حتمي في سياق العلاقة بين النبي وقومه ، أو بين الشخصية والمعجزة التي جرت على يدها »[2].

والمعجزات التي حفلت بها أحداث قصص القرآن الكريم تنوعت صورها بحسب تنوع المواقف التي وردت فيها ، والأغراض التي ترنو إلى تحقيقها . والمقام هنا لا يتسع إلى تقديم كل ما اشتملت عليه تلك القصص من معجزات ؛ لذا سأقدم نماذج متنوعة تبرز أثر تلك المعجزات في منح قصص القرآن مزيداً من التشويق والإثارة .

وسأبدأ بذكر بعض تلك المعجزات المتعلقة بأنبياء الله تعالى ورسله (عليهم الصلاة والسلام) ، ومنها ما نطالعه في قصة إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) من معجزات خارقة للعادة ولطبيعة الأشياء ، كنجاته من النار – بأمر الله تعالى– التي من طبيعتها الإحراق ، لكن قدرة الله تعالى وتدبيره صيرتها برداً وسلاماً على إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأنبياء : ٦٨ – ٧٠).

اقتضت حكمة الله تعالى الإلهية أن تخالف النار طبيعتها التي اعتادها الإنسان في واقعه ، فكان حضور هذه المعجزة الإلهية الخارقة للعادة عنصراً مؤثراً مشوقاً يحدث في نفس المتابع دوياً هائلاً ، تمتزج فيها مشاعر الإيمان بقدرة الله تعالى ، والإعجاب بها ؛ مما يدفعه إلى متابعة تلك الأحداث لمعرفة ما ستؤول إليه .

---

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : ٨٤١ .

(٢) خصائص القصة الإسلامية : د . مأمون فريز جرار : ١٨.

وفي موقف آخر من قصة إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) نجد أن السكين التي من طبيعتها القطع تخالف تلك الطبيعية بأمر الله تعالى. ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الصافات : ١٠٢ - ١٠٥).

استجاب إبراهيم وإسماعيل (عليهما الصلاة والسلام) لأمر الله تعالى، وشرعا في تنفيذه، « فقال إبراهيم عليه السلام : نعم العون أنت يا بنيّ على أمر الله، ثم أقبل عليه يقبّله وقد ربطه، وهما يبكيان، ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل ؛ لأن الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه، فقال له : كبني على وجهي فإنك إن نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله، ففعل، ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ... »[(١)].

خالفت السكين طبيعتها المعتادة بأمر الله تعالى، فجاءت تلك المعجزة الخالدة التي نذكرها في كل عام في موسم الحج، وكلما قرأنا تلك القصة المعجزة العجيبة الفريدة المليئة بالإثارة والتشويق الذي يحبس الأنفاس، ويحرك المشاعر، ويحرّض المؤمن في كل زمان ومكان على جعل طاعة الله تعالى والاستجابة لأوامره فوق كل اعتبار، فإبراهيم (عليه الصلاة والسلام) شرع في ذبح وحيده الذي رزقه الله به بعد أن جاوز الثمانين من العمر، وحينما أصبح شاباً يسانده في رفع قواعد البيت الحرام، جاء أمر الله تعالى بذبحه، فشرع في التنفيذ دون أدنى تردد، ومن هنا استحق إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) تلك المنزلة الكبيرة التي نالها، فهو أبو الأنبياء، ومن أولي العزم من الرسل.

ونطالع في قصة موسى (عليه الصلاة والسلام) مجموعة من الأحداث والمواقف المعجزة الخارقة للعادة ولطبيعة الأشياء، فالعصا كان لها حضور لافت في قصته، ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ (طه : ١٧ - ٢٣).

تحولت العصا في يد موسى (عليه الصلاة السلام) حية تسعى، ثم أعادها الله تعالى سيرتها الأولى، وتحولت اليد السمراء بيضاء كالثلج من غير سوء، ثم أعادها الله تعالى كما كانت سمراء. وكانت هاتان الآيتان من الآيات الكبرى التي خصّه الله بها، وثبّت قلبه. وموسى لم

---

(١) الكشاف : الزمخشري : ٤ / ٥٣ . وينظر : قصص الأنبياء : ابن كثير : ١ / ١٦٨.

يكن في تلك اللحظة يحتاج إلى هاتين المعجزتين، والمفسرون عللوا ذلك بأقوال عدة، منها أنْ يعلم أنه لقي الله تعالى حقاً، وأن الله تعالى سلّحه بسلاح يجابه به فرعون وسحرته [1].

في المشهد السابق كلّم الله تعالى رسوله وكليمه موسى (عليه الصلاة والسلام)، وكانت العصا المعجزة الخارقة للعادة حاضرة ؛ مما أضفى على الجو العام للقصة تشويقاً وإثارة ، فالموقف الذي تعرض له موسى كان رهيباً انحبست منه أنفاسه ، فهو يكلم الله تعالى، ويشاهد العصا التي بيده تخالف طبيعتها التي اعتادها ، ويشاهد تغيّر لون يده ، وعودتها إلى لونها السابق ، وهذا المشهد بكل ما فيه من مواقف عجيبة معجزة يؤثر في المتابع الذي تسيطر عليه مشاعر متباينة ، ترسخ الإيمان في نفسه ، وتدفعه إلى الشعور بصعوبة الموقف الذي عاشه موسى (عليه الصلاة والسلام) في تلك اللحظات . يضاف إلى ذلك أنه يتطلع إلى معرفة ما سيحدث بعد ذلك من أحداث .

وحضرت العصا للمرة الثانية أمام فرعون، حينما ألقاها موسى (عليه الصلاة والسلام) أمام السحرة ،﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾(الشعراء : ٣٢ - ٣٣).

لقد تكرر الموقف السابق ، لكن هذه المرة كان أمام فرعون وسحرته ، فالمعجزتان حضرتا ، إذ تحولت العصا ثعباناً واضح المعالم غير منكر ، ويده السمراء أخرجها من جيبه بيضاء من غير سوء .

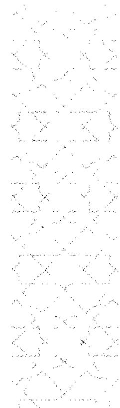
إن الاختلاف بين الموقفين اللذين حضرت فيهما العصا تمثل في المكان و الزمان والظروف المحيطة ، وكان موسى (عليه الصلاة والسلام) قد اكتسب الثقة من المرة الأولى التي تحولت فيها العصا إلى حية ، فتحول الخوف إلى إيمان وثقة بالله تعالى ، ومن هنا جابه فرعون وسحرته في المرة الثانية بثبات وقوة .

وفي المرة الثالثة حضرت العصا ، إذ أمر الله تعالى موسى (عليه الصلاة والسلام) أن يضرب بها البحر الذي انشق بأمره تعالى ،﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٣).

تطالعنا العصا مرة ثالثة في قصة موسى (عليه الصلاة والسلام)، لكن بصورة مختلفة ، ففي هذه المرة كانت هي الأداة التي شقّت البحر بأمر الله تعالى . وبذلك فإنها ستثير فضول المتابع وتشوّقه إلى معرفة سرها ، والكشف عن طبيعة حضورها القوي في الأحداث والمواقف التي تعرض لها كليم الله (عليه الصلاة والسلام) .

---

(١) ينظر : نظرات في أحسن القصص : د . محمد السيد الوكيل : ٢ / ٣٦ – ٣٧ .



وفي المرة الرابعة فجرت عصا موسى (عليه الصلاة والسلام) العيون بأمر الله تعالى ، ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (الأعراف : ١٦٠).

أوحى الله تعالى إلى موسى (عليه الصلاة والسلام) أن يضرب الحجر بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وكان هذا هو الحضور الرابع للعصا المعجزة العجيبة الفريدة ، وهكذا توالت المعجزات التي جعلها الله تعالى آيات أيد بها رسوله ، وسلطها على المعاندين والمنكرين والمكذبين .

خالفت العصا طبيعتها التي اعتدناها في الواقع بقدرة الله تعالى وتدبيره ، وتحولت من مجرد آلة لها استخدامات معهودة كما وصفها موسى (عليه الصلاة والسلام) ، وكما نعلم عنها في الواقع ، كالتوكؤ عليها ، والهش على الغنم – إلى معجزة من المعجزات التي أيد الله تعالى بها رسوله ، ومن جانب آخر كانت وسيلة جذب وتشويق وتأثير قوي في المطلع على قصة موسى في القرآن الكريم ، فالمتابع يترقب ما سيحدث ، والأنفاس تحبس ، والمشاعر تضطرب ، والدهشة والانبهار تحضر بقوة وتسيطر على المشاعر . وكان الإشفاق على كليم الله حاضراً في الحضور الأول للعصا ، أما في المرات الأخرى فتحول الإشفاق إلى إعجاب بهذا الرسول الذي يحمل عصا ، تأتمر بأمر الله تعالى ، وتفعل المعجزات بإذنه تعالى .

وفي قصة عيسى (عليه الصلاة والسلام) نطالع مجموعة من الأحداث المعجزة الخارقة للعادة ولطبيعة الأشياء في مراحل مختلفة من حياته ، وهي في مجملها شكلت مجموعة من دلائل الإعجاز التي خصّه الله تعالى بها ، وأيده بها ، ومن تلك المعجزات أنه ولد من أم دون أب ، وتكلم في المهد ،

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾

(آل عمران : ٤٥ – ٤٧) .

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ (مريم : ٢٩ – ٣٠) .

أشارت مريم إلى وليدها (عليه الصلاة والسلام) ليجيب عن تساؤلهم، وعدّوا ذلك منتهى السخرية والاستهزاء، لكن معجزة الله تحققت فأجابهم، ولم يكونوا " يتوقعون أن يتكلم صبي في المهد، ونسوا أن الأمر كله خارق للعادة، وأن حياة عيسى (عليه السلام) منذ حمله، وحتى رفعه، ليست كحياة البشر العاديين، حيث خصه الله (عزّ وجل) بخصائص لم تتوافر لغيره من العالمين ...

إن حمل مريم بعيسى من غير أب خرق للعادة، وكلامه وهو لا يزال في المهد خرق للعادة، واختيار الكلمات التي نطق بها خرق للعادة ... » [1].

وفي قصة سليمان (عليه الصلاة والسلام) نجد مجموعة من المعجزات التي خصّه الله تعالى بها، فقد منحه ملكاً عظيماً، وسخّر له الإنس والجن والطير والرياح، وعلّمه منطق الطير، ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (النمل: ١٦– ١٨).

لقد كان سليمان (عليه الصلاة والسلام) « يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها، ويعبّر للناس مقاصدها وإرادتها » [2]. وهذه المعجزة من الأمور التي تفرد بها.

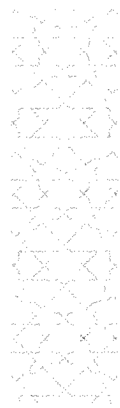
وكان (عليه الصلاة والسلام) يعرف – أيضاً – لغة النمل، ففهم حديث النملة مع أمتها، « وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرج والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره » [3].

وكان تسخير الجن له (عليه الصلاة والسلام) « معجزة من معجزاته، ونعمة أنعم الله بها عليه دون سواه » [4].

لقد جمع الله تعالى لسليمان (عليه الصلاة والسلام) بين الرسالة والملك، ومنحه (عزّ وجل) من المعجزات التي لم ينلها غيره من الأنبياء والرسل، وتلك المعجزات التي نطالعها في قصته تعلق في القلوب، وتستحوذ على المشاعر.

لقد عملت تلك المعجزات الخارقة للعادة ولطبيعة الأشياء على تأييد سليمان (عليه الصلاة السلام) وتمكينه من فرض نفوذه وسلطانه على أتباعه، وأسهمت في تحقيق الأغراض الدينية والدنيوية التي جاءت من أجلها، ومن جانب آخر كانت وسيلة إثارة وتشويق

(١) نظرات في أحسن القصص: ٢ / ٣٠٤ – ٣٠٥.
(٢) قصص الأنبياء: ابن كثير: ٥٣٠.
(٣) قصص الأنبياء: ٥٣٢.
(٤) نظرات في أحسن القصص: ٢ / ٢٢٦. و ينظر: سورة الأنبياء: ٨٢، وسبأ: ١٢– ١٣، وص: ٣٧.



وجذب للمتابعين الذين يقبلون على متابعة أحداث تلك القصة العجيبة الفريدة في موضوعها وطريقة عرضها ، فالمعجزات كانت وسيلة فنية ناجعة في البناء الفني للقصة، وبدت جزءاً مهما من أجزائها ، إذ أسهمت في بناء الحدث وتطويره ، ورسم الشخصيات ، وتصوير الجو العام الذي جرت فيه تلك الأحداث .

وإذا ما انتقلنا بالحديث إلى المعجزات المتعلقة بغير الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) فسنجد مجموعة من الأحداث منها حمل مريم بابنها عيسى من غير أب ، لقد عرضت الآيات القرآنية تلك القصة العجيبة ، والمعجزة الخارقة ، « فمريم العذراء تنجب طفلاً من غير أب ، وقد شاءت الحكمة الإلهية أن تبرز ذلك الإعجاز ليظل أثراً للقدرة الإلهية ماثلاً أمام الأبصار يحمل عظمة الواحد القهار » [1].

وفي سورة الكهف نجد قصة الفتية أصحاب الكهف والرقيم الذين مكثوا في الكهف تسعاً وثلاثمئة سنة ، ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (الكهف : ٢٥) . وكذلك التدمير المفاجئ الذي حدث للجنتين ، والأفعال الصادرة عن الرجل الصالح التي جاءت مخالفة لطبائع الأشياء ، وتمكين الله تعالى ذا القرنين من الملك .

إنّ الأحداث التي جاءت في سورة الكهف هي " من الخوارق التي يعجز الإنسان عن تصورها في عالم الواقع ، إلا أن يكون له دين يصله بأسباب السماء ، فيضيف هذه الأحداث إلى قدرة الإله القادر رب العالمين " [2].

وهكذا كانت الحوادث المعجزة الخارقة للعادة ولمظاهر الحياة الطبيعية من منظور البشر سمة من سمات قصص القرآن الكريم التي كان لها أثر في منحها مزيداً من التشويق والإثارة ، بما تحمله من أحداث تثير انفعال المتابعين وتدهشهم ؛ يضاف إلى ذلك إسهامها إسهاماً كبيراً في تحقيق أهداف تلك القصص الدينية والتربوية .

* * *

---

(١) القصة في القرآن مقاصد الدين وقيم الفن : ٤١٦ . وينظر : (سورة مريم : ١٦–٢١) .
(٢) القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور : ٥٨ .

المبحث الثاني : تنوع الشخصيات :

الشخصية عنصر مهم من عناصر القصة ، فهي التي تقوم بالأحداث ، وهي المحور الذي يستقطب جل الاهتمام ، والعناصر القصصية الأخرى تكتسب أهميتها من خلال ارتباطها بها ، فالاهتمام بالمكان يرجع إلى الإنسان الذي يعيش فيه ، والاهتمام بالأفكار والمضمونات المطروحة مرده إلى الإنسان الذي صدرت عنه ، وهكذا الحال مع بقية العناصر .

والشخصية في القصة هي التي تبعث الحركة والحيوية فيها، وتجعلها تبدو صورة من صور الحياة الواقعية التي نحياها. وتنوع النماذج التي تُقدّم في القصة من العوامل التي تمنحها مزيداً من التشويق والجذب والإثارة والحيوية .

وقصص القرآن الكريم قدّمت نماذج متنوعة لعوالم مختلفة : فهناك عالم الإنس ، وعالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الحيوان .

وهذه النماذج مجتمعة شكلت عالماً متفرداً خلقه الله تعالى ؛ لتحقيق الأغراض الدينية والتربوية . وأروع ما في تلك القصص وأجله الخطاب الرباني « الذي يتجلى في حوار الله (عزّ وجل) مع بعض عباده ، ويبدو هذا في قصة آدم ، وفي قصة إبراهيم وطلبه من الله (عزّ وجل) أن يريه كيف يحيي الموتى ، وفي تكليمه لموسى »[1].

وبادئ ذي بدء سأقف عند الشخصيات البشرية أو شخصيات عالم الشهادة التي جاءت متنوعة ، فمنها : شخصيات الرسل والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، والرجال والنساء والأطفال ، ومنها – أيضاً – الصالحون والطالحون . وداخل هذه الشخصيات نجد شخصيات معينة محددة مذكورة بأسمائها وأوصافها ، وهي كثيرة . ومنها شخصيات تمثل نماذج بشرية عامة لم يحدد القرآن الكريم أسماءها ، كصاحب الجنتين والفتية أصحاب الكهف والرقيم ، والعبد الصالح الذي صحبه موسى (عليه الصلاة والسلام) في سورة الكهف ، وغيرها من الشخصيات .

وتعدُّ شخصيات الرسل والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) من أبرز الشخصيات التي نطالعها في قصص القرآن الكريم ، « وقد قصّ الله سبحانه في قرآنه قصص أربعة وعشرين رسولاً ، المتحدث في هذه القصص هو الله (عز وجل) ، والنبي هو بطل القصة، وقومه هم بنية القصة ، والزمان في بطون التاريخ الغابر ، والهدف تقويم الاعوجاج الإنساني في العقيدة الدينية والأخلاق والسلوك وأنظمة الحياة »[2].

---

(١) خصائص القصة الإسلامية : ٧٥ .

(٢) القصة القرآنية (هداية وبيان) : د . وهبة الزحيلي : ١١ – ١٢ .

وقصص القرآن راعت في تقديم شخصيات الرسل والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) طبيعتهم ، ففي شخصياتهم جانبان : « نبوي وفيه العصمة ، وهو مفهوم عقدي ، وبشري ذو حاجات ودوافع ، يعتريه ما يعتري البشر من نسيان وخطأ وانفعال وغضب وخوف وتسرع »[1].

وهذا التكامل في شخصية الأنبياء منحها بعداً إنسانياً عميقاً ، وجاذبية كبيرة ، وبالرغم من أنهم يشتركون في هذه الصفة – أعني بناء شخصياتهم على جانبين – إلا أن لكل نبي خصوصية تميزه من غيره ، ومعجزة تتفق مع طبيعة قومه ، فموسى (عليه الصلاة والسلام) كانت معجزته العصا التي بزّ بها خصومه ، وسليمان (عليه الصلاة والسلام) آتاه الله تعالى الملك وعلمه منطق الطير وسخّر له الجن والرياح ، ويوسف (عليه الصلاة والسلام) خصّه الله تعالى بتأويل الرؤى ، ومحمد (عليه الصلاة والسلام) كان القرآن الكريم معجزته ، وهكذا الأمر مع بقية أنبياء الله (عليهم السلام أجمعين) .

وقصص القرآن لم تقتصر على تقديم شخصيات الأنبياء والرسل والشخصيات التي تمثل جانب الخير والفضيلة ، بل استكملت الصورة الواقعية للحياة التي تشمل الخير والشر، والفضيلة والرذيلة ، فكما قدّمت شخصيات تمثل جانب الخير قدّمت شخصيات تمثل الشر والرذيلة : كفرعون وهامان وقارون ؛ فجاءت تلك القصص الفريدة المعجزة معبرة أجمل ما يكون التعبير عن حقيقة النفس البشرية .

وذلك الحضور للشخصيات المتناقضة كان عامل تشويق وجذب للمتابع الذي يطالع حياة كاملة تشمل الخير والشر ، ويشهد صراعاً قوياً بين الشخصيات المتناقضة بما تحمل من رؤى وأفكار متناقضة ، ومن هنا يتعلق قلبه بما يشاهد ، ويحرص أشد الحرص على متابعة نتيجة ذلك الصراع المحتدم المتأجج الذي كانت المفارقة الجزئية والكلية في الشخصيات والمواقف وسيلة من وسائل تجسيده .

أما عالم الملائكة فكان لهم « حضور ومشاركة في قصة آدم وبعض مشاهد قصة مريم وزكريا ، ويتجسدون في صورة بشرية تخفى على إبراهيم فيظنهم بشراً ، كما حدث في قصة إبراهيم مع ضيفه من الملائكة الذين أُرسلوا بالعذاب إلى قوم لوط ، وقصة مريم التي تمثّل لها جبريل بشراً سوياً »[2] . ومنهم – أيضاً – الخصمان اللذان تسورا المحراب في قصة داود (عليه الصلاة والسلام)[3].

---

(١) بناء الشخصية في القصة القرآنية : د . مصطفى عليان : ٣٢ .
(٢) خصائص القصة الإسلامية : ٧٥ .
(٣) ينظر : سورة ص : (٢١ – ٢٤) .

وهناك عالم الجن الذين كان لهم حضور في بعض قصص القرآن الكريم بصور مختلفة ، ففي قصة سليمان (عليه الصلاة والسلام) كانوا من الجنود الذين سخّرهم الله تعالى لخدمته ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (النمل : ١٧).

سخّر الله تعالى الجن لسليمان (عليه الصلاة والسلام) ، فكانوا يأتمرون بأمره ، وينفذون ما يأمرهم به ، ونجد ذلك في طلبه منهم أن يأتوا بعرش ملكة سبأ ، وظهر تفاوت قدراتهم ، إذ عرض عليه أحدهم أن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه ، أما الآخر – الذي عنده علم من الكتاب – فأخبره بأنه يستطيع أن يأتيه به قبل أن يرتد إليه طرفه [1] .

ومن صور حضور الجن الأخرى في قصص القرآن وسوسة الشيطان للإنسان ، ومن ذلك ما نجده في قصة آدم (عليه الصلاة والسلام) ، ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الأعراف : ٢٠).

في الآية السابقة وسوس الشيطان لآدم وحواء (عليهما السلام) فأكلا من الشجرة فأخرجهما الله تعالى من الجنة ، وبذلك تمكن " الشيطان بخبثه ودهائه ، مستعيناً بوسائل الإغراء النفسي والجنسي أن يجعل آدم يأكل من الشجرة ، وبرغم التحذير الرباني الصريح ، وبرغم ما قُدّمَ لآدم من المباحات التي كان فيها كل الغناء عن الأكل من الشجرة ، برغم هذا كله أكل آدم من الشجرة " [2] .

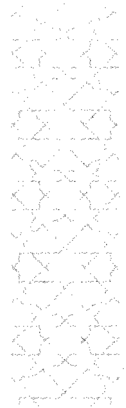
وفي موضع آخر من قصة آدم (عليه والسلام) نطالع صورة مختلفة لحضور الجن تمثلت في رفض إبليس السجود لآدم ، بحجة أنه خير منه ، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (الأعراف : ١١ – ١٢).

في الموقف السابق مثّل إبليس أنموذج التكبر والعناد والجدل ، حتى إنه رفض أمر الله تعالى ، واحتج على قضائه ، فطرده الله تعالى من الجنة .

أما عالم الحيوان فكان له حضور لافت في بعض قصص القرآن الكريم ، فهناك النملة والهدهد في قصة سليمان (عليه الصلاة والسلام) ، والغراب في قصة ابني آدم ، والكلب في قصة أصحاب الكهف ، والحوت في قصة يونس ، والعجل في قصة موسى ، وغيرها من الحيوانات التي وردت في قصص القرآن الكريم .

---

(١) ينظر: سورة النمل : (٣٨ – ٤٠).
(٢) نظرات في أحسن القصص : ٣١/١ .



وأشير هنا إلى أن كل «حيوان جاء ذكره في القرآن الكريم هو حيوان حقيقي، يُمثل ذات الحيوان الذي ورد ذكره في القصص القرآني. فالنملة التي حذرت جماعة النمل من أن يحطمها موكب سليمان (عليه السلام) هي نملة حقيقية سمع سليمان حديثها إلى جماعة النمل، وعرف مقالها لتلك الجماعة. وكذلك الهدهد الذي تخلف عن أن يأخذ مكانه بين الحشود الحاشدة بين يدي سليمان (عليه السلام) هو هذا الهدهد الذي تهدده سليمان بالعذاب، أو الذبح؛ لتخلفه عن شهود هذا الحشد،وهو الهدهد الذي دلّ سليمان على مملكة سبأ... وهذا الشأن في كلب أصحاب الكهف الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، محسوباً من أصحاب الكهف، معدوداً كواحدٍ منهم»[1].

وفي قصة ابني آدم يبرز الغراب الذي بعثه الله تعالى ليعلم قابيل كيف يدفن أخاه، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (المائدة: ٣٠ – ٣١).

قَتْلُ قابيل أخاه هابيل كانت أول جريمة ترتكب على الأرض، وكان هابيل أول ميت؛ فجهل قابيل طريقة الدفن، فحمله على ظهره سنة، وقيل مئة سنة، ولم يزل كذلك حتى بعث الله تعالى غرابين أعادا مشهد قتل الأخ أخاه، إذ قتل أحد الغرابين الآخر، ثم حفر حفرة ووضع فيها الغراب المقتول، ففعل قابيل الفعل نفسه، وندم ندماً شديداً[2].

وفي قصة يوسف (عليه الصلاة والسلام) كان الذئب من أشخاص القصة، لكنه في الواقع «لم يصدر عنه فعل، ولم يبدُ على مسرح الأحداث، وهو كذلك في مشاهد القصة، لا تراه إلا سماعاً على لسان الأب؛ تعليلاً لخوفه على يوسف، وعلى لسان الإخوة في اتهامهم إياه بافتراس يوسف، ثم يختفي هذا الشخص بعد ذلك تماما، ولا يرد عنه حديث، أي حديث»[3].

ويمكن إرجاع تعدد أنماط الشخصية في قصص القرآن وتنوع نماذجها إلى «أنّ موضوعات القصص القرآني متعددة، وأغراضه متباينة، فقد اشتمل القصص القرآني جميع أوجه الحياة بكامل جوانبها: الدينية والسياسية والاجتماعية»[4].

---

(١) القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور: ١٠ – ١١.
(٢) ينظر: قصص الأنبياء: ٥٣. ونظرات في أحسن القصص: ١ / ٥٤ – ٥٧.
(٣) البيان القصصي في القرآن الكريم: ٩٢.
(٤) الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني: د. عبد المرضي زكريا: ١٤٧.

وهكذا كان تنوع الشخصيات في قصص القرآن الكريم من العوامل التي منحت تلك القصص مزيداً من التشويق والجاذبية والإثارة والمتعة، فالمتابع لتلك الشخصيات ينتقل إلى عوالم مليئة بالإدهاش والإبهار، ويقف مذهولاً أمام هذا التنوع المعجز في الشخصيات القصصية المتنوعة التي تنتمي إلى عوالم مختلفة؛ مما يؤدي إلى تعلق قلوب المتابعين لحركة الشخصيات وتقلب أحوالهم، بحثاً عن المصير الذي سيؤولون إليه، وهذا كله مما يزيد إيمان المؤمنين بالله تعالى، ويصيب في الوقت ذاته غير المؤمنين بالحيرة والحسرة والاضطراب والخوف؛ لأنهم سيعلمون أنّ وراء ذلك كله خالقاً كفروا به.

وتنبغي الإشارة هنا إلى أن الجمع في بعض قصص القرآن الكريم بين العوالم المختلفة في قصة واحدة، وأحياناً في مشهد واحد – منحها مزيداً من الجاذبية والتشويق والإثارة، ونجد ذلك متحققاً في قصة سليمان (عليه الصلاة والسلام)، إذ جمعت القصة في مشهد واحد بين سليمان والجن والهدهد، ثم حضرت ملكة سبأ، وفي القصة نفسها في مشهد آخر حضر النمل [1]. وكان لهذا الحضور المتنوع لشخصيات مختلفة تمثل عوالم مختلفة أثره في تعلق القلوب وانبهارها بقدرة الله تعالى على الجمع بين هذه العوالم المختلفة، التي لا يمكن مشاهدتها بالصورة الفريدة المعجزة إلا في قصص القرآن الكريم، فكل شخصية من الشخصيات لها دورها الذي أدته كما أراده الله تعالى ورسمه لها.

* * *

---

(١) ينظر: سورة النمل: (١٧- ٤٤).

المبحث الثالث : عنصر المفاجأة :

عنصر المفاجأة من العناصر الفنية في القصة التي إذا ما وظفها القاص بالصورة الفنية المناسبة فإنه يستحوذ على قلب القارئ، ويجدد نشاطه، ويشد انتباهه، ويحرضه على متابعة الأحداث القصصية التي تتخذ مساراً جديداً مختلفاً حافلاً بالحيوية والحركة والتشويق والإثارة ؛ مما يسهم في كسر رتابة سرد الأحداث القصصية، ودفعها إلى منحى جديد .

وفقدان القصة – أي قصة – عنصر المفاجأة يعدّ مؤشراً على ضعفها فنياً ؛ مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى دفع القارئ إلى ترك مواصلة قراءاتها، أو قلة الاهتمام أثناء متابعة أحداثها.

وفي قصص القرآن الكريم تعدُّ المفاجأة عنصراً فنياً من العناصر التي تحقق التشويق والإثارة ، وهي من السمات الفنية التي يتسم بها الأسلوب القصصي القرآني المؤثر المشوق « بما يتخلله من مفاجآت تكون كالهزات العنيفة التي تثير الانتباه وتذكي الشوق إلى متابعة القصة » [1].

وقصص القرآن الكريم « لا تسير على نظام واحد في تقديم الحدث المفاجئ الذي يسهم في النهاية ويحرك القصة إلى حل عقدتها الرئيسة ،ولكنها تراعي المكان والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة، فتقدمها فيها محافظة بذلك على القيمة الفنية المعجزة التي يقوم عليها البيان القرآني في عمومه » [2] .

ومن طرق المفاجآت الفنية في قصص القرآن الكريم وجود سر من الأسرار يخفى عن بعض الشخصيات القصصية ، ويكشف في نهاية المطاف [3] ، كما في قصة موسى (عليه الصلاة والسلام) مع العبد الصالح [4]، إذ تلاحقت المفاجآت التي غاب كنهها عن موسى (عليه الصلاة والسلام) والمتابعين للقصة، وفي النهاية يكشف العبد الصالح عن سر الأفعال الصادرة عنه التي كانت محل استغراب موسى والمتابعين للقصة ، فخرقُ السفينة ، وقتلُ الغلام ، وإقامةُ الجدار دون أجر، أعمال قام بها العبد الصالح ، أثارت استغراب موسى واستنكاره، وفي الوقت ذاته أثارت القارئ وشوقته لمعرفة حقيقة تلك الأفعال . وبذلك تحقق عنصر التشويق في القصة من خلال مجموعة من الأسرار التي تكشف في نهاية القصة . فالقرآن

(١) أسلوب الدعوة القرآنية : بلاغة ومنهاجاً : د. عبد الغني محمد سعد بركة : ٣٠٢ .
(٢) البيان القصصي في القرآن الكريم : ١٣٦.
(٣) ينظر : التصوير الفني في القرآن : سيد قطب : ١٨٣.
(٤) ينظر : سورة الكهف : ٦٠ – ٨٢ .

الكريم في قصة موسى (عليه الصلاة والسلام) مع العبد الصالح « يسرد المفاجآت من رجل غامض ؛ ليراها نبي مندهش ؛ لإبراز حكمة إلهية عليا » [1].

لقد أضفت المفاجآت المتلاحقة الكامنة في قصة موسى (عليه الصلاة والسلام) مع العبد الصالح – جوّاً من التشويق والإثارة على القصة ، فالقارئ يتابع بشغف وشوق الأحداث القصصية ، وكله تطلع لمعرفة ما ستسفر عنه تلك المواقف ، فموسى (عليه الصلاة والسلام) يتصرف وفق طبيعته البشرية التي تقف عاجزة عن قبول أعمال العبد الصالح ، لكن الدهشة والحيرة تزول بعد كشف حقيقة الأمر .

ونجد ذلك – أيضاً – في قصة سليمان (عليه الصلاة والسلام) مع ملكة سبأ التي دُهشت حينما رأت عرشها الذي تركته في مملكتها في بلاط سليمان ، بعد أن تم تنكيره ، فما كان منها إلا أن سألت إن كان الماثل أمامها هو عرشها الذي خلّفته في مملكتها ، « وكان السؤال نتيجة طبيعية للدهشة الفورية التي صاحبت المفاجأة ، مفاجأة أن ترى عرشاً كأنه عرشها » [2] .

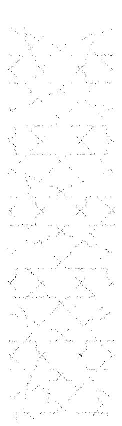
وسر العرش في القصة كشف لبعض النظارة وهم سليمان (عليه الصلاة والسلام) ومن كان في مجلسه وللمتابعين ، لكنه خفي عن ملكة سبأ التي ظلت تجهل ما علم غيرها [3].

في القصتين السابقتين تحققت المفاجأة من خلال وجود سر يكشف في نهاية المطاف ؛ مما يضفي على الأحداث القصصية مزيداً من التشويق والإثارة ، فالمتابع يبحث عن كشف حقيقة تلك الأسرار ، فيعيش حالة من الترقب ، حتى عندما يكون المتابع على علم بالسر ، فإنه يصبو إلى معرفة ردة فعل الشخصيات أو الأطراف التي كُتم عنها السر إزاء تلك الأحداث .

ومن صور المفاجآت في قصص القرآن الكريم تقديم حدث مفاجئ يسهم في قلب مسار الأحداث القصصية ، واتخاذها مساراً آخر مختلفاً ؛ مما يؤدي إلى إضفاء مزيد من الإثارة والتشويق على الأحداث القصصية ، ومن ذلك ما نطالعه من أحداث مفاجئة في قصة يوسف (عليه الصلاة والسلام) ، والحدث المفاجئ الأول تمثل في ظهور العزيز فجأة أمام زوجه ويوسف (عليه الصلاة والسلام) ، ﴿ **وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾** ﴾ (يوسف : ٢٥) .

---

(١) القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن) : ٣٠٤ .
(٢) نظرات في قصص القرآن : ٦٩ – ٧٠ .
(٣) ينظر : التصوير الفني في القرآن : ١٨٦ – ١٨٧ .



جسّدت الآية السابقة موقف امرأة العزيز التي راودت فتاها الذي تربى في بيتها عن نفسها ، بعد أن تهيأت له ، لكن المفاجأة القوية تحققت من خلال ظهور زوجها أمامها فجأة ، فما كان منها إلا أن اتهمت يوسف العفيف بمراودتها عن نفسها ؛ لإبعاد التهمة عنها ، وهكذا " فقد ألقت التهمة جميعها على يوسف في سرعة خاطفة . فلم يقل القرآن فكّرت ماذا تفعل ، أو حاولت في أمرها وأمر ذلك الرجل معها . لم يقل شيئاً من هذا ، وإنما صك النفوس بالتهمة في مفاجأة فنية مذهلة . وتمضي القصة بعد ذلك في فنية بارعة ، وفي إيجاز أعجب "[1] .

والملاحظ أن الحدث المفاجئ الثاني جاء مباشرة بعد الحدث الأول ، وتمثل في محاولة امرأة العزيز إلصاق التهمة بيوسف (عليه الصلاة والسلام) وتبرئة نفسها أمام زوجها ، فيوسف لم يكد يفق من هول المفاجأة الأولى ، وهي فعل المراودة ، إلا ووجد نفسه أمام مفاجأة أخرى ، وهي قلب الحقيقة . وهذا الجو المشحون بالمفاجآت أضفى على الجو العام للقصة مزيداً من التشويق والإثارة .

وفي القصة ذاتها نجد المفاجأة تبرز مرة أخرى من خلال حدث استخراج يوسف (عليه الصلاة والسلام) السقاية من رحل أخيه ، وكان لهذا الحدث المفاجئ وقعه على الإخوة ، ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (يوسف: ٧٦ – ٧٧) .

كان موقف الإخوة من المفاجأة التي حدثت غير مستغرب منهم ، فلم يدافعوا عن أخيهم ، وينفوا عنه التهمة ، بل ألصقوها به . فإخوة يوسف (عليه الصلاة والسلام) مازالوا في غيهم القديم ، ولم يتغيروا ، على الرغم من مرور الزمن ، وظنهم أنه قد مات منذ ألقوه في البئر ، فهم ما زالوا يغارون منه ويحقدون عليه .

لقد كانت تلك الحادثة بمثابة المفاجأة الفنية التي غيرت مسار الأحداث تماماً ، ودفعتها إلى الاقتراب من النهاية ، فيوسف أبقى أخاه عنده ؛ لكي يحضر والده يعقوب (عليهما الصلاة والسلام) ، وبهذا يجتمع شمل الأسرة مرة أخرى .

وفي قصة موسى (عليه الصلاة والسلام) نجد حدثاً مفاجئاً وقع بعد عودة موسى من موعده مع الله تعالى ، إذ وجد قومه يعبدون العجل الذي صاغه السامري من الذهب، فغضب غضباً شديداً

---

(١) السرد القصصي في القرآن الكريم : ثروت أباظة : ٢٧ .

من فعلتهم تلك . ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾ (طه: ٨٦).

كانت مفاجأة قوية لموسى (عليه الصلاة والسلام) عندما رأى قومه على تلك الحالة، فما كان منه إلا أن ألقى الألواح التي كان يحملها، وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته (عليهما الصلاة والسلام). ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ (طه: ٩٤).

وهكذا برز عنصر المفاجأة في قصص القرآن الكريم بوصفه عنصراً فنياً من عناصر تشويق المتابعين وجذبهم إلى متابعة أحداث القصص، من خلال مفاجأتهم بمواقف وأحداث غير متوقعة، لكنها تجيء في سياقها محققة الحكمة الإلهية التي سيقت من أجلها.

* * *

المبحث الرابع : براعة التصوير :

أسلوب التصوير من أبرز الأساليب التي تستثمرها قصص القرآن الكريم في تقديم مشاهد معبرة عن المواقف والأحداث والشخصيات والأماكن أبرع ما يكون التعبير ، وهو سمة فنية من سمات قصص القرآن الذي يتخذ من ألوان التصوير ما يتناسب مع موضوع القصة وغاياتها ، لذا نجد تنوعاً في ألوان التصوير في قصص القرآن الكريم ، فهناك تصوير بالحركة واللون والوصف والحوار والجرس وغيرها من ألوان التصوير الحافلة بها تلك القصص .

والتصوير « هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس ،والمشهد المنظور ،وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية.ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة،أو الحركة المتجددة،فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة،وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيٌّ ،وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيوردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل ؛ فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع ، حيث تتوالى المناظر ، وتتجدد الحركات ، وينسى المستمع أن هذا كلام يُتلى ، ومثل يُضرب ، ويتخيل أنه منظر يعرض ، وحادث يقع ... »[1] .

فأسلوب التصوير في قصص القرآن الكريم يعمل على تقديم مشاهد مختلفة تنبض بالحيوية والحركة ، في صورة حسية ماثلة أمام المتلقين ، فيبدو المشهد حاضراً في اللحظة نفسها، وتبدو الشخصية القصصية نابضة بالحركة والحيوية .

وهكذا فإن أسلوب التصوير يجعل من القصص القرآني « أداة فعالة ومؤثرة في جماهير المتلقين للعمل الفني ، كما ينشئ علاقة إيجابية بين محور العمل وعناصره وأحداثه وبين السامع أو القارئ لما يتضمنه التصوير الجمالي من حركة متدفقة تبعث الحياة فيما يُسمع أو يُقرأ من القصة . والتصوير الجمالي الحي يشيع جوّا من الحياة في ثنايا القصة ، بحيث تنطلق الأخيلة وتتتابع الصور على الأذهان ... »[2].

---

(١) التصوير الفني في القرآن : ٣٦ .
(٢) القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن) : ٣٣ .

وبهذا كان التصوير في قصص القرآن أسلوباً فنياً مؤثراً في المتلقين، وموصلاً إلى تحقيق الأغراض الدينية والتربوية أروع ما يكون التحقيق، بما يحدثه من تشويق وجذب للمتلقين الذي يقفون مبهورين من براعة التصوير المتمثلة في تقديم مشاهد حية نابضة بالحركة والحيوية، وشخصيات قصصية جاذبة ومؤثرة ومعبرة عن مقاصد قصص القرآن الكريم أجمل ما يكون التعبير.

والنماذج المعبرة عن براعة التصوير في قصص القرآن الكريم أكثر من أن تحصى، وفي هذا المقام سأقف عند بعضها، ومنها الوصف الدقيق للكهف والفتية في قصة أصحاب الكهف، فقد أبدع القرآن الكريم في وصف ذلك الكهف العجيب. ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الكهف: ١٧ – ١٨).

لقد هيأ الله تعالى الكهف لمكث الفتية تلك المدة الزمنية الطويلة، فالشمس تميل عنهم يميناً عند شروقها، وشمالاً عند غروبها، فلا تحرقهم الشمس، وكذلك جعلهم الله لا يمكثون على حالة واحدة، فكان الله تعالى يقلبهم في نومهم ذات اليمين وذات الشمال، حتى لا تأكلهم الأرض، وهم – أيضاً – في مكان واسع منفتح لا تدخله حرارة الشمس، وكان وجود الكلب – في مدخل الكهف – باسطاً ذراعيه كأنه يقوم بعملية الحراسة[١]، لقد كان «منظرهم يثير الدهشة، فهم نيام كالموتى، ولكنهم أيقاظ، وهم يتحركون تقلباً من جنب إلى جنب ولا يستيقظون، إن ذلك كله من تدبير الله.

إن المسرح بكل ما فيه من وسائل تعبيرية، يكاد يعجز عن تصوير الحركة المتموجة، حركة الشمس وهي تزاور عن الكهف عند مطلعها فلا تضيئه، وتتجاوزهم عند مغيبها فلا تقع عليهم، إن أسباب الحياة مهيأة لهم وهم رقود. «إن لفظ (تزاور) تصور مدلولها، وتلقي ظل الإرادة في عملها»[٢].

في الآيتين السابقتين صور القرآن الكريم تصويراً رائعاً ذلك الكهف العجيب، وحال الفتية داخله، إذ سيجد المتأمل تلك الصورة العجيبة ماثلة أمام عينيه، حاضرة بصورة موحية، معبرة عن قدرة الله تعالى الخالق المدبر.

(١) ينظر: القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن): ٢٥٢ – ٢٥٣. والبيان القصصي في القرآن: ٢٣.
(٢) القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن): ٢٥٢.

ونقل القرآن الكريم بالكلمات هيئة أولئك الفتية في مشهد تصويري، أضفت عليه صيغة المضارع معنى الإحضار والتجدد [1]، من خلال استعمال الأفعال المضارعة (وترى، وتحسبهم، ونقلبهم).

ومن ذلك – أيضاً – استحضار مشهد هلاك الطاغية فرعون ومن معه من القوم الكافرين ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٣ – ٦٦).

جسّدت الآيات السابقة مشهد انفلاق البحر، ونجاة موسى (عليه الصلاة والسلام) ومن معه من المؤمنين، وغرق فرعون ومن معه من الكافرين، بحيث يطالع المتابع مشهداً تاماً معبراً عن نهاية طاغية. لقد تمثل المشهد السابق في نبي مطارد من قبل طاغية، ووصل البحر، والطاغية خلفه، فأوشك النبي على الهلاك، لكن مشيئة الله وإرادته تدخلت في الموقف، فأمر رسوله بضرب البحر بعصاه الحاضرة معه في مواقف عدة، فانفلق البحر؛ استجابة لإرادة المولى تعالى، فنجا موسى (عليه الصلاة والسلام) وقومه، وهلك الطاغية وقومه.

صور القرآن الكريم ذلك المشهد تصويراً بارعاً موجزاً، زاد من هيبته الحضور الإلهي من خلال الإيحاء إلى موسى (عليه الصلاة والسلام) بضرب البحر بالعصا، ففي المشهد السابق أمر إلهي ورسول وطاغية وعصا عجيبة وبحر ينقسم قسمين، كل قسم كان كالجبل، ونجاة لقوم، وهلاك لقوم آخرين. والقصة صورت كل هذا بكلمات موجزة تعدُّ آية من آيات الإعجاز والبيان.

وفي موضع آخر صوّر القرآن الكريم حال الطاغية فرعون ساعة هلاكه ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (يونس: ٩٠ – ٩١).

في الآيتين السابقتين تصوير مشهد غرق فرعون الذي بادر بإعلان إيمانه عندما أدركه الغرق، لكن إيمانه في تلك اللحظة كان بعد فوات الأوان ! فهو إيمان المضطر، وكانت عاقبته نتيجة حتمية لطغيانه وظلمه، وقد استحضرت الآيتان السابقتان المشهد بصورة موجزة موحية مؤثرة مشوقة.

---

(١) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن: د. التهامي نقرة: ٨٩.

صورت القصة القرآنية ذلك المشهد تصوير حافلاً بالحيوية والحركة والتشويق، فالمتابعون لحركة الهروب الكبير الذي قاده موسى (عليه الصلاة والسلام) من بطش فرعون، والمطاردة الكبيرة من قبل الطاغية فرعون - يعيشون مع المشهد في تلك القصة بكل تفاصيلها، فرحين بنجاة رسول الله، وهلاك الطاغية؛ مما يعمق من إيمان المؤمنين بالله تعالى، أما الطغاة في كل عصر فتعلق تلك النهاية المأسوية بهم، وتظل تطل برأسها، تذكرهم بنهاية كل ظالم جبّار!

وفي سورة هود يطالعنا مشهد ركوب نوح (عليه الصلاة والسلام) الفلك ومن معه، وغرق الأرض، وطلب نوح من ابنه الركوب معه في الفلك، لكنه يأبى، بزعمه أنه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء. ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (هود: ٤١ - ٤٣).

صوّر القرآن الكريم مشهد ارتفاع الماء ارتفاعاً عظيماً، حتى غطى قمم الجبال، والسفينة تسير وسط هذه المياه كالجبل، وفي هذه الأثناء تبرز عاطفة الأبوة، فنجد نوحاً (عليه الصلاة والسلام) يدعو ابنه إلى الركوب معه في السفينة، لكن العناد والشقاوة والجهل يغلب عليه، فظن أن الجبل سيعصمه من قضاء الله تعالى، فذكّره الأب بأنه لا عاصم اليوم من قضاء الله تعالى. وهذه المشاعر الإنسانية المتباينة والمواقف العظيمة جسّدتها وصورتها القصة القرآنية بصورة محسوسة، بحيث تبدو ماثلة أمام المتابعين، كأنها لوحة فنية أو مشهد ماثل أمام النظارة.

وفي سورة يوسف يبدع القرآن الكريم في تصوير مشهد مراودة امرأة العزيز يوسف (عليه الصلاة والسلام). ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (يوسف: ٢٥ - ٢٩).

صوّرت القصة القرآنية في الآيات السابقة مشهداً من مشاهد الضعف البشري، يتمثل في مراودة امرأة العزيز فتاها (يوسف) عن نفسه، فقد تهيأت له، وراودته عن نفسه، فحاول

الفرار منها، واستبقا الباب، فقدت قميصه من دبر، لكنه تمكن من الإفلات منها، فظهر فجأة الزوج؛ ليجد زوجته والفتى الذي رباه في بيته، وعامله كابنه على تلك الحال!

نطالع في الآيات السابقة مشهداً تاماً صوّره القرآن ببراعة، بحيث يمكن للمتابع عندما يحاول أن يتخيل ذلك المشهد أن يراه كأنه لوحة مسرحية تمثل أمام عينيه -إن صح هذا التعبير- فالكلمات نقلت تلك الصورة من صورة معنوية إلى صورة حسية تنبض بالحركة والحيوية، فتحبس أنفاس المتابعين، ويظلون مشدودين لمتابعة ذلك الموقف الذي يمثل جانب من جوانب النفس البشرية، الذي صورته القصة القرآنية بصورة نظيفة موحية، بعيدة كل البعد عن إثارة الغرائز كما نجده في كثير من قصصنا المعاصرة.

ومن صور براعة التصوير في قصص القرآن الكريم تصوير الشخصيات القصصية، ومن نماذج ذلك ما جاء في سورة المدثر من وصف للوليد بن المغيرة: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (المدثر: ١١ - ٢٥).

نزلت الآيات السابقة في الوليد بن المغيرة المخزومي الذي قال لبني مخزوم بعد استماعه للقرآن الكريم: « والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى عليه؛ فقالت قريش: صبا والله الوليد، والله لتصبأنّ قريش كلهم؛ فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزيناً وكلّمه بما أحماه، فقام فأتاهم فقال: تزعمون أنّ محمداً مجنون، فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون إنه كاهن، فهل رأيتموه قط يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط؟ وتزعمون أنه كذّاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل، فارتج النادي فرحاً، وتفرقوا معجبين متعجبين منه »[1].

استمع الوليد إلى القرآن الكريم، وعلم أنه الحق، فوصف بلاغته وفصاحته، فخشيت قريش أن يسلم فتسلم قريش، فطلب منه أبو جهل أن يقول في القرآن كلاماً غير الذي قال، فاستجاب له ووصف القرآن الكريم بأنه قول ساحر.

---

(١) الكشاف: ٤/ ٦٣٦.

قدّم القرآن الكريم تصويراً بديعاً لحال الوليد في أثناء بحثه عن كذبة يقولها في القرآن الكريم . والمتدبر للآيات التي تصفه ستقفز أمامه صورته وهو على تلك الحال ، فكان يبحث عن كذبة يقولها ليرضي قومه ، وهو يعلم أنه يكذب وهم يعلمون كذبه ، لكنه العناد ، فهيأ نفسه ، وأرهقها في التفكير .

وبعد أن وجد ما يقوله في القرآن الكريم ؛ لإرضاء قريش ، نظر في وجوه الناس نظرة المتكبر المتغطرس ، بعد أن أعرض عن الحق الذي علمه واستكبر عن قبوله [1] .

وهكذا قدّمت القصة القرآنية تصويراً دقيقاً لمشاعر الوليد التي سيطر عليها العناد والاستكبار ، واتسمت الصورة بالحركة والحيوية ، فبدت صورته أشبه ما تكون باللوحة الفنية المعبرة بجلاء عنه ، والمتدبر للآيات القرآنية تدبراً حقيقياً ، فإن صورة الوليد في تلك اللحظة ستقفز أمام عينيه ماثلة حاضرة معبرة عن العناد والاستكبار والكذب .

وهكذا بدا أسلوب قصص القرآن الكريم في تصوير المشاهد والمواقف والشخصيات واستحضارها وسيلة ناجعة جمعت بين تحقيق المقاصد الدينية والتربوية لتلك القصص ، وبين إحداث الأثر المطلوب لدى المتلقين الذي يتابعون أحداث تلك القصص متشوقين إلى معرفة ما ستؤول إليها ، ومبهورين من براعة القرآن الكريم في تصوير تلك المواقف والشخصيات بتلك الصورة الفنية المشوقة الجاذبة المؤثرة التي تبهر المتابعين وتدهشهم .

* * *

---

(١) ينظر : الكشاف : ٤ / ٦٣٦ – ٦٣٧ .

المبحث الخامس : فنية الحوار :

الحوار عنصر من العناصر الفنية المهمة التي تشكل أسلوب القصة ، وكثيراً « ما يكون الحوار السلس المتقن مصدراً من أهم مصادر المتعة في القصة ، وبواسطته تتصل شخصيات القصة بعضها بالبعض الآخر ، اتصالاً صريحاً مباشراً ، وبهذه الوسيلة تبدو لنا وكأنها تضطلع حقاً بتمثيل مسرحية الحياة »[1].

ومن وظائف الحوار القصصي الكشف عن جوانب خفية في الشخصيات ، وتطوير الأحداث ، وتوضيح فكرة القاص ، وتحقيق أهدافه ، والكشف عن الصراعات ، وإكمال بعض الجوانب التي لم يستحضرها السرد والوصف .

ومن أهم الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الحوار أن يكون سلساً رشيقاً موجزاً ، يتفق مع طبيعة شخصية المتحدث من مختلف الجوانب .

وفي قصص القرآن الكريم كان الحوار من العناصر الفنية المهمة « فهو الذي يبعث الحياة والحركة في الحدث ، ويؤدي إلى الهدف ، ويُظهر المغزى ، ويكشف عن مدى الصراع في المواقف المتغايرة ... كما أنه يترجم عن الشخصية ، ويستبطن انفعالاتها وأزماتها ، ويضعها في إطار نفسي معين ، ويزج القارئ في تجربة القصة ليعيشها ، وتنقله من عالمه إلى عالمها ... »[2] .

ويسهم الحوار – أيضاً – في الكشف عن جوانب خفية في حياة الشخصيات ، والتعبير عن مواقفها إزاء الأحداث المختلفة ، ويعمل على تطوير الأحداث القصصية ، ويلون الأسلوب القصصي ، ويثري الجدل ، ويبعث الحياة في المشاهد والمواقف المرسومة ، وغيرها من الوظائف الفنية والموضوعية التي أكسبت الحوار أهمية في بناء تلك القصص ؛ وبهذا كان الحوار وسيلة ناجعة من وسائل قصص القرآن الكريم في تحقيق الأهداف العقدية والتربوية. ويؤكد ذلك اعتماد القصص القرآني على أسلوب الحوار بصورة واضحة تلفت نظر المتابعين .

ويعدّ الحوار أسلوباً من أساليب التشويق في قصص القرآن الكريم المتعددة ، فهو من العناصر التي تشدنا إليه ، فالتلوين والتنويع في الأسلوب ، والانتقال من شخصية إلى أخرى أو أكثر ، وتدافع الآراء والأفكار – يمنح تلك القصص تشويقاً وحركة وحيوية ، ويثير انفعالات المتلقي ، ويجعله أكثر تحفزاً وتشوقاً لتلقي الأحداث ، ومتابعة مصير الشخصيات المختلفة[3].

---

(١) فن القصة : ١١٧ .
(٢) سيكولوجية القصة في القرآن : ٤١١ .
(٣) ينظر : الحوار القرآني بين التفسير والتبصير : أحمد سنبل : ٩ – ١٠. و الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني : ٤٥ . والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه : ١١٩ – ١٢٣.

ومن العوامل التي أكسبت الحوار في قصص القرآني مزيداً من التشويق والإثارة تنوع مصادره ، فتارة يكون الحوار بين الله تعالى وملائكته ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (البقرة : ٣٠ - ٣٢) .

في الآيات السابقة بلّغ الله تعالى ملائكته بجعله آدم (عليه السلام) وذريته خلفاء في الأرض ، وقدّم الجار والمجرور (للملائكة) ، وأخّر المقول (إني جاعل في الأرض خليفة) ؛ « وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطّرد لما في المقول من الطول غالباً ، مع ما فيه من الاهتمام بما قدّم ، والتشويق إلى ما أخر ... » [1] .

من خلال الحوار السابق بيّن الله تعالى لملائكته الحكمة من ذلك ، إذ جاء عرض الأمر عليهم ليسألوا من جانبهم عن الحكمة من جعل آدم خليفة ، ويجيب الله تعالى من جانبه عن سؤالهم ، وقيل : ليعلّم الله تعالى عباده مبدأ الشورى في الأمر قبل الإقدام على الأعمال [2] .

ويلحظ أن الملائكة تشوقوا لمعرفة الحكمة من استخلاف الله تعالى آدم (عليه السلام) في الأرض دونهم .. وكان المشهد الحواري « الذي أداره الله تعالى بينه جلا وعلا وبين ملائكته الأبرار في غاية الإثارة والشوق ، إنه يحرك العقل الإنساني إلى النظر والتبصر والتدبر في كلماته ومعانيه ومغزاه العميق ، وبهذا يرتقي الإنسان ويتقدم » [3] .

وفي موضع آخر نطالع حواراً بين الله تعالى وإبليس الذي جادل الله تعالى محتجاً على حكمه وقضائه ، ومتكبراً عن الانصياع لأمره تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأعراف : ١٢ - ١٨) .

---

(١) تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) : الإمام أبو السعود : ١ / ٧٩ - ٨٠ .
(٢) ينظر : الكشاف : ١ / ٨٢١ .
(٣) الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني : ٧٥ - ٨٥ .

وكانت نتيجة الحوار أن أمر الله تعالى إبليس بالخروج من الجنة أو من السماء أو من بين الملائكة، ثم وجه الله تعالى وعيده إلى إبليس ومن سيتّبعه بأن مصيرهم وعاقبتهم النار [1].

وبعد ذلك يتخذ الحوار مساراً آخر، ويتجه وجهة أخرى، فتكون البداية بمخاطبة الله تعالى آدم وزوجه حواء (عليهما السلام)، محدداً لهما مكان إقامتهما، ومحذرهم من الاقتراب من الشجرة، ومن ثم يأتي دور إبليس الذي يوسوس لهما؛ ليأكلا من الشجرة، فاستجابا له، وكان نتيجة ذلك أن قدّر الله تعالى عليهما الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٩- ٢٥).

في الآيات السابقة كان الحوار وسيلة فنية لسرد الأحداث القصصية، وبدا جزءاً مهماً في بناء القصة، إذ شكلت الجمل الحوارية السابقة مشهداً معبراً عن تكبر إبليس وعناده، وإنابة آدم وحواء (عليهما السلام) وتوبتهما الصادقة عمّا صدر عنهما. وكشف الحوار عن عدّهما ما صدر عنهما من ذنب ظلماً، وهذا " على عادة الأولياء الصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات، واستصغارهم العظيم من الحسنات " [2].

وهناك جانب آخر مهم في الجمل الحوارية السابقة يتمثل فيما حملته من تشويق وإثارة، تجعل المتابع يعيش تحت وطأة ذلك الموقف الرهيب المترتب عن مجادلة إبليس الله تعالى، واحتجاجه على قضائه، ونتج عن ذلك طرده من الجنة، فما كان منه إلا أن قام بالوسوسة لآدم وحواء (عليهما السلام)، ونجح في إغوائهما بمعصية أمر الله تعالى، لكنهما تابا إلى الله تعالى، فأمرهما بالهبوط إلى الأرض.

لقد حملت الجمل الحوارية في الآيات السابقة كل هذه الأحداث والمواقف الرهيبة، وقدّمتها بصورة مشهد حواري مشوق، كان الخطاب الرباني المتمثل في مخاطبة الله تعالى إبليس وآدم وحواء (عليهما السلام)، من أهم العوامل التي منحته جلالاً وهيبة وإثارة.

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢ / ٢٢٠.
(٢) الكشاف: ٢ / ٩٣.

في الجمل الحوارية السابقة نلحظ تعدد مصادر الحوار، فهناك البشر ممثلين في آدم وحواء (عليهما السلام)، وهناك إبليس، وقبل ذلك كله منح الخطاب الرباني تلك القصص الجاذبية والإثارة والتشويق، فالمتابع يقف منبهراً متعجباً من عناد إبليس وتكبره الذي أوصله إلى الاحتجاج على قضاء الله تعالى وقدره، يضاف إلى ذلك أن الله تعالى قد منحه الفرصة كاملة للتعبير عن رأيه، وفي هذا توجيه رباني إلى ضرورة نشر ثقافة الحوار في المجتمعات.

وهكذا نجد أن تعدد مصادر الحوار في القصص القرآني يعمل على تقديم وجهات نظر متباينة، تعبر بجلاء عن كنه اتخاذ الشخصيات المتحاورة للمواقف الصادرة عنها.

والحوار في القصص القرآني يأتي بين الرسل والملائكة [1]، ومن نماذجه الحوار الذي جرى بين إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) وضيفه من الملائكة: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الذاريات: ٢٤ - ٣٧).

نقل الحوار السابق بين إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) وأضيافه من الملائكة حلقة من حلقات قصة إبراهيم التي جاءت في القرآن الكريم في مواضع عدة، وكشف عن حالة الخوف التي عاشها ساعة دخولهم عليه، وحالة زوجه عندما بشروها بغلام، وهي عجوز عقيم!

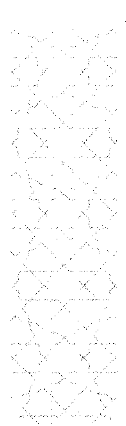
ونلحظ تعدد أطراف الحوار، إذ بدأ الحوار بين إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) وأضيافه من الملائكة، وكان السلام بداية الحوار، فبادروه بعد الدخول عليه بقولهم: سلاماً، ورد التحية قائلاً: سلام، أي عليكم سلام، وفي هذا مزيد من الإكرام، فالتعبير بالجملة الاسمية يدل على ثبات السلام، « كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به؛ أخذاً بأدب الله تعالى » [2].

والجانب الآخر من إكرامه لهم أنه قدم لهم عجلاً سميناً، لكنهم لم يأكلوا منه شيئاً، فأنكر عليهم ترك الأكل، وأضمر في نفسه خيفة منهم؛ ظناً منه أنهم يريدون به سوءاً، لكنهم أخبروه بأمرهم، وبشروه بغلام، وهنا تتداخل زوجه في الحوار، فتتعجب من أن

---

(١) من نماذج الحوار بين الرسل والملائكة الحوار الذي كان بين داود (عليه الصلاة والسلام) والملكين اللذين تسورا المحراب. ينظر: سورة ص: ٢٢ - ٢٤.

(٢) الكشاف: ٤ / ٣٩١ - ٣٩٢.



يأتيها غلام، وهي عجوز عقيم، فأجابوها بأنهم رسل من الله تعالى القادر على كل شيء.

واتخذ الحوار بعد ذلك صورة أخرى، إذ أخبر الملائكة إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) بسبب نزولهم، وبينوا له أنهم مرسلون بالعذاب إلى قوم لوط [1].

في الحوار السابق نجد تعدداً في مصادر الحوار، وتنوعاً في الموضوعات التي دار الحوار حولها، إذ جمع الحوار السابق بين خوف إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) من ضيوفه، والبشارة بالغلام، والإنذار بالعذاب لقوم لوط (عليه الصلاة والسلام).

وفي سورة مريم يطالعنا حوار متعدد الأطراف، في البداية نطالع حواراً طرفاه مريم والملك الذي أرسله الله تعالى إليها متمثلاً في صورة بشر، وقد أخبرها بأنه رسول الله إليها، ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ (مريم: ١٧-٢١).

في الحوار السابق تجسيد لحال مريم بعد أن جاءها الملك في صورة بشر سوي؛ ليخبرها بأنه رسول من الله تعالى إليها، وأنه سيكون سبباً في هبة الغلام. وفي كلمة هبة بشارة من الله تعالى، وفي الوقت ذاته ابتلاء عظيم لها، لكنها واجهت الأمر بالاستعاذة بالله من ذلك الملك إن كان ممن يخشى الله تعالى. فالحوار السابق أظهر جانباً من جوانب شخصية مريم العذراء البتول المؤمنة بالله تعالى، يتمثل في لجوئها إلى الله تعالى في السراء والضراء، إذ لجأت إليه في أثناء مواجهة ذلك الابتلاء العظيم، فاستعاذت بالله تعالى من ذلك المَلك، وكانت قبل ذلك قد اعتزلت الناس؛ لعبادة الله تعالى.

إن ما تعرضت له مريم من ابتلاء يعدّ أمراً عجيباً في مقاييس البشر، فكيف يكون لمريم العذراء البتول غلام دون أن يمسها بشر؟ لكن الأمر يسير على الله تعالى الذي خلق آدم من غير أب أو أم، فهو – سبحانه – قادر على خلق عيسى (عليه الصلاة والسلام) دون أب.

وجاء الحوار متفقاً مع طبيعة شخصية مريم في ذلك الموقف العصيب، فهي متوقعة كل ما ستتعرض له من تكذيب واتهام من قبل قومها.

ويتواصل الحوار في القصة بعد ذلك في الكشف عن مراحل تلك القصة العجيبة، ويتخذ الحوار صورة أخرى مختلفة، ففي البداية نطالع الحوار الداخلي الصادر عن مريم بعد أن علمت

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤ / ٣٩٢ – ٣٩٣.

أن الأمر قد قضي ، وليس أمامها سوى الرضا بقضاء الله وقدره ، فلجأت إلى مكان بعيد عن أهلها وراء الجبل ، وقيل : أقصى الدار [١] . وتمنت لو كانت شيئاً تافهاً ينساه الناس ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ (مريم : ٢٢ - ٢٣).

وتمنيها أن تكون شيئاً تافها لا كراهة لحكم الله تعالى ، وإنما يرجع إلى فرط حيائها ، أو لشدة التكليف عليها إذا اتهمها قومها بالزنا [٢] .

والتشويق يتواصل في الحوار من خلال دخول طرف آخر ، قيل : إنه جبريل (عليه السلام) ، وقيل هو عيسى (عليه الصلاة والسلام) ، فكان في حديثه معها بشارة بعيسى ، وتقديم معجزة ظهور عين الماء ، والرُّطب في فصل الشتاء ، وحمل - أيضاً - توجيها ربانياً بطريقة مجابهة الناس [٣] ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ (مريم : ٢٤ - ٢٦).

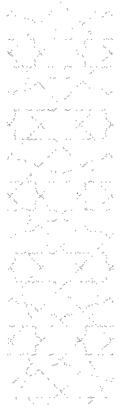
ويتلون الحوار مرة أخرى بصورة مشوقة جاذبة من خلال دخول طرف جديد يتمثل في قومها الذي حملوا عليها ، فاتهموها زوراً وبهتاناً بأنها جاءت شيئاً عظيماً منكراً .﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًۭٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ (مريم : ٢٧ - ٣٢).

عملت مريم بأمر الله تعالى لها ، فلم ترد على افتراءاتهم ، واكتفت بالإشارة إلى عيسى (عليه الصلاة والسلام) ، فغضبوا منها ظناً أنها تسخر بهم ، لكن الله تعالى أنطقه بالحق ، فدحض ادعاءاتهم الباطلة .

في قصة مريم انتقل أسلوب العرض من السرد إلى الحوار ، فالقصة كانت تعتمد أسلوب السرد في عرض أحداثها ، إذ قصّ الله تعالى تلك القصة العجيبة قائلاً :﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ (مريم : ١٦).

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣ / ١٠.
(٢) ينظر : الكشاف : ٣ / ١١.
(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ٣ / ٢٦٢ - ٢٦٣ .



ثم انتقلت القصة من أسلوب السرد إلى أسلوب الحوار بين مريم والملَك، ومن ثم بينها وبين قومها، بالإضافة إلى الحوار الداخلي الذي عبّرت من خلالها عن شدة الابتلاء الذي تعرضت له.

وقد وصف ثروت أباظة الحوار في قصة مريم قائلاً: " أرأيت كيف انتقل السرد إلى الحوار، أرأيت أن الحوار هنا لا يمكن أن يستبدل بأي وسيلة أخرى من وسائل العرض القصصي، فكأنما خلق الحوار ليكون في هذا المكان. وقد جاءت النقلة طبيعية، فأنت تحسُّ بها كالطريق الحريري الممهد تسير فيه الكلمات طيعة مواتية. ثم أترى إلى العرض النفسي لمريم، وكيف يؤدي الحوار توجساً وخوفاً في روعة أخاذة. إن الحوار هنا يؤدي في كل كلمة تطوراً في الحدث والشخصية معاً " [1].

ومن صور الحوار الأخرى التي اشتملت عليها قصص القرآن حوار الرسل مع أقاربهم، ومن ذلك حوار إبراهيم مع ابنه (عليهما الصلاة والسلام) بعد الرؤيا التي رآها في منامه ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الصافات: ١٠٢).

كشف الحوار السابق بين إبراهيم وابنه (عليهما الصلاة والسلام) الموقف الرهيب الذي عاشاه بصورة مؤثرة مشوقة، وأبرز قوة إيمانهما بالله تعالى وتوكلهما عليه، فإبراهيم كانت قد ألحت عليه رؤيا رآها في منامه، مفادها أنه يذبح ابنه، فعلم أنها أمر من الله؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي، فعرض الأمر على ابنه؛ ليشركه معه في الأمر [2].

وهكذا كان الحوار وسيلة قصص القرآن الكريم في عرض تلك القصة العجيبة الفريدة، من خلال تقديم مشهد متكامل، أو لوحة متكاملة لذلك الموقف العجيب المثير الذي قدمته القصة القرآنية من خلال الحوار المعجز بين الأب وابنه [3].

جسّد المشهد الحواري السابق الصراع النفسي الشديد الذي عاشاه، ويلحظ على الحوار فيه « أنه يعتمد على الحكاية - حكاية مقولات القائلين - ونقلها على ألسنتهم ... ويلحظ الباحث كذلك أن الحوار السابق ... هو حوار من النوع القصير غير الممتد، فهو في غاية التركيز، ومع هذا صوّر الحوار الموقف تصويراً تاماً تناول القضية المحورية من جميع جوانبها، فالمشهد الحواري السابق مشهد قصير، ولكنه يجمع أجزاء الحدث كلها » [4].

---

(١) السرد القصصي في القرآن الكريم: ٩١ - ٩٢.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ١٥ / ٩٩ - ١٠٣.
(٣) من نماذج الحوار بين الرسل (عليهم الصلاة والسلام) وأقاربهم الحوار الذي جرى بين نوح (عليه الصلاة والسلام) وابنه عندما طلب منه الركوب معه في السفينة. ينظر: سورة هود: ٤١ - ٤٣.
(٤) الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني: ٧٩ - ٨٠.

ومن حوارات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) مع أقاربهم الحوار الذي كان بين إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) وأبيه ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ (مريم : ٤٢ – ٤٨).

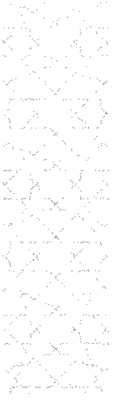
في الحوار السابق نصح إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) أباه ووعظه بأسلوب مؤدب يتسم باللطف والمجاملة ، على الرغم من شناعة ما ارتكب الأب من كفر . وكانت ردة فعل الأب مغايرة لما جاء في قول إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) ، إذ أقبل عليه متوعداً ومهدداً وآمراً بأن يهجره . أما إبراهيم فاستجاب لأمر أبيه فاعتزلهم بالهجرة إلى الشام ، مع مواصلة اعتماد أسلوب اللطف في المعاملة ، وبرز ذلك في قوله لأبيه : (سلام عليك سأستغفر لك ربي)[1] .

ومن صور الحوار التي جاءت في قصص القرآن حوار الرسل مع أقوامهم ، وهذا النوع من الحوارات كان له حضور لافت في قصص القرآن ، فالرسل (عليهم الصلاة والسلام) أصحاب رسالات ودعوات ، والحوار مع أقوامهم كان وسيلة من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، وتوضيح الأفكار ، والرد على الشبه ، ومن نماذج ذلك ما نطالعه في سورة البقرة في قصة موسى (عليه الصلاة والسلام) مع قومه من بني إسرائيل ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوٓا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (البقرة : ٦٧ – ٧١).

جسّد الحوار السابق بين نبي الله موسى (عليه الصلاة والسلام)وقومه قصة مكتملة الجوانب ، تمثل حلقة من قصة موسى التي جاءت في القرآن الكريم ، فقد أمر الله تعالى بني إسرائيل بأن يذبحوا بقرة ، ويضربوا القتيل ببعضها ليحيا ، فيخبرهم بقاتله ، فلم يمتثلوا لأمر

---

(١) ينظر : الكشاف : ١٧ – ٢١.



الله تعالى مباشرة، وترددوا، وظلوا يساءلون موسى عن حقيقة تلك البقرة! لقد جاء أمر الله تعالى بذبح بقرة، أي بقرة، لكنهم تشددوا فشدد الله تعالى عليهم، ولو أنهم استجابوا لأمر الله تعالى من الوهلة الأولى، فذبحوا أول بقرة يجدونها لكفتهم [1].

لقد جاء الحوار في القصة السابقة مثيراً ومشوقاً وكاشفاً عن حال أولئك القوم الذين شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وأظهر عنادهم، وترددهم في تنفيذ أمر الله تعالى. وقد عبّر قوله تعالى في الآيات السابقة: (وما كادوا يفعلون) عن ترددهم في تنفيذ أمره تعالى.

وفي قصة سليمان (عليه الصلاة والسلام) في سورة النمل نطالع حواراً مختلفاً يتمثل في الحوار الذي جاء بين نبي الله تعالى سليمان (عليه الصلاة والسلام) و الهدهد [2]. ومن ثم يتخذ الحوار صورة أخرى في القصة نفسها، إذ ينتقل إلى حوار من نوع آخر، يتمثل في حوار بين سليمان (عليه الصلاة والسلام) والجن الذين سخرهم الله تعالى له [3].

وهكذا نجد أن الحوار في قصص القرآن كان عنصراً من العناصر الفنية التي منحت تلك القصص مزيداً من التشويق والإثارة، من خلال تقديم مشاهد حوارية تتسم بتعدد مصادر الحوار، فنطالع فيها حوارات يشترك فيها فئات متباينة، منهم الرسل والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، والملائكة، والجن، والصالحون، والطالحون، وحتى الحيوان كان له حضور في هذه الحوارات. ومع هذا التنوع والتعدد في مصادر الحوار في قصص القرآن إلا أنه حافظ على مستوى الأداء الفني المعجز، وجاء متفقاً مع طبيعة الشخصيات والمواقف المختلفة، فتارة نراه مجملاً، وتارة أخرى نراه مفصلاً؛ وذلك بحسب ما يقتضي المقام.

وهو – أيضاً –لم يسلك « مسلك التبسط فحسب، بل رسم فيها معالم الشخصيات الإنسانية، بالتعبير عن خواطرهم النفسية وآرائهم ومواقفهم، وما شجر بينهم من صراع، على طريقة الحكاية عنهم، ونقل أقوالهم نقلاً أميناً لا مبالغة فيه ولا افتعال ...

وهو لا ينقل كل ما دار بينهم، وإنما يختار اللقطات الموحية، والعناصر الحية التي تحقق الغرض، وتفي بالحاجة، وتكون أكثر دلالة ومغزى » [4].

أما أجل وأروع ما في الحوار في قصص القرآن فكان الخطاب الرباني في بعض تلك القصص، إذ منحها جلالاً وهيبة وتشويقاً وجاذبية.

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ١ / ١١٠ – ١١٣. و الكشاف: ١ / ١٥٠ – ١٥٤.
(٢) ينظر: سورة النمل: ١٨ – ٢٨.
(٣) ينظر: سورة النمل ٣٨ – ٤١.
(٤) سيكولوجية القصة في القرآن: ٤١١.

المبحث السادس : الاقتصار على تقديم الجوانب المهمة :

من عناصر التشويق والإثارة والجاذبية والقوة في قصص القرآن الكريم الاقتصار في تقديم العناصر الفنية على الجزئيات والتفصيلات والجوانب المهمة المتصلة بموضوع القصة وبتحقيق مقاصدها العقدية والتربوية، إذ يقوم أسلوب تلك القصص على مبدأ اختيار اللقطات الحية المعبرة من الوقائع التاريخية، وذكر الأوصاف والتفصيلات المتعلقة بالشخصيات والأماكن والأزمنة المؤثرة في مسار القصة، ويعنى « بإبراز الأحداث ذات الشأن في موضوع القصة، دون الالتفات إلى الجزئيات التي يُشير إليها واقع الحال، وتدل عليها دلالات ما بعدها وما قبلها من صور، وذلك ممّا يُشوّق القارئ ويُوقظه، ويفرض عليه مشاركة فعالة في تكملة أجزاء القصة، واستحضار ما غاب من أحداثها، وهذا ما يجعله يندمج في القصة، ويعيش في أحداثها، ومن ثم يتأثر بها، وينتفع بما فيها من عظات وعبر »[1].

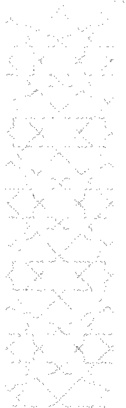
أما الجوانب غير المهمة فلا يُلتفت إليها، حتى لا تصرف المتابع عن التدبر والاعتبار. وهذا المنهج المتبع في قصص القرآن الكريم يمنحها مزيداً من التشويق والجاذبية، إذ يظل المتابع مرتبطاً بموضوع القصة، ومشدوداً لمتابعة تطورات أحداثها، ومصير شخصياتها.

إن القصة القرآنية تكتفي في تقديم الشخصيات بذكر الأوصاف ذات الصلة بموضوع القصة ومقاصدها، وتقتصر على ذكر الأحداث المؤثرة في بنائها، وحينما تتحدث عن الزمان والمكان الذي جرت فيهما الأحداث، فإنها تكتفي – أيضاً – بذكر التفصيلات المهمة، أما التفصيلات التي لا قيمة لها فتتجاوزها.

وفي هذا المقام سأعرض نماذج توضح طريقة قصص القرآن الكريم في التعامل مع هذه العناصر، ففي قصة موسى (عليه الصلاة والسلام) مع العبد الصالح، لم تصرح القصة باسم العبد الصالح، ولم تبين حقيقته، ولم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى المكان الذي قَدِم منه، أو مصيره بعد انتهاء رحلته العجيبة مع نبي الله موسى (عليه الصلاة والسلام)، فشخصيته – كما جاءت في القصة القرآنية – مجهولة للمتابعين، إذ اكتفت بوصفه بأنه عبد أتاه الله من لدنه علماً. ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف : ٦٥). وهذا الجانب الذي كشفته القصة القرآنية هو الجانب الأبرز في شخصيته، وهو – أيضاً – الجانب الجدير بالالتفات إليه.

---

(١) القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور : ٥٦. وينظر : سيكولوجية القصة في القرآن : ٨٧.



ونلحظ هنا أن إحاطة شخصية العبد الصالح بهذه الهالة من الغموض منحها مزيداً من التشويق والإثارة ، إذ تثير مجموعة من الأسئلة في أذهان المتابعين ، لكن سرعان ما تزول تلك الأسئلة بعد أن يقف المتابع على المغزى الذي رسخته تلك الشخصية العجيبة .

وفي قصة الفتية أصحاب الكهف والرقيم نجد أن القصة القرآنية لم تذكر لنا أسماء الفتية ولا عددهم ، ولا اسم الملك الذي ظهروا في عصره ، ولا المكان الذي كانوا يعيشون فيه ، ولا موقع الكهف العجيب الذي لجؤوا إليه ، بل اكتفت بإخبارنا بأن أصحاب الكهف والرقيم فتية آمنوا بربهم [1] ، « أما أسماؤهم ووظائفهم وموطنهم وغير ذلك من وسائل التعريف ، فليس شيء من ذلك بضروري للبناء القصصي هنا ، إذ القصة لا تقدم تاريخاً ، ولا تحليلاً نفسياً ، بقدر ما تقدم عبرة وعظة من حدث وقع لهذه الجماعة في إحدى دورات الحياة ، إذ المهم أن نتعرف على هذا الجانب فحسب من أبطال القصة ، وما زاد على ذلك يكون ثرثرة وحشواً لا فائدة منه » [2].

وفي قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف [3] لم تطلعنا القصة القرآنية على اسم الرجل صاحب الجنتين أو مكان ظهوره أو العصر الذي عاش فيه ، ولم تكشف لنا عاقبته ، وكذلك الحال مع صاحبه ، فالمهم في الأمر العبرة التي قدمتها القصة .

وفي قصة ذي القرنين [4] - أيضاً -لم تفصح القصة القرآنية عن حقيقة ذي القرنين . وكان الاختلاف حول تحديد شخصيته من أهم الأسباب التي منحت القصة مزيداً من التشويق ، فالسؤال طُرح قديماً وما زال يطرح ، من يكون ذلك الملك الذي مكّن الله تعالى له في الأرض ؟ [5] .

وفي قصة كليم الله تعالى موسى (عليه الصلاة والسلام) نجد أن القصة - على سبيل المثال - لم تشر إلى الأحداث التي جرت في السنوات التي قضاها موسى في مدين عند الشيخ الذي تزوج موسى ابنته [6] ، وهي مدة طويلة ، يرجح أنها عشر سنوات ، وهي المدة الأوفى [7] . كذلك لم تصرح القصة القرآنية باسم الشيخ واسم ابنته وكيف كانت حياة موسى (عليه الصلاة والسلام) معها ؟ وهل أنجب منها أبناء ؟ وغير ذلك من الجوانب التي لم تأت في القصة القرآنية . ونجد أن كتب التفسير قد نقلت لنا أخباراً كثيرة عن مثل هذه التفصيلات التي لم ترد في قصص القرآن ؛ لأنها لا تتفق مع طبيعة تلك القصص التي تساق للعظة والاعتبار [8] .

(١) ينظر : سورة الكهف : ١٣.
(٢) البيان القصصي في القرآن الكريم : ٢٥ .
(٣) ينظر : سورة الكهف : ٣٢ - ٤٤ .
(٤) ينظر : سورة الكهف : ٨٣ - ٩٩ .
(٥) ينظر : ذو القرنين (ذلك الملك الصالح الطوّاف من يكون ؟) : عبد الرحمن يوسف العبد .
(٦) ينظر : سورة القصص : ٢٧ - ٢٩ .
(٧) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٩٣ - ٣٩٤ .
(٨) ينظر : نظرات في أحسن القصص : ٢ / ٢٥ - ٣٢ .

وفي قصة سليمان (عليه الصلاة والسلام) مع ملكة سبأ نجد أن القصة القرآنية ، لم تحدد اسم الملكة ، ولم تشر إلى مصيرها بعد إسلامها [1] ، إذ اكتفت القصة القرآنية بالتصريح بأنها امرأة ، وقد عبرت عنها « بالقدر الذي تحتاجه القصة ، وأما اسمها فلسنا في حاجة إليه ، وإذا كان لها دور تاريخي يحتم التعرف على شخصها فيكفي أن نعرف أن المرأة كانت تملك سبأ في زمن سليمان ، حدث منها ولها كذا » [2] .

فالقصة – كما جاءت في القرآن الكريم – لا تعرض « لشيء من رحلة الهدهد إلى سبأ ، وهو يحمل كتاب سليمان إلى القوم ، كما لا تذكر شيئاً عن ملكة سبأ ، وهي تجد كتاب سليمان بين يديها ، وما وقع في روعها من هذا الأمر العجيب ، الذي طلع عليها من حيث لا تدري ! كما لم يذكر القرآن ما كان بينها وبين أهل سِرها من حديث في هذا الحدث العظيم . كل ذلك لم تعرض له القصة القرآنية ، فتلك أمور مقدَّرٌ لها أن تقع حتماً ، على صورة أو أكثر من صورة . وفي هذا الفراغ يتحرك ذهن القارئ ، وتستيقظ مشاعره ، حيث يرى لزاماً عليه أن يملأ هذا الفراغ بأي صورة يجدها مناسبة لهذا المكان ، وبهذا يتاح للناس – في كل زمان ومكان – أن يتصوروا ويتخيلوا ، وأن يشاركوا بهذا التصور والتخيل في بناء القصة ، وألا يظلوا في عزلة عنها ، غرباء عن مجريات أحداثها ...» [3] .

وهذا الأمر أكسب قصص القرآن مزيداً من التشويق والإثارة من خلال إطلاق المتابع العنان لخياله لملء الفجوات التي تركتها القصة القرآنية . وقد عنيت كتب التفسير بسرد أخبار كثيرة عن مثل تلك التفصيلات والجزئيات التي تجاوزتها القصة القرآنية ، فيذكرون أن سليمان (عليه الصلاة والسلام) كان قد تزوج ملكة سبأ ، ويشيرون إلى محاولة الجن صرفه عنها [4] . ومثل هذه التفصيلات لا تعنى بها القصة القرآنية ، فهي ليست قصة تساق لمجرد التسلية وتمضية الوقت ، ولا كتاب تاريخ للأحداث والشخصيات ، وإنما هي قصص واقعية تساق لتحقيق مقاصد دينية ودنيوية ، وتكتفي بعرض الجزئيات التي تسهم في تحقيق تلك المقاصد ، وتتجاوز كل ما عدا ذلك .

وهكذا ، فإن منهج القصص القرآني في التعامل مع العناصر الفنية يتمثل في أن الأشخاص « ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم ، وكشف أحوالهم والتمجيد أو التنديد بأعمالهم ، وإنما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات

(١) ينظر : سورة النمل : ٢٢ – ٤٤ .
(٢) البيان القصصي في القرآن الكريم : ٤٤ .
(٣) القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور : ٣٧ .
(٤) ينظر : الكشاف : ٣ / ٣٥٨ . و نظرات في أحسن القصص : ٢ / ٢٤٧ – ٢٤٨ .

كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيرة أو الشريرة، وفي صراعها مع الخير والشر، وفي تجاوبها أو تعاندها مع الأخيار والأشرار...

وكذلك الشأن في الأحداث التي يعرضها القرآن في قصصه، إنها ليست إلا محاك اختبار تظهر فيها معادن الرجال، وتختبر بها مواطن القوة والضعف فيهم، ومنازع الإحسان والسوء منهم!»[1].

أما البيئة المكانية والزمانية فالقصص القرآني لا يعيّنها ولا يصفها إلا إذا كان لها أثر في موضوع القصة ومقاصدها، ومن نماذج ذلك وصف الكهف في قصة الفتية أصحاب الكهف والرقيم، ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧).

في الآية السابقة وصف موجز لموقع الكهف العجيب الذي هيأه الله تعالى لأولئك الفتية، فهم "في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها، مع أنهم في مكان واسع منفتح معرّض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم"[2]. ومن هنا نلحظ أن وصف موقع الكهف كان له مبرر، إذ بين للمتابعين أن حرارة الشمس لم تصل إليهم، وهذا – بطبيعة الحال – من تدبير الله تعالى، وفي ذلك دعوة إلى اتخاذ الأسباب في كل أمور الحياة.

وفي القصة نفسها يطالعنا تحديد للمدة التي مكثها الفتية أصحاب الكهف في ذلك الكهف العجيب، ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥).

أي "لبثوا فيه أحياء مضروباً على أدانهم هذه المدة"[3]. وفي تحديد المدة الزمنية الطويلة التي لبثوا فيها في الكهف بيان عظمة المعجزة الإلهية، وإبراز قدرة الخالق (عز وجل). ومن هنا يمكن أن نقول: إن تحديد مدة مكث الفتية أحياء في الكهف كان لتحقيق مقاصد دينية، جاءت في السياق نفسه الذي تحققه قصة الفتية أصحاب الكهف، بل قصص سورة الكهف الأربع بصورة عامة. فكل شيء في هذا الكون هو من تدبير الخالق (عز وجل).

وهكذا نجد أن للقرآن الكريم منهجاً متفرداً في تقديم العناصر القصصية يتمثل في الاقتصار على تقديم العناصر المؤثرة في موضوع القصة ومقاصدها، ويتجاوز ما عدا ذلك من الجوانب التي يمكن الاستغناء عنها؛ وبذلك يظل المتابع لتلك القصص متحفزاً متشوقاً لاستقبال ما يطرأ من أحداث، ومرتبطاً بموضوع القصة.

(١) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: ٤١.
(٢) الكشاف: ٢/٦٨١.
(٣) الكشاف: ٢/٦٨٨.

الخاتمة :

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد :

فأحمد الله وأثني عليه بما هو أهل له أن مكنني من إتمام هذا البحث الذي اتجه إلى الوقوف عند الإعجاز القصصي في قصص القرآن الكريم من خلال إبراز عنصر التشويق في تلك القصص المعجزة الفريدة .

وقد أوضح البحث مفهوم التشويق وأهميته في الفن القصصي ، وأنه من أهم العناصر التي تجعل المتابع يقبل على متابعة أحداث القصة بترقب وشغف .

واتجه البحث بعد ذلك إلى دراسة ستة من أبرز أساليب التشويق في قصص القرآن الكريم تمثل نماذج لطريقة تلك القصص في عرض موضوعاتها وتحقيق مقاصدها بصورة مشوقة ماتعة جاذبة ، وهي: تقديم الأحداث المعجزة الخارقة للعادة ، وتنوع الشخصيات, وعنصر المفاجأة ، وبراعة التصوير ، و فنية الحوار ، و الاقتصار على تقديم الجوانب المهمة .

واقتصار البحث على العناصر الستة السابقة لا يعني بأي حال من الأحوال حصر أساليب التشويق في قصص القرآن الكريم فيها ، فعناصر التشويق في تلك القصص أكبر من أن تحصى ، لكن البحث أراد أن يقدم نماذج لإعجاز تلك القصص في جانب التشويق ، وهو جانب مهم في منح القصص الحركة والحيوية ، مما يؤدي إلى إقبال المتابع على متابعة الأحداث بكل شوق وشغف .

إن هذا البحث يأمل أن يتجه كتاب القصة إلى قراءة قصص القرآن الكريم – أحسن القصص – ؛ لتقديم قصة فنية تستمد أصولها الموضوعية والفنية من ذلك القصص المعجز في بيانه وموضوعاته ومقاصده وطريقة عرضه، حتى تحقق قصصهم الأهداف المنشودة ، فتكون وسيلة من وسائل بناء المجتمعات لا هدمها كما نراه ماثلاً في كثير النماذج القصصية التي نطالعها حالياً في ساحتنا الأدبية ، ومن المؤسف أنها اتخذت من تقديم المواقف الجنسية المنحرفة ، والمبالغة في استخدام اللهجات العامية ، والخروج على قيم المجتمع الدينية والأخلاقية – وسائل تشويق رخيصة مبتذلة ؛ بهدف دفع فئة الشباب من القراء إلى الإقبال عليها ، وحققت بذلك شهرة مؤقتة وانتشاراً واسعاً سرعان ما يزول.

ومن هنا أكدت هذه الدراسة من خلال الوقوف على أساليب التشويق التي حفل بها قصص القرآن – أن التشويق يمكن أن يتحقق بمثل هذه الأساليب الفنية الرائعة النظيفة التي نطالعها في قصص القرآن .



وختاماً، فما هذه الدراسة التي أقدمها إلا دعوة إلى الكُتّاب إلى إعادة النظر فيما يكتبون من قصص، فمن خلال مشروعي النقدي الذي اتجهت فيه إلى قصص القرآن الكريم؛ باحثاً عن بعض مواطن الحسن والإعجاز في تلك القصص المعجزة؛ لأقدم من خلاله الفكرة التي أؤمن بها، وأرنو إلى تحقيها، وهي الدعوة إلى قيام قصة إسلامية عربية تستمد أصولها الفنية والموضوعية من قصص القرآن الكريم الذي وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بأنه أحسن القصص. سائلاً المولى (عز وجل) التوفيق والسداد للجميع.

* * *

- **المصادر والمراجع :**

١. **الأدب وفنونه** : د . عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي – القاهرة ، (د ت) .

٢. **أسلوب الدعوة القرآنية : بلاغة ومنهاجاً** : د . عبد الغني محمد سعد بركة ، مكتبة وهبة – القاهرة ، (١٤٠٣هـ / ١٣٨٣م) .

٣. **بناء الشخصية في القصة القرآنية** : د . مصطفى عليان ، دار البشير – الأردن ، ط١، (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م)

٤. **البيان القصصي في القرآن الكريم** : د . إبراهيم عوضين ، دار الأصالة – الرياض ، ط ٢ ، (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .

٥. **التصوير الفني في القرآن** : سيد قطب ، دار الشروق – القاهرة وبيروت ، ط ١١، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م)

٦. **تفسير أبي السعود (المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)** : الإمام أبو السعود، دار إحياء التراث – بيروت ، (د ت) .

٧. **دراسات في القصة العربية الحديثة** : د . محمد زغلول سلام ، منشأة معارف الإسكندرية ، (١٩٨٧م) .

٨. **الدرعية (مجلة) السنة العاشرة ، العددان** : السابع والثامن والثلاثون (ربيع الأول – جمادى الآخرة ، ١٤٢٨هـ) ، بحث (جمالية البداية والنهاية في القصة القرآنية : د . عبد الله العريني : ١٩٥ – ٢٣٠) .

٩. **ذو القرنين (ذلك الملك الصالح الطوّاف من يكون ؟)** : عبد الرحمن يوسف العبد ، البشير للنشر والتوزيع – القاهرة ، (د ت) .

١٠. **الجامع لأحكام القرآن** : القرطبي ، صححه هشام البخاري ، دار عالم الكتب – الرياض ، ط١ ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) .

١١. **الحوار القرآني بين التفسير والتبصير** : أحمد سنبل ، دار ابن هانئ – دمشق ، ط ١ (١٩٩٨م) .

١٢. **الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني** : د . عبد المرضي زكريا ، مكتبة زهرة الشرق – القاهرة ، (د ت) .

١٣. **خصائص القصة الإسلامية** : د . مأمون فريز جرار ، دار المنارة – جدة ، ط ١(١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)

١٤. **السرد القصصي في القرآن الكريم** : ثروت أباظة ، دار نهضة مصر – القاهرة ، (د ت) .

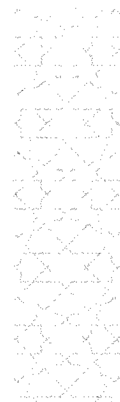
١٥. **سيكولوجية القصة في القرآن** : د . التهامي نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع – تونس ، (١٩٧٤م) .

١٦. **فن القصة :** د. محمد يوسف نجم، دار الثقافة – بيروت، (د ت).
١٧. **فن كتابة القصة :** حسين قباني، دار الجيل – بيروت، ط ٣ (١٩٧٩م).
١٨. **القاموس المحيط :** الفيروز أبادي، دار الكتاب العربي، (د ت).
١٩. **القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن) :** محمد قطب عبد العال، دار قباء – القاهرة، ط ١، (٢٠٠٢م).
٢٠. **القصة القرآنية :** هداية وبيان : د. وهبة الزحيلي، دار الخير – بيروت، ط١ (١٤١٣هـ).
٢١. **قصص الأنبياء :** ابن كثير، تحقيق. عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة – بيروت، ط ٦ (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
٢٢. **القصص في الحديث النبوي :** د. محمد الزير، دار المدني – جدة، ط ٣
٢٣. **قصص القرآن (من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل) :** د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار – القاهرة، ط١ (د ت).
٢٤. **القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور :** عبد الكريم الخطيب، مؤسسة دار الأصالة، ط ١ (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤).
٢٥. **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه :** عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة – بيروت، ط ٢ (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م).
٢٦. ٢٦ – **الكشاف :** الزمخشري، رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية – بيروت، ط ٤ (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
٢٧. **معجم المصطلحات الأدبية :** إبراهيم فتحي، التعاضدية العمالية – تونس، ط ١ (١٩٨٦م).
٢٨. **منهج القصة في القرآن**، محمد شديد، شركة عكاظ – جدة، (٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
٢٩. **نظرات في أحسن القصص :** د. محمد السيد الوكيل، دار القلم – دمشق، ط١ (٤١٢هـ / ١٩٩٤م).
٣٠. **نظرات في قصص القرآن :** محمد قطب عبد العال، رابطة العالم الإسلامي – مكة، السنة الحادية عشرة – العدد (١٢٢)، صفر (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).

* * *

شعر شهاب الدين ابن دِمِرْداش الدمشقي (٦٣٨-٧٢٣هـ)
جمعه ووثّقه ودرسه وشرح غريبه

د. محمد بن إبراهيم الدوخي
قسم الأدب ـ كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



شعر شهاب الدين ابن دِمِرْداش الدمشقي (٦٣٨-٧٢٣هـ)
جمعه ووثّقه ودرسه وشَرح غريبه

د. محمد بن إبراهيم الدوخي
قسم الأدب ـ كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

ليس بخاف على أرباب البحث ما لجمع نتاج الأدباء شعراء كانوا أم غيرهم من مكانة وأهمية لا تُنكر، إذ فيها لم شعث ما تفرق في بطون الكتب المخطوطة و المطبوعة، وإظهاره للقراء بعد تمحيصه و التأكد منه.

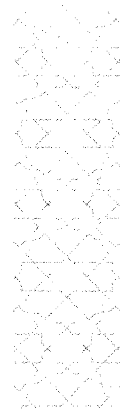
وقد عمدت في هذا البحث إلى اختيار شاعر مغمور لجمع شعره ودراسته، وهو شهاب الدين محمد بن محمد بن دِمِرْداش الدمشقي، الذي عاش بين عامي (٦٣٨-٧٢٣ هـ) وهو شاعر مجهول، ذو ديوان مفقود، مما حدا بي إلى الجد في طلب شعره، وتوثيقه، وشرحه، ودراسته.

وقد كان منهجي في الدراسة قائماً على التعريف بالشاعر من حيث حياته، محاولاً جمع كلّ ما قيل عنه، و مقابلة بعضه ببعض، للخروج برأي صواب أو قريب منه.

وبعدذلك أتت أربعة محاور للدراسة، حاولت فيها استجلاء ما لدى بن دِمِرْداش فيها.

أما الجمع فقد رتبت القوافي فيه ترتيباً هجائياً مقدما الروي المكسور يليه المضموم الذي يتبعه المفتوح، ناسباً كل قطعه إلى بحرها، متبعاً ذلك بالتخريج الذي رتبته زمنياً، مبيناً اختلاف الروايات إن وجد مع تصحيح ما احتاج إلى تصحيح، خاتماً ذلك بشرح ما احتاج إلى شرح.

وقد جمعت (١١٨) بيتاً، ما بين أبيات مقطوع بنسبتها لابن الدِمِرْداش، وأخرى نُسبت له ولغيره.



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فمن الثابت الذي لا ريب فيه أن التراث العربي لا يزال مليئاً بشخصيات أدبية مغمورة ، لا تزال في دائرة الظل .

ولاهتمامي بجمع شعر عدد من الشعراء في عصر الدول والإمارات ، فقد عمدت في هذا البحث إلى اختيار شاعر مغمور لجمع شعره ودراسته ، وهو شهاب الدين محمد بن محمد بن دِمِرْداش الدمشقي ،الذي عاش بين عامي(٦٣٨-٧٢٣هـ) وهو شاعر مجهول ، ذو ديوان مفقود ؛ مما حدا بي إلى الجدّ في طلب شعره ، وتوثيقه ، وشرحه ، ودراسته .

وليس بخاف على أرباب البحث ما لجمع نتاج الأدباء شعراء كانوا أم غيرهم من مكانة وأهمية لا تُنكر ؛ إذ فيها لمّ شعث ما تفرّق في بطون الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وإظهاره للقراء بعد تمحيصه والتأكد منه .

وقد كان منهجي في الدرسة قائماً على التعريف بالشاعر من حيث حياته ، محاولاً جمع كلّ ما قيل عنه ، ومقابلة بعضه ببعض ، للخروج برأي صواب أو قريب منه .

وبعد ذلك أتت أربعة محاور ، هي المعاني واللغة والتصوير والوزن ، حاولت فيها استجلاء ما لدى ابن دِمِرْداش فيها .

أما الجمع فقد رتبت القوافي فيه ترتيباً هجائياً ، معطياً كلّ قطعة رقماً خاصاً ، مقدماً الروي المكسور يليه المضموم الذي يتبعه المفتوح ، ناسباً كل قطعة إلى بحرها ، مشكّلاً ما احتاج إلى تشكيل ، مُتْبعاً ذلك بالتخريج الذي رتبته زمنياً ، فإن كانت المصادر لمؤلف واحد قدّمت المخطوط على المطبوع ، وإن لم يكن فيها مخطوط رتبتها هجائياً ، مبيناً بعد ذلك اختلاف الروايات إن وجد ، مع تصحيح ما احتاج منها إلى تصحيح ، خاتماً ذلك بشرح ما احتاج إلى شرح .

وكانت نتيجة البحث جمع (١١٨) بيتاً ، ما بين أبيات مقطوع بنسبتها لابن دِمِرْداش ، وأخرى قليلة جداً نُسِبت له ولغيره .

وبعد فلست أزعم أن جمعي جمع نهائي ، فربما ندّ عن علمي ـ مع محاولتي الاستقصاء ما استطعت ـ شيء من شعر ابن دِمِرْداش .

نبذة عن الشاعر ابن دِمِرْداش:

اسمه ونسبه:

أجمعت أكثر المصادر على أن اسم الشاعر واسم والده واسم جدّه الأول واسم جدّ أبيه هو محمد بن محمد بن محمود بن مكّي[١]،وخالف أبو الفلاح الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) في إحدى نسخ (شذرات الذهب) فسمّى الشاعر (أحمد بن محمد)[٢]،وهو خلاف ما عليه المترجمون[٣]، ولست أُخْلِي النسّاخ من تحريف (محمد) إلى (أحمد).

ومن المصادر ما ذكر جدّاً للشاعر بعد مكّي وهو عيسى[٤]، وعلى هذا يكون اسم الشاعر محمد بن محمد بن محمود بن مكّي بن عيسى.

---

(١) انظر :سير أعلام النبلاء . الذهبي . طبعة مرتبة على حروف الهجاء .رتّبه وزاد فوائده واعتنى به حسان عبد المنان:٣٦٨٧/٣.بيت الأفكار الدولية . دط . ٢٠٠٤م . لبنان، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار. أحمد العمري . تحقيق محمد إبراهيم حوّر:٢٩٧/١٦.إصدارات المجمع الثقافي .ط١. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة ، وفوات الوفيات . الكتبي .تحقيق د. إحسان عباس: ٢٧٦/٣، دط. دار صادر. بيروت ،وأعيان العصر وأعوان النصر. خليل الصفدي . تحقيق د. علي أبي زيد وآخرين :١٣٥/٥، دار الفكر . ط١. ١٤١٨هـ . دمشق ، والشعور بالعور . خليل الصفدي .حققه واستدرك عليه د. عبد الرزاق حسين : ٢٢٦ . دار عمار . ط١ . ١٤٠٩هـ ١٩٩٨م . الأردن، والوافي بالوفيات .خليل الصفدي .باعتناء هلموت ريتر وآخرين:٢٣٢/١.دار فرانز شتاينر. ١٣٨٠هـ ١٩٦٢م. ألمانيا، وتذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه .عمر الحلبي . حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين :١٣٦/٢. راجعه د. سعيد عبد الفتاح عاشور .الهيئة المصرية العامة للكتاب .دط. ١٩٨٢م ،والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة . ابن حجر العسقلاني . تحقيق محمد سيد جاد الحق :٣/٥. أم القرى للطباعة والنشر . دت. دط. القاهرة ،والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ابن تغري بردي .قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين : ٢٥٩/٩. دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان،والدليل الشافي على المنهل الصافي . ابن تغري بردي الحنفي .حقّقه وقدّم له فهيم محمد شلتوت : ٦٩١/٢ . مكتبة الخانجي . دط . دت.القاهرة ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب . أبو الفلاح الحنبلي. حقّقه وعلّق عليه محمود الأرناؤوط . أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط :١٠٨/٨ (دار ابن كثير) . ط١.دمشق . ١٤١٣هـ ١٩٩٢م. بيروت ،وديوان الإسلام . شمس الدين ابن الغزي . تحقيق سيد كسروي حسن :٣٠٤/٢. دار الكتب العلمية . ط١. ١٤١١هـ ١٩٩٠م . بيروت . لبنان، ومعجم الأطباء . د. أحمد عيسى : ٤٤٢. دار الرائد العربي . ط١. ١٣٦١هـ ١٩٤٢م بيروت . لبنان، ومعجم المؤلفين . عمر رضا كحالة: ٣٠٠/١١ . دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان، وتاريخ الأدب العربي . د. عمر فروخ :٧٣١/٣. دار العلم للملايين . ط٤. ١٩٨٤م . بيروت ، وأعلام الحضارة العربية الإسلامية . زهير حميدان : ٣٧٥/٤. منشورات وزارة الثقافة . دط . ١٩٩٦م . دمشق . سوريا ، ومعجم الشعراء . كامل سلمان الجبوري : ٢٤٨/٥. منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية . ط١. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م بيروت . لبنان .

(٢) شذرات الذهب:٥٩/٦. وهي طبعة صادرة عن دار المسيرة . ط٢. ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م . بيروت .

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء:٣٦٨٧/٣،وأعيان العصر : ١٣٥/٥،والوافي بالوفيات : ٢٣٢/١،والدرر الكامنة : ٣/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٩/٩، وشذرات الذهب :١٠٨/٨ (طبعة دار ابن كثير) ، ومعجم الأطباء: ٤٤٢ ، ومعجم المؤلفين : ٣٠٠/١١، وتاريخ الأدب العربي :٧٣١/٣ (في إحدى نسبتيه) ، وأعلام الحضارة العربية الإسلامية : ٣٧٥/٤ .

(٤) أعيان العصر: ١٣٥/٥.

وتباينت المصادر في نسبته إلى (دِمِرْداش)[1] أو (تمرتاش)[2] أو (دمرتاش)[3]. وهو دمشقي المولد والإقامة والوفاة[4]، فيُنسب حينئذ إلى دمشق، ومن المصادر من نسبه إلى الشافعي بعد الدمشقي[5]، وهي نسبة إلى المذهب المشهور.

فهو إذن محمد بن محمد بن محمود بن مكّي بن عيسى بن دِمِرْداش الدمشقي الشافعي، ومن المصادر من يعرّفه بـ(الشاهد)[6]، لأنه «استرزق بالعدالة بما يُقسم له بين الشهود، ويُقدّر له من المتيسّر الموجود»[7].

كنيته ولقبه :

يكنى أبا عبد الله[8]، وأجمعت المصادر على تلقيبه بشهاب الدين[9]، ولُقّب أيضاً بالبُحْتُرِيِّ ؛ لأنه « قال النظم الرائق»[10] .

مولده :

وُلِد بدمشق[11] سنة (٦٣٨هـ)[12].

عمله:

كان في بداية أمره جندياً يخدم المنصور صاحب حماة (ت ٦٨٣هـ)[13]، وارتفع شأنه عنده

(١) مسالك الأبصار:٢٩٧/١٦، وأعيان العصر:١٣٥/٥، والوافي بالوفيات:٢٣٢/١ ذكره بالنسبتين،وتذكرة النبيه: ١٣٦/٢، والدرر الكامنة : ٣/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٩/ ٢٥٩، ٣٠٨/١١ ، وشذرات الذهب :١٠٨/٨، ومعجم الأطباء : ٤٤٢، ومعجم المؤلفين :٣٠٠/١١ ، وأعلام الحضارة العربية الإسلامية: ٣٧٥/٤،ومعجم الشعراء : ٢٤٨/٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٦٨٧/٣، وفوات الوفيات : ٢٧٦/٣–٢٧٧ ، والشعور بالعور : ٢٢٦، والوافي بالوفيات : ٢٣٢/١ .

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣، وذكر نسبته إلى (دمِرْداش) أيضا .

(٤) انظر:فوات الوفيات: ٢٧٧/٣، وأعيان العصر : ١٣٥/٥، والشعور بالعور:٢٢٦، والوافي بالوفيات :٢٣٢/١، والدرر الكامنة : ٣/٥، والنجوم الزاهرة :٢٥٩/٩ ، والدليل الشافي : ٦٩٢/٢، وديوان الإسلام :٣٠٤/٢ ، وتذكرة النبيه: ١٣٦/٢، ومعجم الأطباء : ٤٤٢، ومعجم المؤلفين : ٣٠٠/١١ ، وتاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣،وأعلام الحضارة العربية الإسلامية :٣٧٥/٤، ومعجم الشعراء : ٢٤٨/٥.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٦٨٧/٣ .

(٦) الدرر الكامنة : ٣/٥ ، ومعجم المؤلفين : ٣٠٠/١١،وتاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣.

(٧) مسالك الأبصار : ٢٩٧/١٦، وانظر ما ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة : ٤/٥ ، وكذا ما ورد في تاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣.

(٨) مسالك الأبصار : ٢٩٧/١٦، وفوات الوفيات : ٢٧٦/٣–٢٧٧ ، وأعيان العصر : ١٣٥/٥، والوافي بالوفيات : ٢٣٢/١، والشعور بالعور : ٢٢٦ ، والدليل الشافي : ٦٩١/٢–٦٩٢ ، وديوان الإسلام : ٣٠٤/٢، وتاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣.

(٩) سير أعلام النبلاء: ٣٦٨٧/٣ ، ومسالك الأبصار : ٢٩٧/١٦،وفوات الوفيات : ٢٧٦/٣،وأعيان العصر : ١٣٥/٥، والشعور بالعور : ٢٢٦ ، والوافي بالوفيات : ٢٣٢/١، وتذكرة النبيه : ١٣٦/٢، والدليل الشافي : ٦٩١/٢ ، وديوان الإسلام : ٣٠٤/٢ ، وشذرات الذهب : ١٠٨/٨، وتاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣.

(١٠) سير أعلام النبلاء: ٣٦٨٧/٣ ، والدرر الكامنة : ٤/٥ ، ومعجم الأطباء : ٤٤٢ ، وأعلام الحضارة العربية الإسلامية: ٣٧٥/٤ ، ومعجم الشعراء : ٢٤٨/٥.

(١١) فوات الوفيات : ٢٧٦/٣–٢٧٧ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٩/٩ ، وتذكرة النبيه : ١٣٦/٢،وتاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣.

(١٢) سير أعلام النبلاء: ٣٦٨٧/٣، وتذكرة النبيه :١٣٦/٢، والنجوم الزاهرة :٢٥٩/٩، والدرر الكامنة :٣/٥ ، ومعجم الأطباء : ٤٤٢، ومعجم المؤلفين : ٣٠٠/١١، وتاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣ ، وأعلام الحضارة العربية الإسلامية : ٣٧٥/٤ ،ومعجم الشعراء : ٢٤٨/٥.

(١٣) انظر : سير أعلام النبلاء: ٣٦٨٧/٣ ، ومسالك الأبصار : ٢٩٧/١٦، وفوات الوفيات : ٢٧٦/٣، وأعيان العصر: ١٣٦/٥ ، والشعور بالعور: ٢٢٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٩/٩، والدليل الشافي : ٦٩٢/٢ ، ومعجم الأطباء : ٤٤٢، وتاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣ ، وأعلام الحضارة العربية الإسلامية : ٣٧٥/٤، ومعجم الشعراء : ٢٤٨/٥.

حتى اتخذه مندمائه، وفي هذا يقول العمري « خدم الملك المنصور صاحب حماة، واتخذه من نداماه، وأمطره بواكف نعماه، وأسرى إليه صباه ونعاماه »[١]. وكان سبب دخوله الجنديّة مصاحبته الشاعر مجير الدين محمد بن تميم الحموي (ت ٦٨٤هـ)[٢]، وحين أسن وكبر[٣] وتُوفي المنصور أبطل الشاعر عمله في الجنديّة[٤]، وترك حماة وعاد إلى دمشق، وفيها استقرّ يسترزق من شراء الكتب وبيعها، وفي ذلك يقول ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) في (مسالك الأبصار) بأسلوب مسجوع: « كره حماة بعد صاحبها المنصور، وعاف موردها، واستنزر إثمدها، ولم ير بعده من يرى أن يكون له خديماً، أو يُعد له نديماً، وطفق يقلب يديه، وصدره طافح، وقلبه لهمه مكافح، وحاله لا يلمّ شعثه، كأنه لِمّةُ المحرم، وحظه لا يضيء، كأنه صحيفة المحرم، فخلع عن منكبه ذلك الرداء، وانتهى في معالجة نفسه إلى أن كوى ذلك الداء، وعاد إلى دمشق، وعانى بيع الكتب ومشتراها، وحصّل منها الفرائد كما تراها، ثم فقد ما بيده، إلا ما حصّله من ذلك الربح الظاهر، وحصّنه حفظاً في خزانة الخاطر »[٥].

ويكمل العمري ذاكراً عملاً آخر له إلى جانب بيع الكتب: «استرزق بالعدالة بما يُقسم له بين الشهود، ويُقدّر له من المتيسّر الموجود، غير منافس مثلهم في الجعالة، ولا لابساً خلق تلك الحالة، قانعاً بما سمحت له به النفوس، وسنحت له ديم الكرم بغير عبوس. وكان حقيقة تمنع جوهراً، وحقيبة تنفح عنبرا »[٦].

ويقول الكتبي (ت ٧٦٤هـ) مشيراً إلى حالة الشاعر بعد أن أبطل الخدمة في الجنديّة: « ولبس زيّ العدول »[٧]

والمنصور هو محمد المنصور بن محمود المظفر بن محمد المنصور بن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب، أبو المعالي ناصر الدين، ملك حماة، مولده ووفاته فيها، وليها بعد وفاة والده المظفر سنة ٦٤٢هـ وله من العمر عشر سنين، وأدارها عنه شيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصاري، وُصف بأنه كان حليماً ذكياً فطناً، وقيل بل كان لعّاباً، واستمر إلى أن توفي. انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين: ٨/ ٨٧.ط١٠. ١٩٩٢م. بيروت. لبنان. وانظر: تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٧٣١.

(١) مسالك الأبصار: ١٦/ ٢٩٧.

(٢) انظر: أعيان العصر: ٥/ ١٣٦، ومجير الدين هو محمد بن يعقوب بن علي، أبو عبد الله، مجير الدين ابن تميم الحموي، شاعر من أمراء الجند، دمشقي، استوطن حماة، وخدم صاحبها الملك المنصور، وشعره في غاية الجودة. انظر: الأعلام: ٧/ ١٤٥.

(٣) انظر: أعيان العصر: ٥/ ١٣٦.

(٤) انظر: الشعور بالعور: ٢٢٦، وتاريخ الأدب العربي: ٣/ ٧٣١.

(٥) مسالك الأبصار: ١٦/ ٢٩٧.

(٦) المصدر السابق: ١٦/ ٢٩٧، وانظر عن ارتزاقه بالشهادة سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٦٨٧، والدرر الكامنة: ٥/ ٤، والنجوم الزاهرة: ٩/ ٢٥٩، والدليل الشافي: ٢/ ٦٩٢، وشذرات الذهب: ٨/ ١٠٨، ومعجم الأطباء: ٤٤٢، ومعجم الشعراء: ٥/ ٢٤٨.

(٧) فوات الوفيات: ٣/ ٢٧٦، والعدول «جمع عَدْل وهم أشخاص من ذوي النزاهة والأمانة يتقدمون بالشهادة أمام القضاة في الدعاوى التي يكونون على معرفة بأصحابها». تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٧٣١.

وكان مكان استرزاقه في مركز الرَّواحية بدمشق[1]، وفي بعض المصادر أن الشاعر عمل في آخر عمره طبيباً بدمشق[2].

صلاته برجال عصره :

أشرت قبل قليل إلى أن الشاعر خدم الملك المنصور صاحب حماة، وقد أشار العمري في حديثه عن المنصور والشاعر إلى نيل الشاعر عطاء جزلاً من المنصور قائلاً: «وأمطره بواكف نعماه، وأسرى إليه صباه ونعاماه»[3].

كما صحب الشاعر مجير الدين محمد بن تميم الحموي الشاعر[4]،وأقام معه بحماه[5]، ودخل الجنديَّة بسببه[6].

وصحب الجمال شيخ مغارة الغزيز[7]، وقاضي غزة الكمال العجلوني (ت ٧٢٨هـ)[8]، وسمع منه شعره كلٌّ من الواني[9]، والصلاح العلائي (ت ٧٩٦هـ)[10].

صفته :

لم تسعفنا المصادر بصفة ابن دِمِرْداش الظاهرة غير أنها أفصحت عن أنه كان رجلاً أعور، يقول عنه الصفدي (ت ٧٦٤هـ) :« وجلس بمركز الرَّواحية، ورأيته بها سنة ثمان عشرة وسبعمئة وفيما بعد ذلك، وأظنه كان مخلاً بإحدى عينيه»[11].

---

(١) انظر: فوات الوفيات :٣/ ٢٧٧، وأعيان العصر: ٥/ ١٣٥–١٣٦، والشعور بالعور:٢٢٦، والوافي بالوفيات :١/ ٢٣٢. ومركز الرواحية مدرسة شرقي مسجد كان يُعرف بمسجد ابن عروة بالجامع الأموي، وبانيها زكي الدين أبو القاسم المعروف بابن رواحة. انظر: الدارس في تاريخ المدارس. عبد القادر النعيمي الدمشقي. عني بنشره وتحقيقه جعفر الحسني :١/ ٢٦٥. مكتبة الثقافة الدينية .دط. ١٩٨٨م.

(٢) انظر: الدرر الكامنة: ٥/ ٤، ومعجم الأطباء:٤٤٢، وتاريخ الأدب العربي:٣/ ٧٣١، ومعجم الشعراء : ٥/ ٢٤٨.

(٣) مسالك الأبصار: ١٦/ ٢٩٧.

(٤) أعيان العصر: ٥/ ١٣٦.

(٥) المصدر السابق: ٥/ ١٣٦، وتذكرة النبيه: ٢/ ١٣٦.

(٦) أعيان العصر: ٥/ ١٣٦.

(٧) لم أهتد لمعرفته.

(٨) هو عمر بن محمد بن عمر بن محمد، كمال الدين العجلوني، قاضي غزّة، ولي القضاء في عدة أماكن، وكان قبل موته قاضياً للكرك، حدّث بدمشق. أعيان العصر: ٣/ ٦٥٢.

(٩) لم يبن لي المراد بالواني تحديداً، إذ هو لقب أطلق على جملة من الأشخاص منهم الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن محمد بن أحمد المؤذن المتوفى سنة (٧٣٥هـ)، وشهاب الدين محمد بن إبراهيم بن محمد المتوفى سنة (٧٣٥هـ) ونور الدين علي بن عمر بن أبي بكر المتوفى سنة (٧٢٧هـ). انظر تراجمهم في (أعيان العصر) على النحو التالي:

الأول:١/ ١٢٣، والثاني: ٤/ ٢١٥، والثالث: ٣/ ٤٦٦.

(١٠) هو خليل بن كَيْكَلَدي، صلاح الدين ابن العلائي الدمشقي الشافعي، ولد سنة (٦٩٤هـ) شيوخه بالسماع نحو سبعمئة، له النفحات القدسية، وكتاب الأربعين في عمل المتقين، ولي مشيخة دار الحديث السيفيّة بالقدس. انظر: الوافي بالوفيات : ١٣/ ٤١٠ وما بعدها، الدرر الكامنة : ٢/ ١٧٩ وما بعدها.

(١١) أعيان العصر: ٥/ ١٣٦، وانظر: الشعور بالعور:٢٢٦، والوافي بالوفيات :١/ ٢٣٢.

وفاته :

توفي سنة (٧٢٣هـ)[١]،وحدّد الصفدي تاريخ الوفاة تحديداً دقيقاً قائلاً «وتوفي رحمه الله تعالى بُكرة السبت خامس صفر سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة»[٢].

وكانت وفاته في دمشق[٣]، بعد أن «كبر وانحطم وزَمِنَ»[٤]ودُفن بقاسيون[٥].

ديوانه :

ذكر بعض المترجمين أن لابن دِمِرْداش ديوان شعر[٦]، غير أني لم أجده مع طول بحث واستقصاء.

شعره :

أشاد العمري ببعض النصوص التي أوردها لابن دِمِرْداش قائلاً إنها:«من شعره المطرب نغمه، المطيب تفتيت المسك لممه»[٧].

وقد لُقّب بالبُحْتُرِيِّ؛ لقوله الشعر الرائق[٨]،ويذكر الدكتور عمر فرّوخ أنه «شاعر مكثر لطيف القول، شديد الميل إلى الصناعة، ولا سيّما التورية، وشعره رائق يجري في مقطّعات قصار، وأكثره في النسيب والغزل والوصف حتى لُقّب بالبُحْتُرِيِّ»[٩].

وقال الصفدي عن شعره إثر سرده بعضاً من نصوصه: «ولهذه المقاطيع التي أوردتها له عندي نظائر وأشباه، ما أوردتها خوفاً من الإطالة»[١٠].

وحكم عليه الصفدي بأنه :« كان أديباً فطناً لبيباً، إذا دعا المعنى الغامض كان له مجيباً، وإذا نظمه كان عجيباً، له غوص على المعاني، وألفاظه أطرب من المثالث والمثاني، له مقاطيع

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣٦٨٧/٣، وأعيان العصر : ١٣٦/٥، والشعور بالعور : ٢٣٠، والوافي بالوفيات : ٢٣٦/١، وتذكرة النبيه :١٣٦/٢، والنجوم الزاهرة : ٢٥٩/٩، والدليل الشافي : ٦٩٢/٢ ، والدرر الكامنة :٤/٥ ،وديوان الإسلام: ٣٠٤/٢ ،وشذرات الذهب: ١٠٨/٨ ،ومعجم الأطباء :٤٤٢ ،ومعجم المؤلفين : ٣٠٠/١١،وتاريخ الأدب العربي:٧٣١/٣ ،وأعلام الحضارة العربية الإسلامية:٣٧٥/٤ ،ومعجم الشعراء : ٢٤٨/٥.

(٢) أعيان العصر : ١٣٦/٥ ، ومن المترجمين من حدّد الشهر : انظر : سير أعلام النبلاء: ٣٦٨٧/٣،والدرر الكامنة :٤/٥،ومعجم الأطباء : ٤٤٢.

(٣) فوات الوفيات : ٢٧٧/٣.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٣٦٨٧/٣ .

(٥) النجوم الزاهرة :٢٥٩/٩ ، وقاسيون الجبل المشرف على دمشق ، وفيه عدّة مغاور ، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح . انظر : معجم البلدان . ياقوت الحموي : ٢٩٥/٤. دار إحياء التراث العربي . توزيع دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان .

(٦) انظر : الدرر الكامنة : ٤/٥ ، وديوان الإسلام : ٣٠٤/٢ ، ومعجم الأطباء : ٤٤٢، ومعجم المؤلفين : ٣٠٠/١١ .

(٧) مسالك الأبصار : ٢٩٧/١٦–٢٩٨

(٨) انظر : الدرر الكامنة : ٤/٥،ومعجم الأطباء : ٤٤٢.

(٩) تاريخ الأدب العربي : ٧٣١/٣.

(١٠) الوافي بالوفيات :٢٣٦/١.

أعذب من أيام الوصال، وأشهى من حبيب كرمت منه الخصال »[1]. ونعته أيضاً بقوله: «الشيخ الأديب، الفاضل، العدل »[2]. وقرّظه الحسن الحلبي (ت ٧٧٩هـ)قائلاً: « كان شاعراً مجيداً له نظم دقيق، ومعان حسنة »[3].

وأثنى عليه ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)مشيراً في عرض ذلك إلى تأثره بمجير الدين بن تميم قائلاً: «كان شاعراً مجيداً... وشعره سلك فيه مسلك مجير الدين بن تميم؛ لأنه صحبه وأقام معه بحماة مدة عشرين سنة»[4].

أما ابن العماد الحنبلي فقال عن شعره: «وله شعر كثير لطيف»[5].

قسم الدراسة :

المعاني :

للشاعر أن يستعين في عرض معانيه بما يراه محققاً غرضه، وموصلاً غايته للمتلقي، وتتنوع المصادر التي يمتح منها، ويستعين بها، فربما استعان بآي من كتاب الله عزّ وجل، كما في قول ابن دِمِرْداش :

وجفـــاني الــذي أحبُّ وأجفا　　　ني يبيتــون سُجّــداً وقيـامَــا[6]

فيبين للقارئ أخذ الشاعر المعنى من قوله تعالى : (والّذِيْنَ يَبِيْتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجّداً وَقِيَامَا)[7] ومثله ما ورد في قوله من النص نفسه :

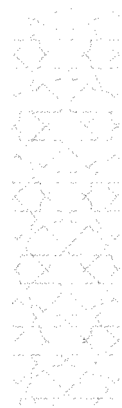
أنا من معشرٍ إذا استمعوا العذ　　　لَ تجافوا عنهُ ومرّوا كِرامــــا[8]

فقد أخذ المعنى من قوله تعالى :(وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما)[9] ويؤيّد القولَ بأخذ الشاعر المعنى أنه يفخر بنفسه والآية تثني على المؤمنين .

ومثل ما سبق ما ورد في قول الشاعر :

يا من طلبت لحاظه سفك دمي　　　مهلاً ضعف الطالب والمطلوب[10]

(١) أعيان العصر: ٥/ ١٣٥-١٣٦.
(٢) ديوان الإسلام :٢/ ٣٠٤.
(٣) تذكرة النبيه : ٢/ ١٣٦.
(٤) النجوم الزاهرة :٩/ ٢٥٩.
(٥) شذرات الذهب :٨/ ١٠٨، ولا يناقض قولَ ابن العماد الحنبلي ولا نقلَ الدكتور عمر فروخ عن كون الشاعر مكثراً الجمعُ الذي في هذا البحث، فكثير من الشعر قد ضاع مع ما ضاع من أدبنا، وغير قليل من الشعراء المذكورين بوفرة شعرهم لا نظفر إلا بالقليل من نصوصهم.
(٦) من القطعة رقم (٣٥) من الشعر المجموع.
(٧) سورة الفرقان :الآية :٦٤.
(٨) من القطعة رقم (٣٥) من الشعر المجموع.
(٩) سورة الفرقان :الآية :٧٢.
(١٠) من القطعة رقم (١) مما جاء من شعر ابن دِمِرْداش على الأوزان المستحدثة.



فقد أخذ معناه من قوله تعالى : (ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ)[1].

وربما استعان الشاعر بخاطر غيره من الشعراء، ومن ذلك قوله :

يقولون شبّهْتَ الغزالَ بأَهْيَفٍ ... وهـذا دليلٌ في المحبّـة واضحُ

ولو لم يكن لَحْظُ الغزال كلَحْظِه ... احْـوراراً لما تاقتْ إليه الجوارحُ[2]

فقد أشار الصفدي إلى أن المعنى يبدو عليه التأثر بقول ابن دانيال الموصلي (ت ٧١٠هـ)[3] :

بي مـــن أمـــير شـــكارٍ ... وجـــدٌ يُذيب الجـــوانحْ

لمّـا حــكى الظبي جيـــداً ... أحنــتْ إليـــه الجــوارحْ[4]

فمعنى البيت الثاني من قول ابن دِمِرْداش مأخوذ من معنى البيت الثاني لابن دانيال الموصلي وكلا البيتين لا يتم المعنى فيهما إلا بنهاية البيت كما أن كلا البيتين على روي الحاء ، لكن اللفظ لدى ابن دانيال أكثر اختصاراً ، وقوله متحرّر من التكرار الموجود في قول ابن دِمِرْداش (لحظ ، كلحظه) ، مما جعل ابن دانيال يفوق ابن دِمِرْداش مع تأخره ابن دِمِرْداش زمناً .

اللغة :

إن قارئ شعر ابن دِمِرْداش يلحظ فيه الألفة فلفظه من المأنوس الذي يُدركه سامعه وقارئه ومن أسباب الألفة الحديث عن اليومي المألوف في الحياة الاجتماعية كقول ابن دِمِرْداش :

رأيتُ في السُّوق خيّاطاً محاسنهُ ... تزهو على البدر إذ يبدو من الأُفُقِ

إن قرّض الخيطَ في فيهِ وألصقهُ ... إلى ثنايا كنظم الدرِّ في النّسقِ

تكسوهُ نوراً ثناياهُ فتحسـبُهُ عــلى ... المراشف خيط الصُّبح في شَفَـقِ[5]

فهو يذكر أمراً معروفاً لا غرابة فيه ، إذ هو من أجزاء الحياة اليومية .

وربما أشاع ابن دِمِرْداش المشتقات لتقوية الموسيقا وتأكيد المعاني كما في قوله:

قسمــاً بظبي ليــس فيه نفورُ ... إنّي بعشـــق عِذَارِهِ معـذورُ

قمرٌ يَميْسُ به كما شاء الصّبا ... غصـــنٌ يسرُّ النّاظرينَ نَضِيرُ

يرنــو إليّ بناظــرٍ فيــه الرضى ... فيَغُور في قلبي الجوى ويُغِيرُ

وقد يرد استعمال قليل من المحسنات البديعية متكلفاً في شعره كقوله:

تقضّت شهور بالبعاد وأحـوالُ ... جـرت بعدكـم فيـه أمورٌ وأحوالُ[6]

ففي البيت رغبة من الشاعر في تحقيق الجناس التام بين (أحوال) في الشطرين ،وإن لم

---

(١) سورة الحج: الآية :٧٣.

(٢) القطعة رقم (٥) من الشعر المجموع .

(٣) الإشارة في أعيان العصر: ٥ /١٤١والوافي بالوفيات : ٢ /٢٣٥.

(٤) القطعة رقم (١٩) من الشعر المجموع .

(٥) من القطعة رقم (١١) من الشعر المجموع .

(٦) من القطعة رقم (٢٦) من الشعر المجموع .

تضف شيئاً ذا بال إلى البيت، يدل على ذلك أن (أحوال)الثانية لا تزيد المعنى على ما سبقها (أمور)، فليست تشكّل المنتظر الموعود الذي يسدّ ثغرة في البيت، ومن الممكن استبدال غيرها بها.

ومن المحسنات البديعية التي وردت متخفّفة من التعمّل رد الأعجاز على الصدور في قوله:

قد صُنتُ سرَّ هواكمُ ضَنّاً به ... إنّ المُتَيّم بالهوى لضَنينُ

فوشتْ به عيني ولم أكُ عالما ... من قبلها أنّ الوشاة عيونُ[1]

ولست أرى في هذا الشاهد تكلفاً كسابقه، فهو خالٍ من علامات التعمّل والتكلّف التي تدعو إلى استجلاب المحسنات، وإرغمها على الدخول في النص، فاللفظان الأخيران في البيتين يمثلان ركناً أساسياً في تمام المعنى.

ويغلب على ابن دِمِرْداش الحرص على قرب المتلازمات بعضها من بعض، وهو أمر لا يحتاج إلى استشهاد لشيوعه، إلا أنه أحياناً يطيل الفصل بين المتلازمين، وهنا يرد ماسمّاه العروضيون (التضمين)، ومنه قوله:

حتى إذا رقّ جلبابُ الدُّجى وسرتْ ... من تحت أذياله مِسْكِيّة النفَسِ

تبسّم الصُّبح إعجاباً بخلوتنا ... ووصلنا الطّاهر الخالي من الدَّنسِ[2]

ومثله:

ما أبطأتْ أخبار من أحببتُهُ ... عن مسمعي بقدومهِ ورجوعِهِ

إلا جرى قلمي إليه حافياً ... وشكا إليه تشوّقي بدموعِهِ[3]

وهذا وإن كان تضميناً عروضياً إلا أنه أمر معين على جعل كل نص كاللحمة الواحدة، فيرتبط البيت الثاني بالأول برباط قوي.

وقد أطلّت المصطلحات العلمية برأسها في شعر ابن دِمِرْداش، ومن ذلك قوله:

روى دمع عيني عن غرامي فأشْكَلا ... ولكنّهُ وَرّى الحديث فأشْكَلا

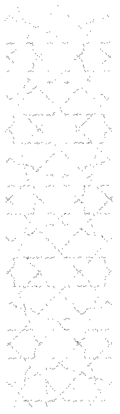
وأسندهُ عن واقديٍّ أضالعي ... فأضحى صحيحاً بالغرام مُعَلّلا[4]

فـ (روى، الحديث، أسنده، واقدي، صحيحاً، معلّلاً) من ألفاظ أهل الحديث.

ومن التأثر بمصطلحات النحاة ما نلحظ في قوله:

بالرُّوح أفدي مَنْطِقِيّاً علا ... برتبة النحو على نِشْوِهِ

(١) القطعة رقم (٣٦) من الشعر المجموع.
(٢) القطعة رقم (١٣) من الشعر المجموع.
(٣) القطعة رقم (١٦) من الشعر المجموع.
(٤) القطعة رقم (٢٩) من الشعر المجموع.



منطقــهُ العذب الشَّهيّ الذي   قد جذب القلب إلى نحوهِ[1]

واستعمل ابن دِمِرْداش اللفظ الأعجمي في شعره ، وهو أمر طبعي في عصره ، ومن شواهد ذلك قوله :

يقول لي الدُّولاب : راضِ حبيبك الـ   مَلول بما يهوى من الخير والنفعِ[2]

فـ (الدولاب) فارسي[3].

ومما يتعلق بلغة ابن دِمِرْداش ما لحظه الصفدي على قوله :

ولقد يقـول معانقي وخــدودُهُ   تُسقى بـطَلِّ مدامـعي وحيــاهَا

مـا بـالها تسقي رياضَ محـاسني   عيناكَ قلـتُ لأنّها تـرعـاهَـا[4]

فقد لحظ عليه الإضمار قبل الذكر قائلاً : «قلت : فيه الإضمار قبل الذكر ؛ إذ التقدير : ما بال عينيك تسقى بأرض محاسني ، وكان ينبغي أن يقول : لأنهما يرعيانها ، ولكن يُغتفر له ذلك كلّه ؛ لاستعمال ترعاها مورّاة من الرعي والرعاية »[5].

ومما ندر ظهوره تكرار تركيب في موضعين مختلفين ، وشاهدا ذلك قوله:

كيـف لا يَزْدَهِيْهِ عُجْبٌ وقد أصْـ   ـبَح يحكيكَ يا رشيق القوامِ؟[6]

ومثله :

قال لي ساحر اللواحظ صفْ لي   هيَفي قلتُ يا رشيق القوامِ[7]

وقد آثرت تأخير هذا الأمر لندرته .

وللفظ العامي ظهور في نصين هما:

الصــب بك المتعوب والمعتوب   والقلب بك المسلوب والملسوب

يا من طلبت لحاظه سفــك دمي   مهلاً ضعف الطالب والمطلوب[8]

وقوله:

---

(١) القطعة رقم (٣٩) من الشعر المجموع .
(٢) من القطعة رقم (١٥) من الشعر المجموع .
(٣) انظر : المنجد في اللغة والأعلام : (دلب).
(٤) القطعة رقم (٣٨) من الشعر المجموع .
(٥) تشنيف السمع في انسكاب الدمع .خليل الصفدي .حققه وعلّق عليه محمد عايش :١٦٦ . ط١ . الأوائل ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م دمشق .
(٦) من القطعة رقم (٣٠) من الشعر المجموع .
(٧) من القطعة رقم (٣١) من الشعر المجموع .
(٨) القطعة رقم (١) مما جاء من شعر ابن دِمِرْداش على الأوزان المستحدثة.

أخفيتُ هواك عن جميع البشرِ ضنّاً بحديث سـرّك المسـتترِ
فانصان وكـاد يخفى قمــري عن فرط ذكا مثلك لولا نظري[1]

والنصان على وزن عامي، فلا غرابة في اشتمالهما على العامي من الألفاظ .

التصوير :

التصوير من أبرز عناصر الشعر ، وبالإجادة فيه تقاس إجادة الشاعر من عدمها ، فهو يُقيم علاقات متداخلة بين كثير من الأمور ، ويُجلّي غير قليل من أبعاد المعاني التي يعرضها المتحدث ، ويُظهر الأمر المألوف في صور عدّة لم تطرأ على الذهن من قبل ، وينقل القارئ والسامع إلى عالم يروعهما ، ويُترع نظرهما انبهاراً .

وقد أتى التصوير في شعر ابن دِمِرْداش عبر وسائل عدّة أهمها :

التشبيه :

يغلب على ابن دِمِرْداش استعمال التشبيه في عرض معانيه، وسبب ذلك احتواؤه على جانبي الصورة (المشبه والمشبه به) مما جعله أقرب للقارئ والسامع .

وأما عن أدوات التشبيه التي استعان بها فأكثرها الكاف مفردة وموصولة بـ(ما) ، وتليها الأدوات الأخرى وهي :كأن مجرّدة من (ما) وموصولة بها ،وحاكى ، وشبّه ، ومثل .

وتشبيهات ابن دِمِرْداش من المكرور الذي ألفته الأسماع ومن ذلك قوله :

رأيتُ في السوق خيّاطاً محاسنهُ تَزْهُو على البدر إذ يبدو من الأُفُقِ
إن قرّض الخيطَ في فِيهِ وألصقهُ إلى ثنايا كنظم الدُّرِّ في النَّسَقِ
تكسوهُ نوراً ثناياهُ فتحسبُهُ على المراشِف خيط الصُّبح في الشَّفَقِ[2]

فتشبيه الثنايا بنظم الدر مألوف ومنه قول ابن الرومي (٢٨٣هـ):

مــــن ثغــرها الــــدُّرّ النَّظيـ ـمِ ولفظهــــا الــدُّر النّثير[3]

وقوله :

فافتـــرَّ عن ثغــرهِ باسمـــاً فبـــان لي الــدرُّ بفيـــهِ ولاح[4]

وقول ابن الخياط (ت٥١٧هـ):

(١) القطعة رقم (٢) مما جاء من شعر ابن دِمِرْداش على الأوزان المستحدثة.
(٢) القطعة رقم (١٩) من الشعر المجموع.
(٣)ديوان ابن الرومي،شرحه وحققه عبد الأمير علي مهنّا:٣ /٦،منشورات دار ومكتبة الهلال،ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م .
(٤)المصدر السابق :٢ /٩٦.

وقــد أسِيَ الــدرّ من ثغــره وأخجل من وجنتيه الشقيق[1]

وقول ابن الدهان (ت٥٨١هـ):

يقبّل مكنوناً من الدّر رائقاً ويـر شف معسولاً من الرّيق سلسلا[2]

ومن ذلك قوله أيضاً مشبّهاً امرأة بالقمر وقوامها بالغصن :

قمرٌ يَمِيسُ به كما شاء الصّبا غصنٌ يسرُّ النّاظـرين نَضيرُ[3]

وهو تشبيه مكرور، لا يحتاج إلى استقصاء لبيان قدمه.

وهذه التشبيهات يدعوها عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)التشبيهات العامية، وهي التي استهلكها الشعراء فأطفؤوا بريقها وأذهبوا جدتها[4].

ومن الصور المكرورة قول ابن دِمِرْداش :

طرب الدّوح من غناء الحمامِ وتَثــنّى سُــكْراً بغيـر مُدامِ

وسقتهُ سحب الغوادي فأضحى باسم النّوْر من بكاء الغمامِ[5]

فـ (بكاء الغمام) أمر لا يحتاج إلى تتبّع لشيوعه في الأدب العربي.

ويشيع التشبيه المقلوب مكوّناً بروزاً بين طرائق التشبيه لدى ابن دِمِرْداش، ومن ذلك قوله :

يقولون شبّهتَ الغزال بأهيفٍ وهـذا دليلٌ في المحبّـة واضحُ

ولو لم يكن لحظ الغزال كلحظه احـوِراراً لما تاقتْ إليه الجوارحُ[6]

وقوله :

إن أينع النّارنج حـــاكى لونَهُ فــي صبغهِ القانيّ خــدّ حبيبي

وإذا تَبَــدّى مزهــــراً فكــأنّما جمع الوصال عِذَارُهُ ومشيبي[7]

ولجوء ابن دِمِرْداش إلى التشبيه المقلوب رغبة في بيان تفوّق المشبه على المشبّه به حتى أمكن إلحاق المشبه به بالمشبّه، واعتبار المشبه أصلاً يُقاس عليه، وحين تنكّب ابن دِمِرْداش التشبيه المألوف وأمّ التشبيه المقلوب دلّ ذلك على رغبته في كسر المألوف، وعلى رغبته في المبالغة، فالتشبيه المعتاد لا يُرضيه، فقصد ما هو أشدّ بياناً عما في نفسه[8].

ولبيان ما في التشبيه المقلوب أقول عارضاً للشاهد الأول : إن تشبيه الغزال بالأهيف أمر

---

(١) ديوان ابن الخياط. عني بتحقيقه خليل مردم بك : ٢٢٠. دار صادر. ط٢. ١٤١٤هـ ١٩٩٤م. بيروت.
(٢) ديوان ابن الدهان الموصلي. حققه وأعدّ تكملته عبد الله الجبوري : ٣٧. مطبعة المعارف. ط١. ١٩٦٨م. بغداد.
(٣) من القطعة رقم (١١) من الشعر المجموع.
(٤) أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. صححها وعلّق عليها السيد محمد رشيد رضا : ٣٤. دار الكتب العلمية ط١. ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م. بيروت. لبنان.
(٥) من القطعة رقم (٣٠) من الشعر المجموع.
(٦) القطعة رقم (٥) من الشعر المجموع.
(٧) القطعة رقم (٣) من الشعر المجموع.
(٨) انظر : فن التشبيه. د. علي الجندي : ١/٢٦٠ وما بعدها. مكتبة الأنجلو المصرية. ط٢. ١٣٨٦هـ. مصر.

غير معتاد بل المعتاد العكس ، وكذا تشبيه لحظ الغزال بلحظ المحبوب ليس بمألوف بل العكس ، وميل ابن دِمِرْداش إلى هذه الطريقة مفيد أن الجمال في محبوبته أشدّ تمكّناً وأظهر بياناً من الجمال في الغزال الذي اشتهر أمره.

ويرد التشبيه التمثيلي الذي يُفيد إمعان ابن دِمِرْداش في تأمل طرفي التشبيه للخروج بصورة غريبة ، وشاهد ذلك قوله:

ولمّا بدا الخشْخَاشُ في الرّوض مُزْهِـ   رأوقد نظرتْ شَـزْرَاً إليه الحدائقُ

حكى قلعةً أَبْراجُها مُسْتَدِيْرَةً   مُشَرَّفَةً دارتْ عليها الصّناجِقُ[1]

وهي صورة غريبة لتباعد طرفيها ، وابن دِمِرْداش يكسر هنا قاعدة التقارب بين طرفي التشبيه، يقول عبد القاهر الجرجاني عن ذلك مخاطباً القارئ« إذا استقريتَ التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشدّ كان إلى النفوس أعجب ، وكانت النفوس لها أطرب»[2] ، ومردّ ذلك أن التباعد الموجود ظاهراً يقابله تقارب ذهني يلمحه الشاعر بحسه المرهف .

وثمر الخشخاش معروف أنه دائري ، ومرتفع ، ومحاط بالورود الحمراء ،فيقابل ذلك الأبراج المستديرة ، المرتفعة ، المحاطة بالصناجق التي تدور على القلعة.

وهو تشبيه مفصح عن إعمال الذهن ، وكدّ الخاطر ، وتروٍّ في رسم العلاقة بين المشبه والمشبه به ، إذ دون ذلك يزلّ الأديب ، ويكبو جواده ، وينحرف عن الجادة في نوع من التشبيه يعدّ مضماراً للتسابق بين الأدباء على الإجادة فيه ، ولجوء ابن دِمِرْداش إلى تشبيه التمثيل دال على أنه يفكّر في قصيدته تفكيراً منطقياً لأنه يحاول إقامة العلاقات ، وسوق الشواهد على ما يقول ، ليدلّ بذلك على صواب ما ذهب إليه[3].

ويكثر استعمال التشبيه المجمل لدى ابن دِمِرْداش لأنه أشد تأثيراً لما يؤديه في الجملة الشعرية من تكثيف ، وكأنه يحرّض المتلقي على الاستمتاع بالبحث عن وجه الشبه ، ومحاولة عقد الصلة بين طرفي الصورة ، ومنه قوله:

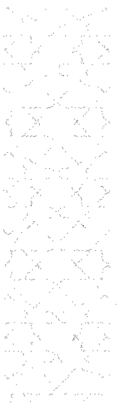
جيــادكَ يا من طَبّقَ الأرضَ عدلُهُ   وحاز بأعلى الجِــدِّ أعلى المناصبِ

إذا سابقَتْهــا في المَهَامِهِ غِرّةً   رياحُ الصّبا عادتْ لها كالجَنَائِبِ

ولو لم تكن في ظهرها كعبةُ المنى   لمـا شُبِّهَتْ آثارُها بالـمَحاربِ[4]

فقد نأى الشاعر عن التصريح بوجه الشبه معطياً القارئ مجالاً لعقد الصلة بين طرفي الصورة .

(١) القطعة رقم (٢١) من الشعر المجموع .
(٢) أسرار البلاغة : ١٠٩.
(٣) انظر : استعادة الماضي ، دراسات في شعر النهضة . د. جابر عصفور: ٢٤٤ . دار المدى للثقافة والنشر .ط٢ . ٢٠٠٢م سورية .
(٤) القطعة رقم (١) من الشعر المجموع .



ومن التشبيه المفصّل الذي ذُكر فيه وجه الشبه قوله:

إن أينع النّارنج حاكى لونـهُ　　　في صبغهِ القانيّ خدّ حبيبي[1]

وقوله :

يقولون شبّهْتَ الغزالَ بأهْيَفٍ　　　وهـذا دليلٌ في المحبّـة واضحُ

ولولم يكن لَحظُ الغزال كلَحْظِه　　　احْـوراراً لماتاقتْ إليه الجوارحُ[2]

فالتشبيه مفصّل ؛ لذكر ابن دِمِرْداش وجه الشبه (في صبغه القاني ، احوراراً) .

ويرد التشبيه البليغ الذي خلا من الأداة والوجه، وهو أبلغ من المرسل الذي تُذكر معه الأداة لجعله المشبه عين المشبّه به دون الأداة التي تُشعر بإلحاق الناقص بالزائد ، كما أنه أكثر إيجازاً، ومنه قوله:

قمرٌ يَمِيْسُ به كما شاء الصّبا　　　غصـنٌ يسـرّ النّاظرين نَضيرُ[3]

فالمراد المحبوب قمر ، وهو أيضاً غصن ، وفي الصورة ترشيح لأن الشاعر ذكر ما يناسب المشبه به وهو (نضير) الذي يلائم المشبه به (غصن).

وثانية الوسائل التي استعان بها ابن دِمِرْداش في عرض معانيه :

الاستعارة :

الاستعارة فرع عن التشبيه ، وهي لون من ألوان التعبير التي يعمد إليها المتحدثون ، عاقدين فيها علاقات بين أمرين أو أمور عدة ، في ترابط فني يؤلف بينه الأديب وفق طاقته .

وهي قسمان أولاهما التصريحية التي يُذكر فيها المشبّه به ويُحذف المشبّه، ومنها قوله:

قسمـاً بظبي ليس فيـه نفـورُ　　　إنّي بعشـق عِـذَارِهِ معـذورُ[4]

فقد شبه المحبوبة بالظبي بجامع الحسن ثم استعار اللفظ الدال على المشبّه به (الظبي) للمشبّه (المحبوبة) على سبيل الاستعارة التصريحية .

وللتصريحية شواهد أخرى منها:

عجباً لِمَشْغُوفٍ يفوهُ بمدحكم　　　مــاذا يقول ومـا عسـاهُ يمدحُ؟

والكــون إمّا صامتٌ فَمُعَظِّـمٌ　　　حرماتِكـم أو ناطقٌ فَمُسَبِّحُ[5]

والقسم الثاني المكنية وهي ما ذُكر فيها المشبّه وحُذف المشبه به، ومنه قوله:

(١) من القطعة رقم (٣) من الشعر المجموع .
(٢) القطعة رقم (٥) من الشعر المجموع .
(٣) من القطعة رقم (١١) من الشعر المجموع .
(٤) من القطعة رقم (١١) من الشعر المجموع .
(٥) القطعة رقم (٤) من الشعر المجموع .

ما أبطــأتْ أخبــار من أحببتُـهُ عن مسمعي بقدومهِ ورجوعِهِ
إلا جرى قلــمي إليـــه حافيـــاً وشكــا إليه تشوُّقي بدموعِهِ[1]

فقد شبه ابن دِمِرْداش القلم بإنسان ، وحذف المشبّه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الجري) على سبيل الاستعارة المكنية ، وهي مكنية تبعيّة ـ لجريانها في مشتق ـ، والقرينة الدالة على عدم إرادة المعنى الحقيقي هي استحالة وقوع الأمر من القلم ، وفي ذكر ابن دِمِرْداش (حافيا) ترشيح للاستعارة ؛ لأنه ذكر فيها ما يلائم المشبه به وهو الإنسان .

ومن شواهدها أيضا قوله:

ولقد قطعتُ العيش في زمن الصِّبا قطـعَ امــرئ عــن غَيِّـهِ لا يرجعُ
أيّام ألقى الحـــادثات بمثلهـــا بأساً وأنف الخطب عنّيَ أَجْدَعُ[2]

شبه الخطب بالإنسان ، وحذف المشبّه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الأنف) على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي استحالة وقوع الأنف للخطب ، وفي ذكر ابن دِمِرْداش (أجدع) ترشيح للاستعارة ، لأنه ذكر فيها ما يلائم المشبه به وهو الإنسان .

ومن المكنية قوله:

حتى إذا رقّ جِلْبَابُ الدُّجى وسرتْ من تحت أَذْيالِهِ مِسْكِيَّةُ النَّفَس
تبسّــم الصُّبح إعجــاباً بخلوتنـــا ووصلنا الطّاهر الخالي من الدَّنَس[3]

فقد شبّه الصبح بإنسان ، وحذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه (تبسّم) على سبيل الاستعارة المكنية ، وفي إسناد التبسّم للصبح استعارة تخييلية .

ومن الاستعارات التي أجد فيها لوناً من الحسن قوله:

انظر إلى الأزهار تلقَ رؤوسَـهـا شابتْ وطفل ثمارها ما أدركَا
وعبيرها قد ضاع من أكمامهـا وغـــدا بأذيال الصَّبا مُتَمَسِّكَا[4]

وخصوصا قوله (وغدا بأذيال الصبا متمسّكا) ؛ وذاك أنه شخّص العبير والصبا ، فأصبح العبير قادراً على الإمساك بأذيال الصبا ، والمفارقة آتية من الصدمة التي تحدثها الصورة فالأمران (العبير) وريح (الصبا) لا يحدث منهما ذلك الأمر ؛ إذ إنهما أمران معنويان ، إلا أن الشاعر جعل

(١) القطعة رقم (١٦) من الشعر المجموع .
(٢) من القطعة رقم (١٧) من الشعر المجموع .
(٣) القطعة رقم (١٤) من الشعر المجموع .
(٤) القطعة رقم (٢٣) من الشعر المجموع .

الأمر واقعاً، وهو بهذا يكسر حاجز الألفة الذي لفّ كثيراً من صوره، وينتقل إلى جانب الإدهاش وصَدْمِ المتلقي جمالياً، فقد جعل المعنوي محسّاً وحقق عنصر المفاجأة والمباغتة[1] .

وفي إثبات ابن دِمِرْداش الأذيال للصبا استعارة تخييلية، فقد شبه الصبا بالحيوان، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الذيل)، وفي قول ابن دِمِرْداش (متمسّكا) ترشيح للاستعارة، وثمرته تحقيق المبالغة في الاستعارة .

وثالثة الوسائل :

المجاز المرسل :

وهو قليل إذا قُورِن بما سبق، ومنه قوله عن محبوبته :

ولمّا أشارتْ بالبنانِ وودّعَتْ	**وقد أظهرتْ للكاشِحِينَ تَشَهُّدَا**
طَفِقْنَا نَبُوسُ الأرضَ نُوهِمُ أنّنا	**نُصلِّي الضُّحى خوفاً عليها من العِدَى**[2]

والشاهد في قوله (بالبنان) والمراد اليد وهو جزء منها، فالعلاقة الجزئية، ولست أرى البنان ذا مزيّة هنا ليذكره دون الإصبع، فالبلاغيون يشترطون أن يكون للجزء المذكور «مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد»[3] .

ومن العناصر المكونة للصورة اللون والسرعة، وهما جزآن من أجزاء كثيرة تسهم في تشكيل الصورة، ولكنهما الأبرز ولذا أفردتهما بالحديث .

اللون :

ويتبدّى في جملة من النصوص، منها قوله:

لمّا بدا الجُلّنَارُ في القُضُبِ	**والطَّلُّ يبدو عليه كالحَبَبِ**
كأنّما أكؤسُ العَقِيقِ به	**قد مُلِئَتْ من بُرَادَةِ الذَّهَبِ**[4]

ومنها:

إن أينع النَّارِنْجُ حاكى لونَهُ	**في صِبْغِهِ القَانِئ خدّ حبيبي**
وإذا تَبَدّى مُزْهِراً فكأنّما	**جمع الوصالَ عِذَارُهُ ومشيبي**[5]

ويمثل وجود اللون في قليل من الأحايين مظهر تضاد بين أجزاء النص كما في قوله :

---

(١) انظر: جماليات الأسلوب. د. فايز الداية: ١٢٠. دار الفكر. ط ٢. ١٤١٦هـ دمشق .
(٢) القطعة رقم (٧) من الشعر المجموع .
(٣) الإيضاح. الخطيب القزويني. قدّم له وبوّبه وشرحه د. علي أبو ملحم: ٢٩٨. منشورات دار ومكتبة الهلال. ط ٢. ١٩٩١م. بيروت. لبنان .
(٤) القطعة رقم (٢) من الشعر المجموع .
(٥) القطعة رقم (٣) من الشعر المجموع .

وَلَرُبَّ ليلٍ سرتُ فيه والدُّجَى يُدْعَى لِفَرْطِ ظلامه بالكافرِ
طَوراً أضلّ عن الطريق وأهتدي طَوراً بنجمٍ من هلال الحافر[1]

فالتضاد بين الأسود والأبيض يبرز المتحدث عنه،ويجعل أمام القارئ ضدين يصطرعان في النص .

وحيناً يغلب لون على القطعة كقوله:

رأيتُ في السوق خيّاطاً محاسنهُ تَزْهُو على البدر إذ يبدو من الأُفُقِ
إن قرّض الخيطَ في فيهِ وألصقهُ إلى ثنايا كنظم الدُّرِّ في النَّسَقِ
تكسوهُ نور ثناياهُ فتحسبُهُ على المراشِفِ خيط الصُّبحِ في الشَّفَقِ[2]

فالبياض شائع في النص وتدل على ذلك ألفاظ كـ(البدر ، كنظم الدر في النسق ، نوراً ، خيط الصبح) .

وفي جانب السرعة يبرز قوله:

جيادكَ يا من طَبّقَ الأرضَ عدلُهُ وحاز بأعلى الجِدِّ أعلى المناصبِ
إذا سابقَتْها في المَهَامِهِ غِـرَّةً رياحُ الصَّبا عادتْ لها كالجَنَائِبِ
ولو لم تكن في ظهرها كعبةُ المنى لمـا شُبِّهَتْ آثارُها بالمَحارِبِ[3]

ففي البيت الثاني تصوير سرعة الجياد ،فرياح الصبا مهما جدّت في جريها لا تلحق هذه الجياد .

---

(١) القطعة رقم (٩) من الشعر المجموع .
(٢) القطعة رقم (١٩) من الشعر المجموع .
(٣) القطعة رقم (١) من الشعر المجموع .

الوزن :

يعدّ الوزن من أبرز الخصائص الفنية للشعر ، وهو من الفوارق المهمة بينه وبين النثر ، ومن الأمور التي تُكسب الشعر تأثيراً نفسياً يزيده رونقاً وحسناً .

وفي البدء أنبّه إلى أن الشعر المجموع ربما لا يمثّل كل شعر ابن دِمِرْداش ، ولهذا فالأحكام التي أسوقها لا تعدّ قاطعة ، فهي تحاكم الشعر المجموع فقط .

وعند النظر في البحور التي نظم عليها ابن دِمِرْداش أجدها كما يأتي :

البحر	العدد
الكامل	١٦
الطويل	١٢
البسيط	٤
الخفيف	٣
المنسرح	٣
الدوبيت	٢
المجتث	١

يبين من الجدول أن الشاعر يؤثر بحور الرصانة في الشعر العربي[١]، وهي الكامل والطويل والبسيط والخفيف ، وإن كان مقلاً من البسيط ومن الخفيف الذي تساوى معه المنسرح ، ويبين أيضاً تنكّب الشاعر المجزوآت إلا نادراً.

ويظهر من الجدول أيضاً أن الشاعر يحذو حذو أسلافه الذين ألفوا النظم على الأبحر الطويلة[٢].

أما الروي فقد أتى على أربعة عشر حرفاً هي :

الحرف	عدد وروده
اللام	٦
الميم	٦

(١) انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء . حازم القرطاجني . تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة : ٢٦٨. دار الكتب المشرقية.
(٢) استبعدت من النتيجة نصاً من الكامل وآخر من السريع ونصين من الطويل ،لأنها منسوبة إلى ابن دِمِرْداش وإلى غيره .

الراء	٥
القاف	٤
الباء	٤
العين	٣
الدال	٣
الكاف	٢
الحاء	٢
النون	٢
السين	١
الزاي	١
الهاء	١
الواو	١

ولا غرابة في شيوع حروف اللام والميم والراء ؛ فهي من الحروف التي يكثر النظم عليها ، كما أنه لا غرابة في قلّة نظم ابن دِمِرْداش على بعض القوافي كالزاي والهاء والواو ؛ إذ هي من القوافي النفّر[١] التي يقلّ النظم عليها في الشعر[٢] .

أما ما يتصل بحركات حروف الروي فهي كما يلي :

الحركة	العدد
الكسرة	١٧
الضمة	١٦
الفتحة	٧
السكون	١[٣]

(١) انظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب . د. عبد الله الطيب :١/ ٧٥ وما بعدها . ط٢. ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م . الكويت .

(٢) استبعدت من النتيجة نصاً على حرف الحاء وآخر على القاف وثالثاً على الكاف ورابعاً على النون ، لأنها منسوبة إلى ابن دِمِرْداش وإلى غيره.

(٣) استبعدت من النتيجة نصاً على **الكسرة** وآخر على **الضمة** وثالثاً على **الفتحة** ورابعاً على **السكون** ، لأنها منسوبة إلى ابن دِمِرْداش وإلى غيره.

أما فيما يتصل بأنواع القوافي فهي كما يأتي :

اسم القافية	العدد
المتدارك[1]	١٩
المتواتر [2]	١٥
المتراكب	٧[3]

أما فيما يتصل بالقوافي المطلقة والمقيّدة فهي كما يلي :

القوافي	العدد
المطلقة	٤١
المقيّدة	١[4]

ويعدّ هذا أمراً لا غرابة فيه ؛ فالشعراء يميلون إلى القافية المطلقة لملاءمتها للتنغيم والإنشاد ، والعلة في ذلك ما يتأتّى فيها من الصوت ، فيمكن فيها ما لا يمكن في غيرها[5].

وفي الإيقاع الداخلي يبرز الجناس ، ومنه التام والناقص ، فمن التام قول ابن دِمِرْداش:

تقضّتْ شهورٌ بالبعاد وأحوالُ جرتْ بعدكم فيه أمورٌ وأحوالُ[6]

فـ(أحوال) الأولى السنوات ، جمع حول ، والثانية من الحال .

ومن الناقص قوله :

يرنو إليّ بناظر فيه الرضى فيغور في قلبي الجوى ويغير

وقوله من النص نفسه:

لايعتريه تكلف أنّى سرى سرّا ولايرزوه حين يزور[7]

وقوله:

قد ضُنتُ سرَّ هواكمُ ضَنّاً به إن المُتَيّمَ بالهوى لضَنِينُ

فوشتْ به عيني ولم أكُ عالما من قبلها أنّ الوشاة عيونُ[8]

---

(١) المتدارك :«كل قافية توالت فيها حركتان بين ساكنين» الوافي بمعرفة القوافي . أبو العباس العنابي الأندلسي . تحقيق د. نجاة نولي :٦١. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ط١ . ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

(٢) المتواتر : »كل قافية وقع فيها حرف متحرك بين ساكنين« المصدر السابق : ٦٢.

(٣) استبعدت من النتيجة نصين من المتواتر ونصاً من المتدارك ومثله من المترادف ،لأنها منسوبة إلى ابن دِمِرْداش وإلى غيره .

(٤) استبعدت من النتيجة ثلاثة نصوص مطلقة ونصاً مقيّدا ، لأنها منسوبة إلى ابن دِمِرْداش وإلى غيره .

(٥) انظر : القوافي . أبو يعلى التنوخي . تحقيق عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان :١١٢. ط١. دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع . ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م بيروت . لبنان .

(٦) من القطعة رقم (٢٦) من الشعر المجموع .

(٧) من القطعة رقم (١١) من الشعر المجموع .

(٨) القطعة رقم (٣٦) من الشعر المجموع .

والشاهد الأظهر في البيت الثاني بين (عيني) و(عيون)، وفي اللفظ الثاني إضافة للجناس تورية معناها القريب العيون المبصرة والبعيد أنهم جواسيس.

ومن مظاهر الموسيقا الداخلية ما يرد في النص من التكرار الذي يكوّن لوناً من ألوان التناغم بين شطري البيت، ومن ذلك ما ورد في قول ابن دِمِرْداش:

طوراً أضلّ عن الطريق وأهتدي　　　طوراً بنجمٍ من هلال الحافر[1]

والشاهد في لفظة (طوراً) فوجودها في بداية الشطرين أعطى رباطاً صوتياً موحداً بين البدايتين، وإن لم يحمل دلالات موسيقية كثيفة.

وقد يطول الفصل نسبياً بين اللفظين المكررين، وحينئذ يمثّل التكرار مظهراً من مظاهر الترابط بين الموضعين، فيغدو الأخير مذكّراً بالأول كما في قول ابن دِمِرْداش عن الزجاجة التي أتى بها لمحبوبه:

وَتَأَرّجَتْ بِرُضَــابِهِ وأَمَدّهَـــــا　　　من نار وَجْنَتِهِ شُعــــاعاً أحمرَا

ثم انْثَنَى ثَملاً وقد أسكــــرتُهُ　　　بِرُضابِهِ وبِوَجْنَتَيِهِ ومــــا درَى[2]

ومن أشكال الموسيقا الداخلية ما يرد من الموازنة في شعر ابن دِمِرْداش كقوله:

لقد لذّ لي من بعد طول تنسّـكي　　　غرامي بمعسول اللّمى وتهتُّكي[3]

والشاهد بين (تنسُّكي) و(تهتّكي)، وأرى أن مجيء اللفظين في آخر الشطرين يعطي البيت مزيداً من التطابق في النغم الأخير، ويجعل الثاني مذكّراً بالأول.

ويوجد التدوير في بحر الخفيف. وهو اشتراك شطري البيت في كلمة واحدة. وهو أمر أرى فيه الخروج عن رتابة الأشطر المتساوية،ومن ذلك قول ابن دِمِرْداش:

باسماً في كمامهِ، وابتســام الْـ　　　ـعُجْبِ يخفى للحسن في الأكمامِ

كيف لا يَزْدَهِيْهِ عجبٌ وقد أصْـ　　　ـبَح يحكيكَ يا رشيق القوامِ؟

يا حمام الأراك لا تُعرب اللّحْــــ　　　ـنَ فحسبي ما فيكَ من إعجامِ[4]

وقوله:

أنا من معشرٍ إذا استمعــوا العذْ　　　لَ تجافــــوا عنـــه ومرّوا كرامًا

(1) من القطعة رقم (٩) من الشعر المجموع.
(٢) من القطعة رقم (١٢) من الشعر المجموع.
(٣) من القطعة رقم (٢٢) من الشعر المجموع.
(٤) من القطعة رقم (٣٠) من الشعر المجموع.

وقوله:

يصبح العاذلون في الهرج والمرْ ... جِ وقلبي لا يستفيـــق غراما[1]

ومما يتصل بدراسة الوزن النظر في الضرورة الشعرية التي وردت في شعر ابن دِمِرْداش ومن ذلك قوله :

يقولون شبّهت الغـزال بأهيفٍ ... وهذا دليـلٌ في المحبّــة واضحُ[2]

وقوله أيضا :

وتأرّجت برضـــابه وأمدّهـــــا ... من نار وجنته شعاعا أحمـرا[3]

فـ(بأهيفٍ)مصروفة وحقّها المنع من الصرف ،للوصفية ومجيئها على صيغة (أفعل) الذي مؤنثه (فعلاء)[4]،وفي الشاهد الثاني (أحمرا) والأصل (أحمر)دون تنوين،وعلّته كعلة الشاهد السابق .

ومن الضرورة تسهيل الهمزة كما في قول ابن دِمِرْداش :

إذا ما قطعتُ العمر في ظلّ عشقهِ ... فللّــهِ ما أحلاهُ عيشاً وما أهنا[5]

والأصل (وما أهنأ) ولكن الشاعر سهّل الهمزة .

ومنها تسكين المتحرك كقول ابن دِمِرْداش :

فَهْوَيُغنّي مـــدى الزمـــان لهـا ... وَهْيَ بأوراقهـــا تراسلـــــه[6]

فالأصل (فهُو) بضم الهاء و(وهِي) بكسر الهاء ، ومثله قوله :

قال اسقني فأتيتــه بزجاجـــةٍ ... مُلِئَـتْ قَرَاحـــا وهْو لاهٍ لا يرى[7]

فالأصل (وهُو) بضم الهاء[8] .

ومن المسائل المتصلة بالوزن ذكرُ الخلل في القوافي ، وهو قليل جداً ، ولم يبد لي إلا في موضع واحد هو قوله:

يقول لي الدُولابُ: راضِ حبيبـكَ ... الْمَلول بما يهوى من الخير والنفعِ

فإنّي مــن عــودٍ خُلِقْـــتُ وها أنا ... إذا مال عنّي الغصن أسقيه من دمعِي[9]

فتفعيلة الضرب في البيت الأول (مفاعلن) ، وفي البيت الثاني (مفاعيلن) وهذا تغيّر يشعر به قارئ النص ، ففي قوله (هِ من دمعي) ثقل ظاهر ، ونشاز في نغم آخر البيت .

* * *

---

(١) من القطعة رقم (٣٥) من الشعر المجموع .

(٢) من القطعة رقم (٥) من الشعر المجموع .

(٣) من القطعة رقم (١٢) من الشعر المجموع .

(٤) انظر:أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.ابن هشام الأنصاري: ٤/ ١٠٩ . المكتبة العصرية. ١٤١٥هـ بيروت .

(٥) من القطعة رقم (٣٧) من الشعر المجموع .

(٦) من القطعة رقم (٢٧) من الشعر المجموع

(٧) من القطعة رقم (١١) من الشعر المجموع.

(٨) ومثل الشاهدين ما ورد في النص رقم (٢٥) من الشعر المجموع .

(٩) القطعة رقم (١٥) من الشعر المجموع .

الشعر المجموع:

(قافية الباء)

(١)

(الطويل)

١- جيادكَ يا مــن طَبّــقَ الأرضَ عدلُــهُ ... وحاز بأعلى الجِدِّ أعلى المناصبِ

٢- إذا سابقَتْهــا فــي المَهــامــهِ غِرَّةً ... رياحُ الصَّبا عادتْ لها كالجَنَائِبِ

٣- ولو لم تكن في ظهرها كعبةُ المنى ... لما شُبِّهَتْ آثارُها بالمَحــاربِ

التخريج:

مسالك الأبصار :٢٩٩/١٦. فوات الوفيات :٢٨١/٣. أعيان العصر:١٤٠/٥. الشعور بالعور:٢٢٨. الوافي بالوفيات :٢٣٤/١،٢٣٥.

اختلاف الروايات :

١.في الشعور بالعور والوافي بالوفيات (الحد) موضع (الجد).

٢.في فوات الوفيات (المهبّة) موضع (المهامه).

٣.في مسالك الأبصار وفوات الوفيات (لم يكن) موضع (لم تكن).

الشرح:

١.طبّق: غطّى وشمل. (اللسان : طبق). الجدّ : الحظ : (اللسان : جدد).

٢.المهامه : جمع مهمه، وهي المفازة البعيدة. (اللسان : مهه). الجنائب: جمع جنيبة وهي الدابة التي تُقاد. (اللسان : جنب).

(٢)

(المنسرح)

١- لمّا بدا الجُلّنَارُ في القُضُبِ ... والطَّلُّ يبدو عليه كالحَبَبِ

٢- كأنّما أكؤسُ العَقيقِ به ... قد مُلِئَتْ من بُرَادَةِ الذّهَبِ

التخريج:

نزهة الأنام : ١٢٩.

الشرح :

١. الجلنار:فارسي معرّب معناه زهر الرمان ،(المعجم الوسيط:الجلنار).القُضُب:جمع قضيب، وهو كل نبت من الأغصان . (اللسان : قضب) .الطلّ: المطر الصغار الدائم القطر ، وهو أرسخ المطر ندى . (اللسان : طلل). الحبب : حبب الماء تكسّره . (تهذيب اللغة : حب).

٢. العقيق:خرز أحمر تُتخذ منه الفصوص ،والواحدة عقيقة . (اللسان : عقق). برادة : البرادة ما سقط من المعدن حديدا كان أم جوهراً عند نحته. (اللسان: برد).

(٣)

(الكامل)

١- إن أينع النَّارِنْجُ حاكى لونَهُ	في صِبْغِهِ القَانيِّ خدّ حبيبي
٢- وإذا تَبَدَّى مُزْهِراً فكأنّمــا	جمع الوصالَ عِذَارُهُ ومشيبي

التخريج:

نزهة الأنام : ١٩٩. رشف النبيه:ق/٤٣ب .

الشرح :

١. النارنج : شجرة مثمرة ، دائمة الخضرة ، تسمو بضعة أمتار ، أوراقها جلدية خضرة لامعة ، لها رائحة عطرية ، وأزهارها بيض عبقة الرائحة تظهر في الربيع .(المعجم الوسيط: النارنج) . القاني : شديد الحمرة : (اللسان : قنأ) .

٢. عذاره : العذار : جانب اللحية .(اللسان : عَذَرَ).

(قافية الحاء)

(٤)

(الكامل)

١- عجباً لِمَشْغُوفٍ يفوهُ بمدحكم	ماذا يقول وما عساهُ يمدحُ؟
٢- والكـون إمّا صـامتٌ فَمُعَظِّــمٌ	حرماتِكم أو ناطقٌ فَمُسَبِّحُ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠٠/١٦. فوات الوفيات :٢٨١/٣. أعيان العصر:١٣٩/٥. الشعور بالعور:٢٢٨. الوافي بالوفيات :٢٣٤/١.

اختلاف الروايات :

١. في فوات الوفيات (يحدّث عنكم) موضع (يفوه بمدحكم) ، وفي أعيان العصر: (يفوه بذكركم).

(٥)

(الطويل)

١- يقولــون شبَّهْــتَ الغــــزالَ بأَهْيَفٍ وهذا دليلٌ في المحبّة واضحُ

٢- ولو لم يكن لَحْظُ الغزال كلَحْظِه احْـ ـوِراراً لما تاقتْ إليه الجوارحُ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠٢/١٦. فوات الوفيات : ٢٨٢/٣. أعيان العصر:١٤١/٥. الشعور بالعور: ٢٢٩. الوافي بالوفيات : ٢٣٥/١. الدر المصون :١١١.

التصحيح:

٢. في الشعور بالعور وردت (احوراراً) كلها في الشطر الثاني ، والصواب اشتراك الشطرين فيها .

الشرح:

١. بأهيف : الأهيف : الرقيق الخصر الضامر البطن .(اللسان :هيف).

٢. لحظ :اللحظ : مؤخرة العين . (اللسان :لحظ) .

(قافية الدال)

(٦)

(الكامل)

١- حتّامَ لا تصل الـمُدامَ فقد أتتْ لكَ في النّسيم من الحبيب وعودُ

٢- والنّهر من طَرَبٍ يُصَفِّقُ فرحةً والغصـــن يرقص والرِّياض تَمِيدُ

التخريج:

مسالك الأبصار :٢٩٩/١٦ . فوات الوفيات :٢٧٨/٣. أعيان العصر:١٣٨/٥. الشعور بالعور:٢٢٧. الوافي بالوفيات : ٢٣٣/١.

اختلاف الروايات :

١. في فوات الوفيات ، والشعور بالعور ، والوافي بالوفيات : (وقد) موضع (فقد) ، وفي الشعور بالعور (إلى الحبيب) .

(٧)

(الطويل)

١- ولمّا أشـــارتْ بالبنان وودّعَتْ وقد أظهـــرتْ للكَاشِحِينَ تَشَهُّدَا

٢- طَفِقْنَا نَبُوسُ الأرضَ نُوهِمِ أنّنا نصلّي الضُّحى خوفاً عليها من العِدَى

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠٢/١٦. فوات الوفيات : ٢٨٢/٣. جلوة المذاكرة:ق١٥٣. أعيان العصر: ١٤١/٥. الشعور بالعور: ٢٢٩. الوافي بالوفيات : ٢٣٥/١.

اختلاف الروايات :

١. في جلوة المذاكرة :رواية الشطر الأول (ولمّا برزنا للوداع وأقبلت).

٢. في الشعور بالعور (بنَوس ... نودهم) موضع (نبوس...نوهم).

الشرح:

١. الكاشحين :جمع كاشح ،وهو العدو المبغض الذي يضمر لك العداوة .(اللسان : كشح).

٢. طفقنا : جعلنا .(اللسان : طفق) . نبوس: نقبّل ، فارسي معرّب . (المعجم الوسيط : باسه).

(٨)

(المجتث)

١- وَجُـلُنـــــارٍ تَبَـدَّى في غُصنـــــهِ يتوقّدْ

٢- كـأنجـمٍ مـن عقِيقٍ سماؤُها من زَبَرْجَدْ

التخريج:

رشف النبيه: ق٦٧أ.

الشرح:

٢. زبرجد: الزبرجد حجر يشبه الزمرد ، وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر .(المعجم الوسيط : زبرجد).

(قافية الراء)

(٩)

(الكامل)

١. وَلَرُبَّ ليلٍ سرتُ فيه والدُّجَى يُدْعَى لِفَرْطِ ظلامِه بالكافرِ

٢. طَوراً أضلّ عن الطريق وأهتدي طَوراً بنجمٍ من هلال الحافرِ

التخريج:

فوات الوفيات :٣/ ٢٧٩.

الشرح:

١. الكافر : الساتر والمغطّي . (القاموس المحيط: كفر).

٢. الحافر : الحافر من الحيوان ما يقابل القدم من الإنسان . (المعجم الوسيط:حفر) .

(١٠)

(الطويل)

١. تَأَمّلْ ترى النّارنْجَ في الدّوح باسماً نَضِيراً يروق العين من جُلُنَارِهِ

٢. وقد لاح تحت الغصن غضّاً كأنّهُ خدود الذي أهواهُ تحت عِذَارِهِ

التخريج:

نزهة الأنام :٢٠٠-٢٠١. رشف النبيه:ق/ ٨٤أ.

الشرح :

٢. غضا : الغض : الطري. (القاموس المحيط :غضّ).

(١١)

(الكامل)

١- قسماً بظبيٍ ليس فيه نفورُ إنّي بعشق عِذَارِهِ معذورُ[٧٦]

٢- قمرٌ يَمِيْسُ به كما شاء الصّبا غصنٌ يسرُّ النّاظرينَ نَضِيرُ

٣- يرنو إليّ بناظــــرِ فيه الرضى فيَغُور في قلبي الجوى ويُغِيرُ

٤- وتزيدني ألطافُـــهُ شَغَفــاً به وقليل إحسان الحبيب كثيرُ

٥- وإذا أتاني زائـراً وافـــى وفي ديبــاجَتَيْـــهِ نَضْـرَةٌ وسرورُ

٦- لا يَعْتَـــريهِ تكلُّفٌ أنّى سرَى ســـرْاً ولا يـَرْزُوهُ حين يزورُ

التخريج:

فوات الوفيات :٣/ ٢٧٩.

الشرح:

٢. يميس: يتبختر ويختال في مشيته . (اللسان : ميس).

٣. يغور : الغور: القعر م كل شيء . (القاموس المحيط: غور) .

٥. ديباجتيه :الديباجتان : الخدّان . (اللسان: دبج) .

٦. يعتريه : يصيبه.(القاموس المحيط : عرى) . لا يرزوه : لا يصيبه برزية أي : مصيبة .

(١٢)

(الكامل)

١- وَمُهَفْهَف الأَعْطَافِ مَعْسُول اللّمَى كالغصن يَعْطِفُهُ النّسيم إذا سرَى

٢- قـــال : اسقني فأتيتُـهُ بزجاجةٍ مُلِئَــتْ قَرَاحـــاً ، وَهْو لاهٍ لا يَرَى

٣- وَتَأَرّجـــتْ بِرُضَـابِــهِ ، وأَمَدّهَـــا مـــن نـــار وَجْنَتِهِ شُعاعاً أحمرَا

٤- ثم انْثَنَى ثَمِلاً وقد أسكـــــرتُهُ بِرُضابِهِ وبِوَجْنَتَيهِ ، ومـــــا درَى

التخريج:

مسالك الأبصار :٢٩٨/١٦ . فوات الوفيات :٢٧٧/٣. أعيان العصر:١٣٧/٥. الشعور بالعور :٢٢٦-٢٢٧. الوافي بالوفيات :٢٣٣/١. تأهيل الغريب: ٤١٩. الدر النفيس:٩٤/٢.

اختلاف الروايات :

١. في تأهيل الغريب (يعشقه) موضع (يعطفه) .

٢. في الشعور بالعور (قُراحا) بضم القاف ، وفي تأهيل الغريب (يُرى) موضع (يَرى).

الشرح :

١. مهفهف : المهفهف :الخميص البطن ،الدقيق الخصر .(اللسان :هفف). الأعطاف : جمع عطف وهو من كل شيء جانبه . (القاموس المحيط :عطف). اللمى :سمرة تستحسن في الشفتين . (اللسان :لما) .

٢. قراحا : القراح : الماء لا يخالطه ثفل أي : كدر. (القاموس المحيط : قرح) .

٣ . تأرجت : فاحت رائحتها الطيبة. (اللسان :أرج). رضابه : الرضاب : الريق . (القاموس المحيط : رضب).

٤ . ثملا: الثَّمِل : من أخذ فيه الشراب . (اللسان :ثمل).

ذكر الصفدي أن النص مولّد من قول الملك الأمجد (٦٧٠هـ)، وفيه زيادة :

دعوت بماء في إناء فجاءني	**غلام بها صرفاً فأوسعتُهُ زجرا**
فقال هو الماء القراح وإنّما	**تجلّى لها خدّي فأوهمك الخمرا**[1]

(قافية الزاي)

(١٣)

(البسيط)

١. أَحْسِنْ إلى النَّاس مهما كنتَ مُقْتَدِراً	**على الجميل ففعل الخير يُنْتَهَزُ**
٢. ولا تكـــن كـأُناسٍ أَخّــرُوهُ إلى	**غـدٍ ، فلمَّا أتاهم في غدٍ عجزُوا**

التخريج:

مسالك الأبصار :٢٩٨/١٦.

(١) انظر: أعيان العصر: ١٣٧/٥، والأبيات في ديوان الملك الأمجد . تحقيق غريب محمد علي أحمد :٣٣٠. الهيئة المصرية العامة للكتاب . مطبعة دار الكتب .د ط. ١٩٩١م . وبين الأبيات في ديوان الملك الأمجد وفي أعيان العصر اختلاف يسير.

(قافية السين)

(١٤)

(البسيط)

١. حتى إذا رقّ جِلْبَابُ الدُّجى وسرتْ   مــن تحت أَذْيالِهِ مِسْكِيَّةُ النَّفَسِ

٢. تبســـم الصُّبـــح إعجاباً بخلوتنا   ووصلنا الطّاهر الخالي من الدَّنَسِ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠١/١٦. فوات الوفيات :٢٨١/٣. أعيان العصر:١٤٠/٥. الشعور بالعور :٢٢٨. الوافي بالوفيات :٢٣٤/١.

اختلاف الروايات :

١. في الشعور بالعور (مشكيّة) موضع (مسكيّة) وهو تصحيف.

الشرح :

١. جلباب : الجلباب: الخمار . (القاموس المحيط :جلب) .

(قافية العين)

(١٥)

(البسيط)

١. يقول لي الدُّولابُ :راضِ حبيبكَ الْـ   ـمَلول بما يهــوى من الخـير والنفعِ

٢. فإنّي مـــن عـــودٍ خُلِقـــتُ وها أنا   إذا مال عنّي الغصن أسقيهِ من دمعِي

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠٢/١٦. فوات الوفيات : ٢٨٢/٣-٢٨٣. أعيان العصر:١٤١/٥. تشنيف السمع:٢١٨. الشعور بالعور:٢٣٠. الوافي بالوفيات :٢٣٥/١.

التصحيح:

١. في الشعور بالعور كتب (الملول) كلها في الشطر الثاني،والصواب انقسامها بين الشطرين.

اختلاف الروايات :

١. في مسالك الأبصار (يهوى) موضع (تهوى) .

(١٦)

(الكامل)

١- ما أبطأَتْ أخبار من أحببتُهُ … عن مسمعي بقدومهِ ورجوعِهِ

٢- إلا جــرى قلمي إليه حافياً … وشكا إليه تشوُّقي بدموعِـــهِ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠٢/١٦. فوات الوفيات : ٢٨٢/٣. تشنيف السمع:٢١٧. الشعور بالعور: ٢٢٩. الوافي بالوفيات : ٢٣٥/١.

اختلاف الروايات :

٢ـ في فوات الوفيات (قلبي ... خافقا) موضع (قلمي...حافيا).

(١٧)

(الكامل)

١ـ ولقد قطعتُ العيش في زمن الصِّبا … قطعَ امرئ عن غَيِّهِ لا يرجعُ

٢ـ أيّـام ألقـــى الحـــادثات بمثلـــها … بأساً وأنف الخطب عنّيَ أَجْدَعُ

٣ـ والآن قد ولّى الشّباب وأقبل الشّـ … ـيب المُلـــــمُّ وخطبه لا يُدْفَعُ

التخريج:

فوات الوفيات :٣/ ٢٨٠.

الشرح :

٢ـ أجدع : الأجدع : من الجدع وهو القطع البائن في الأنف والأذن والشفة واليد ونحوها . (اللسان: جدع)، ومراد الشاعر بقطع الأنف غفلة حوداث الدهر عنه في زمن الصبا.

(قافية القاف)

(١٨)

(الطويل)

١ـ أقول لمسواكِ الحبيب : لك الهنا … برشف فمٍ ما ناله ثغرُ عاشقِ

٢ـ فقـــال وفي أحشائه لاعِجُ الجوَى … مقالـــةَ صبٍّ للدّيار مُفـــارِقِ

٣ـ تذكّـــرتُ أوطاني فقلبي كما ترى … أُعَلِّلُـــهُ بين العُذَيـــب وبـــارِقِ

التخريج:

نهاية الأرب: ٦٧/٢ ، دون عزو . مسالك الأبصار :٢٩٩/١٦. ذيل تذكرة الحفّاظ: ٤٧. فوات الوفيات :٢٧٧/٣. أعيان العصر:١٣٦/٥. الشعور بالعور :٢٢٦. الوافي بالوفيات :٢٣٢/١. النجوم الزاهرة : ٢٥٩/٩. و٣٠٨/١١. شذرات الذهب:١٠٨/٨[1]. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر:١٥٠/١، وسمى الشاعر الشهاب بن تمراس، وهو تصحيف .

اختلاف الروايات :

١.في الشعور بالعور، وذيل تذكرة الحفاظ (المسوال) وهو خطأ مطبعي، وفي نهاية الأرب ، والنجوم الزاهرة في الموضعين، وشذرات الذهب (بلثم) .

٢.في نهاية الأرب ، والنجوم الزاهرة في الموضعين ، وشذرات الذهب (حرق الجوى) وفي فوات الوفيات ، وذيل تذكرة الحفاظ: (حرقة) موضع (لاعج) .وفي أعيان العصر(حرقة الجوى) وفي الشعور بالعور ، والوافي بالوفيات (حرقة النوى) ، وفي خلاصة الأثر (حرق النوى) موضع (لاعج الجوى).

الشرح :

١. (لك الهنا) الأصل (الهناءة)، ومراده أن يجيء الأمر بيسر إلى المرء ويحدث له سرورا .

٢.لاعج :اللاعج الهوى المحرق .(اللسان: لعج) .

٣. العُذَيْب :موضع بظاهر الكوفة ، وهو بطريق مكة. بارق: ماء بالعراق ، وهو الحدّ بين القادسية والبصرة ، وهو من أعمال الكوفة ، وقد أكثر الشعراء ذكره ، ويطلق على موضع بتهامة ، وماء بالسراة وهو ركن من أركان عرض اليمامة[2] .

(١٩)

قال في خيّاط: (البسيط)

١- رأيتُ في السُّوق خيّاطاً محاسنهُ ... تَزْهُــــو على البــدر إذ يبدو من الأُفُقِ

٢- إن قـرْضَ الخيطَ في فيهِ وألصقهُ ... إلى ثنايا كنظـــــم الدُّرِّ في النَّسَـــقِ

٣- تكســـوهُ نوراً ثناياهُ فتحسبُــهُ ... على المراشِف خيط الصُّبح في الشَّفَقِ

التخريج:

فوات الوفيات :٢٧٨/٣.

---

(١) اعتمدت في تخريج الأبيات في (شذرات الذهب) على طبعة دار ابن كثير، فهي أصح وأحكم ضبطا .

(٢) انظر : معجم البلدان :٣١٩/١-٣٢٠.

الشرح:

٢.قرّض : قرّض الشيء :قطعه بالمقراضين . (اللسان :قرض).

(٢٠)

(الكامل)

١- وَلـَـرُبَّ دُولابٍ سقى دَوْحَ الحِمَى	فأعادهــا سكرى على الإطلاقِ
٢- وجدتْ كوجدي بالهوى فخمارها	مثلي وحقِّك من عيون الساقِي

التخريج:

نزهة الأنام :١١٢.

(٢١)

(الطويل)

١- ولمّا بدا الخِشْخَاشُ في الرَّوض مُزْهِراً	وقد نظرتْ شَزْرَاً إليه الحدائقُ
٢- حــكى قلعـــةً أَبْراجُهــا مُسْتَدِيْرَةً	مُشَرَّفَةً دارتْ عليها الصَّناجِقُ

التخريج:

نزهة الأنام : ١٤٩. رشف النبيه:ق/٦٣أ. سلك الدرر:٢/٩٥، دون نسبة .

اختلاف الروايات :

١.في سلك الدرر: (الخلائق) موضع (الحدائق) .

الشرح :

١.الخشخاش : نبات حولي من الفصيلة الخشخاشية ، يُستخرج الأفيون من ثماره . (المعجم الوسيط : خشخش) . شزرا :الشزر : نظر الغضبان بمؤخر العين (القاموس المحيط: شزر) .

٢.الصناجق : جمع صنجق وهو حامل العلم . تكملة المعاجم العربية (صنجق)[1] .

---

(١) تكملة المعاجم العربية . رينهات دوزي . مراجعة جمال الخياط . دار الرشيد. الجمهورية العراقية . وزارة الثقافة والإعلام .

(قافية الكاف)

(٢٢)

(الطويل)

١- لقد لذّ لي من بعد طول تَنسُّكي　　غرامـــي بِمَعْسُــول اللّمَى وتَهَتُّكي

٢- وأَصْلَيْتُ قلبي في جحيم صدوده　　وإن كـــان في توحيده غيرَ مُشْرِكِ

٣- ولم أنسَ إذ ودّعْتُهُ وحُشاشَتي　　تُقابل جيش الشّـــوق في كلّ مَعْرَكِ

٤- فلو يسمعِ الشكوى حسودٌ لَراعَهُ　　غريبُ الهوى من حيث أشكي ويشتكي

٥- ولمّا سرتْ من نحوهِ نسمةُ الصّبا　　يفــوح شذاهـــا كالعبير المُمَسّـكِ

٦- علمـــتُ يقينـــاً أن نار ذَكـائهِ　　أعــارتْ نسيم الرّيح من عَرْفِها الذّكي

التخريج:

فوات الوفيات :٣/ ٢٧٨.

الشرح :

٢ـ أصليت: الصلي: الإحراق بالنار (اللسان: صلا) ومراده جعلت قلبي يقاسي حرّ الجحيم.

٣ـ حشاشتي : الحشاشة : روح القلب ، وريق حياة النفس . (اللسان: حشش) .

(٣٣)

(الكامل)

١- انظر إلى الأزهار تلقَ رؤوسَها　　شابتْ وطفل ثمارها ما أدركا

٢- وعبيرها قد ضاع من أكمامها　　وغـــدا بأذيال الصّبا مُتَمَسّكَا

التخريج:

سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٦٨٧. مسالك الأبصار : ٣٠١/١٦. فوات الوفيات : ٣/ ٢٨٢. جلوة المذاكرة :ق٦٠. أعيان العصر:٥/ ١٤٠. الشعور بالعور: ٢٢٩. الكشف والتنبيه: ٢٧٢. الوافي بالوفيات : ٢٣٥/١. مطالع البدور: ١٤٣/١. الدرر الكامنة : ٥/ ٥٠٩. روض الأزهار: ق٤٣/ ب. حلبة الكميت: ٢٤١. روض الآداب: ق١٣١/أ.

اختلاف الروايات:

١ـ في سير أعلام النبلاء ، ومطالع البدور ، والدرر الكامنة ، وروض الأزهار ، وحلبة الكميت ، وروض الآداب (الأشجار) موضع (الأزهار) .

٢ـ في الكشف والتنبيه (صاغ...مستمسكا).

الشرح :

٢ـ الشطر الثاني متأثر بقول السفياني:

ولو اغتدى ظهر المجرّة راكباً وغـــدا بأنيال السهى متعلّقا[1]

(قافية اللام)

(٢٤)

(الكامل)

١- يا سيِّدي أوحشتَ قوماً ما لهم عن حسن منظركَ الجميل بديلُ

٢- وتَعَلَّلـــتْ شمس النهار فما لها مـــن بعـــد بعدكَ بُكْرَةٌ وأَصِيْلُ

٣- وبكى السَّحاب مساعداً لتَفَجُّعِي من طول هجركَ والنَّسيم عليلُ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠١/١٦. فوات الوفيات : ٢٨١/٣-٢٨٢. أعيان العصر: ١٤٠/٥. الشعور بالعور: ٢٢٩. الوافي بالوفيات : ٢٣٥/١.

اختلاف الروايات :

٢ـ في الشعور بالعور (وما) موضع (فما).

٣ـ في الشعور بالعور (تفجّعاً لتوجّعي) موضع (مساعداً لتفجّعي).

(٢٥)

(الطويل)

١- وما المرء إلا حيث قال فلا [يقل] سوى الخير عن إخوانِه [حين يُسألُ]

٢- فإن قــال شـــرّاً فَهْوَ بادٍ بنفسهِ وإن قال خـــيراً فَهْوَ بالخـــير أجملُ

التخريج:

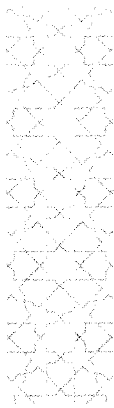
تذكرة النبيه : ١٣٦/٢.

التصحيح:

١ـ وردت (يقل) هكذا (تقل) وأثبت ما يناسب السياق ، وورد الشطر الثاني هكذا (حتى يسأل) ولا معنى لها ، وبها ينكسر البيت ، وصوبتها على ما يقتضيه السياق.

---

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . أبو منصور الثعالبي . شرحه وحققه د. مفيد قميحة: ١٥١/٣.دار الكتب العلمية . ط١. ١٤٠٣هـ ١٩٨٦م . بيروت . لبنان .



(٢٦)

(الطويل)

١- تقضّتْ شهورٌ بالبعاد وأحوالُ ... جرتْ بعدكم فيه أمورٌ وأحوالُ

٢- فإن يسّر الله التّلاقي ذكرتُها ... وإلا فلي فــي هذه الأرض أمثــالُ

التخريج:

فوات الوفيات :٣/ ٢٨٠.

(٢٧)

(المنسرح)

١- من لأســيرِ أمستْ قرينتُهُ ... في الدّوح عن حالهِ تُسائلُهُ

٢- فَهْوَ يُغنّي مدى الزّمان لها ... وَهْــيَ بأوراقهــا تُراسِــلُهُ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠١/١٦.فوات الوفيات :٣ /٢٨١.أعيان العصر: ٥ / ١٣٩.الشعور بالعور: ٢٢٨. الوافي بالوفيات :١/ ٢٣٤.

اختلاف الروايات :

١ـ في فوات الوفيات (أنيسته) موضع (قرينته).

٢ـ في مسالك الأبصار (مبدا الحزن)، وفي فوات الوفيات (مبدي الحزين)، وفي أعيان العصر (مبدا الحزين)، وفي الوافي بالوفيات (مبدى الحزين) موضع (مدى الزمان).

الشرح :

صرّح الصفدي أن الأبيات مأخوذة من قول البدر الذهبي(ت٦٨٠هـ)[١]:

قامت على ساق تطارحني الهوى ... مــا بين صحبي بالحمى ورفاقي

ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن ... يعقــوب والألحان عن إسحاق

أنّى تُبــاريني جــوى وصبــابة ... وكآبــة وهــوى وفيــض مآقي

وأنا الذي أُملي الهوى من خاطري ... وهي التي تُمــــلي عن الأوراق[٢]

---

(١) انظر: أعيان العصر: ٥ / ١٣٩ ،بشيء من الاختلاف عن رواية الديوان.

(٢) ديوان ابن لؤلؤ الذهبي . حققه ودرسه د. محمد إبراهيم لاشين : ٦٥-٦٦. دار الآفاق العربية . ط١ . ٢٠٠٤م . مدينة نصر . القاهرة .

(٢٨)

(المنسرح)

١-قلـــتُ له إذ بـــدا وناظرهُ مُشـــارفٌ للغـــرام عاملُهُ

٢- اسمكَ ماذا؟ فقال مبتدِراً سعدٌ ، فقلتُ : الذي تواصلُهُ

التخريج :

الهول المعجب :١٤٠ .

(٢٩)

(الطويل)

١- روى دمع عيني عن غرامي فأَشْكَلا ولكنّـــهُ وَرّى الحديث فأَشْكَلا

٢- وأســـندهُ عـــــن واقديٍّ أضالعي فأضحى صحيحاً بالغرام مُعَلَّلا

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠٠/١٦. فوات الوفيات :٢٨٠/٣. أعيان العصر:١٣٨/٥. تشنيف السمع:٢١٠. الشعور بالعور:٢٢٧. الوافي بالوفيات :٢٣٤/١.

اختلاف الروايات :

١.في تشنيف السمع(راوي) مكان (ورّى)،وفي الشعور بالعور(ودّى الحديث مسلسلا).

٢.في تشنيف السمع (في الغرام) .

الشرح :

١. ورّى:من التورية وهي«أن يُطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ، ويُراد به البعيد منهما»[١].

٢. واقدي : محمد بن عمر بن واقد السهمي ، من أقدم المؤرخين في الإسلام ، من حفّاظ الحديث المشهورين ، توفي سنة ٢٠٧هـ[٢] .

(قافية الميم)

(٣٠)

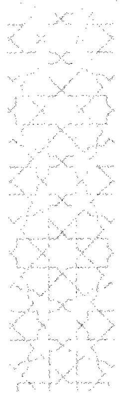
(الخفيف)

١- طـــرب الـدّوح من غناء الحمامِ وتَثَنّـــــى سُكْــــراً بغـــير مُدامِ

---

(١) الإيضاح :٢٩٩.

(٢) الأعلام : ٣١١/٦.



٢- وسقتْهُ سُحْب الغوادي فأضحى	باســمَ النّـور من بكـاء الغمامِ
٣- باسمـاً في كمامــهِ وابتسام الـ	ـعُجْبِ يخفى للحسن في الأكمامِ
٤- كيـف لا يَزْدَهيْهِ عجبٌ وقد أصْـ	ـبَح يحكيــكَ يا رشيق القوامِ؟
٥- يا حمــام الأراك لا تُعـرب اللّحْـ	ـنَ فحســبي ما فيكَ من إعجامِ
٦- لا تَبُــحْ بالــذي تُجــنُّ فتلـقى	مــا أُلاقِــي من كــثرة اللّـوامِ

التخريج:

فوات الوفيات :٣/ ٢٧٩ـ٢٨٠.

الشرح :

١ـ الدوح :جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة المتشعّبة ذات الفروع الممتدة . (المعجم الوسيط :داحت).

٣ـ كمامه : الكمام : وعاء الطلع ، وغطاء النّور . (القاموس المحيط : كمّ) .

٤ـ يزدهيه : تأخذه خفّة من الزهو وغيره . (اللسان: زها).

(٣١)

(الخفيف)

١- قال لي ساحر اللّواحِظ :صفْ لي	هيَفي قلتُ يا رشيق القوامِ
٢- لـــكَ قَـــدٌّ لولا جـوارح عينيْـ	ـكَ تغنّتْ عليه وُرْقُ الحمامِ

التخريج:

مسالك الأبصار :٢٩٨/١٦ . فوات الوفيات :٢٧٧/٣. جلوة المذاكرة :ق٠١٤٠، دون عزو . أعيان العصر:٥ /١٣٨.الشعور بالعور:٢٢٧. الوافي بالوفيات : ٢٣٣/١. ديوان الصبابة:٢٢٨ ، دون عزو. الدر المصون:٢٣٣. تزيين الأسواق:٢٤٠/٢، دون نسبة.

اختلاف الروايات والتصحيح:

١ـ في مسالك الأبصار:(ساجي) موضع (ساحر)، وفي جلوة المذاكرة (أهيف الشمائل) موضع (ساحر اللواحظ) ، وفي أعيان العصر ، والشعور بالعور (مليح) مكان (رشيق) ،وفي الدر المصون (أهيف اللواحظ صفيالي)[1] وفي ديوان الصبابة ، وتزيين الأسواق (أهيف المعاطف) موضع (ساحر اللواحظ) ، وفي ديوان الصبابة وحده (حيفي) موضع (هيفي) وهو تصحيف .

(١) هكذا وردت .

٢. في فوات الوفيات ، وجلوة المذاكرة: (جفنيك لغنّت) ، وفي الشعور بالعور ، والوافي بالوفيات (جفنيك) موضع (عينيك)، وفي ديوان الصبابة (لحظك) وضمها للشطر الأول ، وفي الدر المصون ، وتزيين الأسواق (لحظيك لغنّت) موضع (عينيك تغنّت) ، ولكنه في الدر المصون ضم (لحظيك) كلها للشطر الأول ، والصواب اشتراك الشطرين فيها. وفي أعيان العصر (لغنّت) موضع (تغنّت) ، وقد وردت القافية ساكنة في الشعور بالعور .

(٣٢)

(الكامل)

١- وافى النّسيــــم وقد تحمـــَل منكمُ — لطفاً يُقصِّر فهمهُ عن علمهِ

٢- وشكا السّقام وما درى ما قد حوى — وأنا أحقُّ من الرسول بسقمهِ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠٠/١٦. فوات الوفيات :٢٨٠/٣. أعيان العصر: ١٣٨/٥. الوافي بالوفيات :٢٣٤/١.

اختلاف الروايات :

٢. في مسالك الأبصار (بقسمه) موضع (بسقمه) ، وفي فوات الوفيات ، وأعيان العصر (جرى) موضع (حوى) .

(٣٣)

(الكامل)

١- إن طال ليلي بعدكم فلطولهِ — عذرٌ وذاكَ لما تحمّـــل منكمُ

٢- لم تســـرِ فيه نجومهُ لكنّها — وقفتْ لتسمع ما أُحدِّث عنكمُ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠٠/١٦. فوات الوفيات :٢٨١/٣. أعيان العصر: ١٣٩/٥. الشعور بالعور: ٢٢٨. الوافي بالوفيات :٢٣٤/١.

اختلاف الروايات :

١. في فوات الوفيات ، وأعيان العصر ، والشعور بالعور ، والوافي بالوفيات (أقاسي) موضع (تحمّل).

(٣٤)

(الطويل)

١- ولمّا التقينا بعد بينٍ وفي الحشا ... لواعِجُ شوقٍ في الفؤاد تُخيِّمُ

٢- أراد اختبـاري بالحديث فما رأى ... سوى نظرٍ فيه الجوى يتكلَّمُ

التخريج:

مسالك الأبصار :١٦/٢٩٩.فوات الوفيات :٣/٢٧٧. أعيان العصر:٥/١٣٧.الشعور بالعور : ٢٢٦. الوافي بالوفيات:١/٢٣٣. الدليل الشافي: ٢/٦٩٢.

اختلاف الروايات :

١.في فوات الوفيات: (بعد بُعدٍ)، وفي أعيان العصر (يُخيِّم).

(٣٥)

(الخفيف)

١- كلّما زادني اللّواحي ملامـــاً ... في هوى من أحبُّ قلتُ سلامَا

٢- أنا من معشرٍ إذا استمعوا العذْ ... لَ تجـافوا عنه ومرُّوا كرامَـا

٣- ليَ سمــعٌ للمنطــق العذب إلا ... أنّه لا يعـــي ســـواهُ كلامَـــا

٤- يصبح العاذلون في الهرج والمرْ ... جِ وقلبي لا يستفيـق غرامَـــا

٥- وجفـــاني الذي أحـــبُّ وأجفا ... ني يبيتــون سُجّــداً وقيامــا

التخريج:

فوات الوفيات :٣/ ٢٧٩.

الشرح:

١.اللواحي : جمع لاحٍ، وهو اللائم والمعنّف . (اللسان :لحا) .

٢.يقتبس الشاعر في قوله :(**ومرّوا كراماً**) من قوله تعالى:(وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً)[1].

٥.يقتبس الشاعرفي قوله : (**يبيتون سجّداً وقياماً**) من قوله تعالى : (**والذين يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً**)[2] .

---

(١) سورة الفرقان :الآية :٧٢.

(٢) سورة الفرقان :الآية :٦٤.

(قافية النون)

(٣٦)

(الكامل)

١- قد صُنتُ ســـرَّ هواكمُ ضَناً به ... إن المُتَـيَّم بالهوى لضَنِينُ

٢- فوشتْ به عيني ولم أكُ عالماً ... من قبلها أنّ الوشاة عيونُ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠٠/١٦. فوات الوفيات :٢٧٨/٣. أعيان العصر:١٣٨/٥. تشنيف السمع:١٠٣. الشعور بالعور:٢٢٧. صرف العين:١٠٠/٢. الوافي بالوفيات :٢٣٣/١.

اختلاف الروايات والتصحيح :

١. في تشنيف السمع (أخفيت) موضع (قد صنت)، و(المتين) موضع (المتيم) وهو تحريف.

٢. في الوافي بالوفيات (لم واك) وفيه تقديم تطبيعي لـ (لم) على (و).

(٣٧)

(الطويل)

١-أراهُ بعيــداً وَهْــوَ من نفـسي أدنى ... إليّ وألقـــاهُ إذا غـــاب بالمعــــنَى

٢-وتشتــاقهُ شوقَ الرّياض إلى الحيــ ... عيــــوني وإن أضـحى فؤادي له مغنَى

٣-تشـــرَّد نومـــتي إذ جفــاني لأجله ... وســال من الصبر إلى المقلة الوسنَى[1]

٤-وكـيف يُلام النوم في عشق مقلةٍ ... لواحظـــها تلقاكَ بالحسن والحُسنَى

٥-يلـــوم عليه الحاســـدون وبيننا ... مـــن الوُدّ ما يفنى الزمـــان وما يفنَى

٦-إذا ما قطعتُ العمر في ظلّ عشقـهِ ... فللـــهِ ما أحـــلاهُ عيشـــاً وما أهنَـــتا

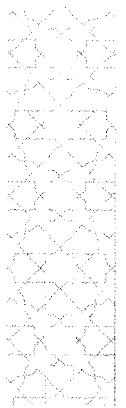
التخريج:

فوات الوفيات :٢٧٨/٣. ٢٧٩.

الشرح :

٣. المقلة :شحمة العين التي تجمع السواد والبياض .(القاموس المحيط : مقل). الوسنى: فاترة الطرف .(اللسان : وسن) .

(١) هكذا ورد الشطر الثاني ، وكتب أمامه محقق (فوات الوفيات) بعد أن ذكره : (كذا) أي : هكذا ورد ، ولم تتبيّن لي إقامته .



(قافية الهاء)

(٣٨)

(الكامل)

١- ولقد يقـــول مُعانقي وخـدودهُ　　تُسقَى بطلٍّ مدامعي وحيـاهَا

٢- ما بالها تسقي رياضَ محاسني　　عيناكَ قلـتُ لأنّهـا ترعاهَا

التخريج:

جلوة المذاكرة :ق٧٥. تشنيف السمع:١٦٦. روض الآداب:ق١٢٣/ب.

الشرح :

أشار الصفدي إلى أن المعنى مأخوذ من قول الشاعر:

أظهر الكبرياء زهواً وتيهـاً　　فتلقّيتُهُ بـــذُلّ الخضـــوعِ

وحباني ربيع خدّيـه بالـــورْدِ　　فأمطرتهُ سحـاب دموعـي[1]

علق الصفدي على النص قائلاً:«قلت : فيه الإضمار قبل الذكر، إذ التقدير : ما بال عينيك تسقى بأرض محاسني ، وكان ينبغي أن يقول : لأنهما يرعيانها ، ولكن يُغتفر له ذلك كلّه ؛ لاستعمال ترعاها مورّاة من الرعي والرعاية »[2].

(قافية الواو)

(٣٩)

(الكامل)

١- بالــرُّوح أفــدي مَنْطِقِياً علا　　برتبــــة النّحـــو على نِشْوهِ

٢- منطقهُ العذب الشّهيّ الـذي　　قــــد جذب القلب إلى نحـوهِ

التخريج:

مسالك الأبصار : ٣٠١/١٦. أعيان العصر: ١٤٠/٥. الشعور بالعور: ٢٢٨. الوافي بالوفيات :٢٣٤/١.

(١) تشنيف السمع :١٦٦، وهو فيه لأبي حمزة الذهلي وكذا في : تتمة اليتيمة :١٠٢/١، وهما منسوبان للحسين بن الضحاك في المحب . السري الرفاء . درسه وحققه د. حبيب حسين الحسيني : ٤٢٥ . دار الرسالة للطباعة. ساعدت جامعة بغداد على نشره . ط١. ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م . بغداد . ومنسوبان أيضاً للخبزأرزي في نهاية الأرب :٧٦/٢، مع قليل من الاختلاف في المصدرين.

(٢) تشنيف السمع :١٦٦.

اختلاف الروايات :

١. في الشعور بالعور (أفديك) موضع (أفدي).

٢. في الشعور بالعور (اللما) موضع (الذي).

ما جاء من شعر ابن دِمِرْداش على الأوزان المستحدثة:

(١)

(الدوبيت)

١- الصب بك المتعوب والمعتوب	**والقلب بك المسلوب والملسوب**
٢- يا من طلبت لحاظه سفك دمي	**مهـــلاً ضعف الطالب والمطلوب**

التخريج:

نهاية الأرب:٢/٤٨.ورد البيت الأول فقط دون عزو.فوات الوفيات:٣/٢٨٣.أعيان العصر: ٥/ ١٤١.الشعور بالعور: ٢٣٠.الوافي بالوفيات:١/ ٢٣٦.شذرات الذهب:٨/ ١٠٨.

اختلاف الروايات :

١. في نهاية الأرب (المسلوب والملسوب) و(المعتوب والمتعوب)وفي أعيان العصر (الملسوب والمسلوب) ،وفي الشعور بالعور (المنعوت) موضع (المعتوب) و(المسكوب) موضع (الملسوب)، وفي شذرات الذهب (المنعوب) في موضع (المعتوب) وهو تصحيف.

«قيل إن الشيخ صدر الدين ابن الوكيل كان يقول : وددت لو أخذ شعري كله وأعطاني هذين البيتين»[1].

الشرح :

٢. يقتبس الشاعر من قوله تعالى : (**ضعف الطالب والمطلوب**)[2].

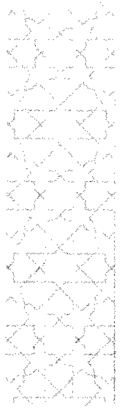
(٢)

(الدوبيت)

١- أخفيت هواك عن جميع البشرِ	**ضنـــا بحديث سرّك المستترِ**
٢- فانصـــان وكـــاد يخفى قمري	**عن فرط ذكا مثلك لولا نظري**

(١) فوات الوفيات :٣/٢٨٣.وانظر : أعيان العصر: ٥/ ١٤١، والشعور بالعور : ٢٣٠ ، والوافي بالوفيات : ١/ ٢٣٦، شذرات الذهب :٨/ ١٠٨.

(٢) سورة الحج : الآية :٧٣.



التخريج:

فوات الوفيات :٣/ ٢٧٩.

ما نُسب إلى ابن دِمِرْداش وإلى غيره:

(١)

(الطويل)

١- بجوارحي من مقلتَيكَ جراحُ ... أَفُتُورُ هاتيكَ الجفون صِفاحُ؟

٢- لا تنظـرنّ إلى العيون فإنّما ... نظر العيون إلى العيون قِداحُ

٣- كالبـــدر إلا أنّهُ في قُرْطُقٍ ... وعليّ في نظري إليه جُنـــاحُ

٤- باللهِ سلـهُ لِمْ أقاحِي ثغرهِ ... تُحمى ، ونرجس مقلتَيهِ يُباحُ؟

التخريج:

ورد منسوبا إلى ابن دِمِرْداش في :

الدر المصون: ١١١.

وجاء غير معزو في :

البديع في نقد الشعر : ٢١١، والكتاب أسبق زمناً من ابن دِمِرْداش .

اختلاف الروايات :.

٢.في الدر المصون (وحسنها) موضع (فإنما) و(جراح) موضع (قداح).

الشرح :

١.أفتور : الفتور : الانكسار والضعف للعين . (اللسان : فتر) .

٣ .قُرْطُقٍ: قباء ، وهو معرّب كُرّته . (اللسان : قرطق) .

(٢)

(الطويل)

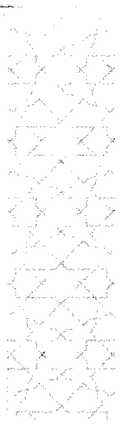
١- سألتكَ يا عود الأراكة أن تَعُدْ ... إلى ثغر من أهـوى فقبّلْهُ مُشْفِقَا

٢- وَرِدْ من ثَنيّاتِ العُذَيْب مُنَيْهِلاً ... تسلسل مـا بين الأُبَيْرِقِ والنَّقَـا

التخريج:

ورد منسوبا إلى ابن دِمِرْداش في:

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر:١/ ١٥٠.



وإلى محيي الدين بن قرناص في :

فوات الوفيات : ٣/ ٢٧٧.

جلوة المذاكرة :ق/ ١٩٦.

أعيان العصر : ٥/ ١٣٧.

الوافي بالوفيات :١/ ٢٣٢.

النجوم الزاهرة : ٩/ ١٨٦،و١١/ ٣٠٨.

كتاب المحاضرات والمحاورات : ٢١٦ .

اختلاف الروايات :

١. في فوات الوفيات ، وجلوة المذاكرة ، والوافي بالوفيات: (إن تعد) ، وفي النجوم الزاهرة في الموضع الثاني ١١/ ٣٠٨: (الأراك بأن تعد).

٢. في خلاصة الأثر: (من ثناياه ... فمنهلا) ، وفي جلوة المذاكرة (لمنهل) موضع (مُنَيْهِلا) ، وفي النجوم الزاهرة في الموضع الأول: (يُسلسل) ،

الشرح :

٢.الأُبَيْرِق: تصغير الأبرق ، مواضع كثيرة في الجزيرة العربية .النقا: الكثيب من الرمل .

(٣)

(السريع)

١- بالله إن جُزْتَ وادي الأراكْ   وقبّلتْ أغصانهُ الخضر فاكْ

٢- اهدِ إلى عبدكَ من بعضها   فإنّني والله مـــــا لي سواكْ

التخريج:

ورد منسوباً إلى ابن دِمِرْداش في:

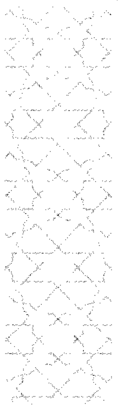
مسالك الأبصار: ١٦/ ٢٩٨.

شذرات الذهب: ٨/ ١٠٨.

كتاب شرح النجديات : ٢/ ٣٩٤.

وورد في فوات الوفيات : منسوباً مرة إلى ابن دِمِرْداش في ٣/ ٢٨٠ وسمّاه (ابن تمرتاش) .

وأخرى إلى ابن المكرّم ، ابن منظور (صاحب اللسان) في : ٤/ ٤٠ .



نسبه لغير ابن دِمِرْداش:

ورد منسوباً إلى ابن المكرّم (ابن منظور) في:

أعيان العصر: ٥/ ٢٧٢.

نكت الهميان: ٢٦٢ .

عقود الجمان: ق/٣٠٧/ب .

المقفى الكبير: ٧/ ٢٨٧ .

وإلى فتح الدين ابن سيد الناس في :

كتاب السحر والشعر: ٥٥ .

ورد دون نسبة في:

نهاية الأرب: ٢/ ٦٨ .

تاريخ المفرق في تحلية علماء المشرق : ١/ ١٩٠.

مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: ١/ ٥٥.

نزهة الناظر : ق ٢٤/أ .

مستوفى الدواوين : ٢/ ٢١٨.

اختلاف الروايات :

١. في نهاية الأرب (بوادي... أغصانه اللدن) موضع (وادي... أغصانه الخضر) وفي كتاب شرح النجديات (ياسيدي إن جزت)وفي فوات الوفيات (٣/ ٢٨٠): (يا قمري) موضع (بالله) وفي أعيان العصر ونكت الهميان وكتاب السحر والشعر (بوادي... عيدانه الخضر) وفي تاريخ المفرق (بواد ...عيدانه خضر) وفي عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان (بوادي... الغض) وفي فوات الوفيات (٤/ ٤٠)والمقفى الكبير ومستوفى الدواوين (بوادي) وفي مغني المحتاج (تالله ... بوادي)وفي شذرات الذهب : (ياقمري إن جئت) موضع (بالله إن جزت).

٢. في نهاية الأرب وتاريخ المفرق ومستوفى الدواوين ومغني المحتاج (فابعث... المملوك) وفي كتاب شرح النجديات (فاهدِ) وفي كتاب السحر والشعر ورد الشطر الأول ناقصا : (فابعث إلى المملوك) فقط . وفي فوات الوفيات (٣/ ٢٨٠): (أرسل) موضع (اهد) ، وفي أعيان العصر (ابعث ... المملوك) ، وفي فوات الوفيات (٤/ ٤٠)، ونكت الهميان ، والمقفى الكبير (ابعث ... المملوك ... بعضه) ، وفي عقود الجمان (فابعث إلى المملوك من بعضه) ، وفي شذرات الذهب(فأرسل إلى) موضع (اهدِ إلى).

(٤)

(الكامل)

١- والنَّهــــــر خــدٌّ بالشُّعاع مورَّدٌ ... قـد دبَّ فـيه عِـذار ظلِّ البانِ

٢-. والماء في سوق الغصون خلاخلٌ ... من فضّةٍ والزَّهر كالتِّيـجانِ

التخريج:

ورد منسوباً إلى ابن دِمِرْداش في:

روض الآداب :ق١٣٠/ب .

وإلى ابن النبيه في:

ديوان ابن النبيه: ٢٧٨.

الغيث المسجم : ٢٩٧/١.

قلائد الجمان : ٢٣٥/٤ .

تأهيل الغريب: ٩٤٨.

معاهد التنصيص : ١٩٢/١.

أنوار الربيع: ٢٨٤/١.

اختلاف الروايات :

٢.في روض الآداب (ساق) موضع (سوق) .

الشرح:

١.البان : ضرب من الشجر، سبط القوام، ليّن، ورقه كورق الصفصاف، ويشبّه به الحسان في الطول واللين . (المعجم الوسيط : بانه) .

* * *

ثبت المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم.

- **المخطوطات :**

٢- **جَلْوة المذاكرة في خَلْوة المحاضرة**. صلاح الدين الصفدي. نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم :(ف ١٠٦٩٠)مصورة عن معهد إحياء المخطوطات العربية.

٣- **رشف النبيه من ثغر التشبيه**. ابن عصرون الكنجي. نسخة مصورة في مكتبة الملك فهد تحت رقم (٤٩٨).

٤- **روض الآداب**. شهاب الدين الحجازي. الكتاب ما يزال أكثره مخطوطا، نسخة في مكتبة الأمير سلمان تحت رقم :(٥١٨)ص.

٥- **روض الأزهار في معاني أنواع الثمار**. شمس الدين النواجي .مخطوط في مركز الملك فيصل تحت رقم: (٣٠٣/ف).

٦- **عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان**. محمد الزركشي. نسخة مصورة في مكتبة الأمير سلمان تحت رقم (١٨٨)ص.

٧- **نزهة الناظر وبهجة الخاطر**.علي بن محمد البلاطنسي. مخطوطة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم ٦١١٠ / ف.

- **المطبوعات :**

٨- **أسرار البلاغة**. عبد القاهر الجرجاني. صححها وعلّق عليها السيد محمد رشيد رضا. دار الكتب العلمية ط١. ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م. بيروت. لبنان

٩- الأعلام .خير الدين الزركلي .دار العلم للملايين. ط١٠. ١٩٩٢م. بيروت. لبنان.

١٠- **أعلام الحضارة العربية الإسلامية**. زهير حميدان. منشورات وزارة الثقافة. دط. ١٩٩٦م. دمشق. سوريا.

١١- **أعيان العصر وأعوان النصر**. **خليل الصفدي**. تحقيق د. علي أبي زيد وآخرين. دار الفكر .ط١. ١٤١٨هـ دمشق.

١٢- **أنوار الربيع في أنواع البديع**. **ابن معصوم**. تحقيق شاكر هادي شكر. ط١. ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م. النجف.

١٣- **الإيضاح**. الخطيب القزويني. قدّم له وبوّبه وشرحه د. علي أبو ملحم. منشورات دار ومكتبة الهلال. ط٢. ١٩٩١م. بيروت. لبنان.

١٤- **البديع في نقد الشعر** . أسامة بن منقذ . تحقيق د. أحمد أحمد بدوي , ود. حامد عبد المجيد . مراجعة إبراهيم مصطفى .شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .دت .دط .مصر .

١٥- **تاريخ الأدب العربي** . د. عمر فروخ . دار العلم للملايين . ط ٤. ١٩٨٤م . بيروت.

١٦- **تاريخ المفرق في تحلية علماء المشرق** . خالد بن عيسى البلوي . قدّم له وحققه الحسن السائح . اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب والإمارات العربية. دت . دط.

١٧- **تأهيل الغريب** . شمس الدين النواجي . تحقيق د. أحمد محمد عطا . مكتبة الآداب . ط١. ١٤٢٥هـ القاهرة .

١٨- **تتمة يتيمة الدهر** . أبو منصور الثعالبي . شرحه وحققه د. مفيد قميحة . دار الكتب العلمية .ط١ . ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م بيروت . لبنان .

١٩- **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه** . عمر الحلبي . حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين . راجعه د. سعيد عبد الفتاح عاشور . الهيئة المصرية العامة للكتاب .دط. ١٩٨٢م .

٢٠- **تزيين الأسواق في أخبار العشاق** . داود الأنطاكي .دار ومكتبة الهلال . دط. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م بيروت .

٢١- **تشنيف السمع في انسكاب الدمع** .خليل الصفدي .حققه وعلّق عليه محمد عايش . ط١ . الأوائل .١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م دمشق .

٢٢- **تكملة المعاجم العربية .رينهات دوزي**. مراجعة جمال الخياط . دار الرشيد. الجمهورية العراقية . وزارة الثقافة والإعلام .

٢٣- **تهذيب اللغة** .الأزهري . تحقيق عبد السلام هارون وآخرين .١٩٦٤م . القاهرة .

٢٤- **جماليات الأسلوب** .د. فايز الداية. دار الفكر . ط٢. ١٤١٦هـ دمشق .

٢٥- **حلبة الكميت** . شمس الدين النواجي . دت. دط.

٢٦- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** . محمد المحبي . دار الكتاب الإسلامي . القاهرة.

٢٧- **الدارس في تاريخ المدارس** . عبد القادر النعيمي الدمشقي . عني بنشره وتحقيقه جعفر الحسني . مكتبة الثقافة الدينية .دط . ١٩٨٨م .

٢٨- **الدر المصون** ، المسمّى سحر العيون.تقي الدين البدري . تحقيق سيد صديق عبد الفتاح . مطبوعات الشعب . ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٢٩- **الدر النفيس فيما زاد على جنان الجناس وأجناس التجنيس** .شمس الدين النواجي. تحقيق د. حمزة الدِمِرْداش زغلول . مكتبة الأزهر للطباعة والنشر والتوزيع . دط. ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

٣٠- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة** . ابن حجر العسقلاني . تحقيق محمد سيد جاد الحق . أم القرى للطباعة والنشر . دط. دت. القاهرة.

٣١- **الدليل الشافي على المنهل الصافي** . ابن تغري بردي الحنفي .حقّقه وقدّم له فهيم محمد شلتوت . مكتبة الخانجي . دط . دت.القاهرة.

٣٢- **ديوان ابن الخياط** . عني بتحقيقه خليل مردم بك . دار صادر . ط٢ . ١٤١٤هـ ١٩٩٤م . بيروت .

٣٣- **ديوان ابن الدهان الموصلي** . حققه وأعدّ تكملته عبد الله الجبوري . مطبعة المعارف . ط١ .١٩٦٨م . بغداد .

٣٤- **ديوان ابن الرومي** .**شرحه وحققه عبد الأمير علي مهنا**.منشورات دار ومكتبة الهلال . ط١. ١٤١١هـ١٩٩١م .

٣٥- **ديوان الصبابة** . **ابن أبي حجلة التلمساني** . دار ومكتبة الهلال .د ط. ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٣٦- **ديوان ابن لؤلؤ الذهبي** .**حققه ودرسه** د. محمد إبراهيم لاشين.دار الآفاق العربية . ط١. ٢٠٠٤م . مدينة نصر . القاهرة .

٣٧- **ديوان الملك الأمجد** .**تحقيق غريب محمد علي أحمد** .الهيئة المصرية العامة للكتاب . مطبعة دار الكتب.د ط.١٩٩١م .

٣٨- **ديوان ابن النبيه** . **تحقيق عمر محمد الأسعد** . دار الفكر . ط١ . ١٩٦٩م .

٣٩- **نيل تذكرة الحفاظ** .شمس الدين أبو المحاسن الدمشقي .دار إحياء التراث العربي .دط . دت .

٤٠- **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر** . محمد المرادي .مكتبة المثنى . دط . دت . بغداد.

٤١- **سير أعلام النبلاء** . **الذهبي** . طبعة مرتبة على حروف الهجاء .رتّبه وزاد فوائده واعتنى به حسان عبد المنان.بيت الأفكار الدولية . دط . ٢٠٠٤م . لبنان.

٤٢- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** . أبو الفلاح الحنبلي. حقّقه وعلّق عليه محمود الأرناؤوط . أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ..دار ابن كثير . ط١.دمشق . ١٤١٣هـ ١٩٩٢م. بيروت .

٤٣- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. أبو الفلاح الحنبلي. دار المسيرة . ط٢. ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م . بيروت .

٤٤- **الشعور بالعور** . **خليل الصفدي** . حققه واستدرك عليه د.عبد الرزاق حسين . دار عمار . ط١ . ١٤٠٩هـ ١٩٩٨م . الأردن

٤٥- **صرف العين** . خليل الصفدي . حقّقه ودرسه د. محمد عبد المجيد لاشين . دار الآفاق العربية ط١. ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م القاهرة.

٤٦- **ضرورة الشعر .السيرافي** . تحقيق د. رمضان عبد التواب . ط١. دار النهضة العربية . ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م بيروت

٤٧- **الغيث المسجم في شرح لامية العجم** . خليل الصفدي . دار الكتب العلمية.ط٢. ١٤١١هـ ١٩٩٠م . بيروت . لبنان .

٤٨- **فوات الوفيات . الكتبي** . تحقيق د. إحسان عباس . دار صادر .دط. بيروت .

٤٩- **القاموس المحيط . الفيروز آبادي** . مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع . دت . دط.

٥٠- **قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان** ، المشهور بـ (عقود الجمان في شعراء هذا الزمان) ابن الشعّار الموصلي . تحقيق كامل الجبوري . دار الكتب العلمية ط١ . ٢٠٠٥م. بيروت.

٥١- **كتاب السحر والشعر** . لسان الدين ابن الخطيب . حققه ج. م . كونتننته بيرير . راجعه ودققه محمد سعيد أسبر . ط١. ٢٠٠٦م . سورية .

٥٢- **كتاب المحاضرات والمحاورات** . السيوطي . تحقيق د. يحيى الجبوري . دار الغرب الإسلامي . ط١. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م . بيروت .

٥٣- **الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه . خليل الصفدي** . حققه وعلق عليه هلال ناجي ووليد الحسين . إصدارات مجلة الحكمة . ط١. ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ليدز . بريطانيا.

٥٤- **لسان العرب** . ابن منظور . دار صادر . .دط. دت . بيروت .

٥٥- **المحب . السري الرفاء** . درسه وحققه د. حبيب حسين الحسيني . دار الرسالة للطباعة. ساعدت جامعة بغداد على نشره . ط١. ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م . بغداد.

٥٦- **المختار من شعر ابن دانيال . خليل الصفدي** . حقّقه وعلق عليه واستدرك محمد الدليمي . مكتبة بسّام . ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م الموصل .

٥٧- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. أحمد العمري . تحقيق محمد إبراهيم حوّر. إصدارات المجمع الثقافي ط١. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة .

٥٨- **مستوفى الدواوين . محمد بن عبد الله الأزهري** . تحقيق زينب القوصي ووفاء الأعصر . أشرف عليه وراجعه د. حسين نصار . مطبعة دار الكتب والوثائق القومية . (ج/٢ ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤) دط . القاهرة .

٥٩- **مطالع البدور في منازل السرور .علاء الدين الغزولي** . مكتبة الثقافة الدينية .دط. ١٤١٩هـ ٢٠٠٠م. بور سعيد.

٦٠- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** . عبد الرحيم العباسي . دط .دت .

٦١- **معجم الأطباء** .د. أحمد عيسى . دار الرائد العربي .ط١٣٦١.١هـ ١٩٤٢م بيروت . لبنان .

٦٢- **معجم البلدان** . ياقوت الحموي . دار إحياء التراث العربي .توزيع دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان .

٦٣- **معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م** . كامل سلمان الجبوري . منشورات محمد علي بيضون .ط١. دار الكتب العلمية . ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م . بيروت . لبنان .

٦٤- **معجم المؤلفين. عمر رضا كحالة** . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .

٦٥- **المعجم الوسيط.** إخراج إبراهيم مصطفى وآخرين . مجمع اللغة العربية. المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع . ط٢. إستانبول .

٦٦- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج** . محمد الشربيني الخطيب . مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . ١٣٧٧هـ ١٩٨٥م .

٦٧- **المقفى الكبير .المقريزي. تحقيق محمد اليعلاوي** . ط١٤١١.١هـ ١٩٩١م . بيروت .

٦٨- **المنجد في اللغة والأدب** . دار المشرق . ط٣٧ . بيروت . لبنان .

٦٩- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** . ابن تغري بردي .قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.

٧٠- **نزهة الأنام في محاسن الشام** . أبو البقاء عبد الله البدري . دار الرائد العربي. ط١. ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م بيروت . لبنان .

٧١- **نكت الهميان في نكت العميان** . خليل الصفدي . علّق عليه ووضع حواشيه مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . ط١٤٢٨.١هـ ٢٠٠٧م بيروت . لبنان .

٧٢- **نهاية الأرب في فنون الأدب . شهاب الدين أحمد النويري** . نشرة مصورة عن مطبعة دار الكتب .

٧٣- **الهول المعجب في القول بالموجب . خليل الصفدي** . درسه وحققه د. محمد عبد المجيد لاشين . دار الآفاق العربية . ط١. ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م القاهرة .

٧٤- **الوافي بالوفيات . خليل الصفدي . باعتناء هلموت ريتر وآخرين.** دار فرانز شتاينر . ١٣٨٠هـ ١٩٦٢م. ألمانيا .

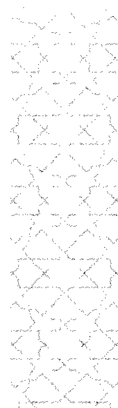
٧٥- **الوافي بمعرفة القوافي . أبو العباس العنابي الأندلسي** . تحقيق د. نجاة نولي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ط١. ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

٧٦- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . أبو منصور الثعالبي** .شرحه وحققه د. مفيد قميحة . دار الكتب العلمية . ط١٤٠٣.١هـ ١٩٨٦م . بيروت . لبنان .

الرسائل العلمية غير المنشورة:

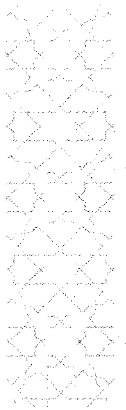
٧٧- **كتاب شرح النجديات للقصيري** . تحقيق د. صافي الصافي . رسالة دكتوراه غير منشورة . مقدمة لقسم الأدب في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٢٧ـ١٤٢٨هـ .

* * *






مطابع الجامعة



VOLUME 14 2010

JOURNAL OF ARABIC STUDIES

KINGDOM OF SAUDI ARABIA

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY



- **(Armt) in the Hadeeth of the Virtue of the Day of Friday**
  Dr. Saif Ibn Abdulrahman Al-Arifi
- **Extraneousness in Syntax**
  Dr. Muhammad Ibn Nasser Al-Shihri
- **Surah of Al-Qiyamah (Qur'an: 75): An Analytic Rhetorical Study**
  Dr. Ibrahim Ibn Mansour Al-Turki
- **Some Methods of Enthrallment in the Qur'anic Narratives**
  Dr. Ali Ibn Muhammad Al-Hamoud
- **The Verse of Shihab Aldin Ibn Dirmirdash Al-Dimashqi (638- 723 (.A.H**
  Dr. Muhammad Ibn Ibrahim Al-Doukhi

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research